د. محمد عبد المنعم خفاجي

الإسلام وارث الحضارات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

بقلم الاستاذ الكبير .. محمد خليل عنانى

حمدا لله وثناء جميلا

والصلاة والسلام على أعظم خلق الله وأفضل رسل الله ،محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الأبرار .. وبعد

فان الاسلام ،وهو خاتم الديانات ، وآخر الرسالات ، هو حقا وارث الحضارات ، وباني الدنيات ، هو الدين الخالد العظيم ، المنزل من السماء ،نورا وهدى للناس ، وهو ناموس الحياة ، وأبدع نظام للعالم ، وأروع تشريع شهدته الانسانية ، وأنفع نظام عرفته البشرية .

الاسلام حقا وكما قال مؤلف هذا الكتاب هو وارث الحضارات في الاولى والآخرة :

ففي بدء الاسلام ورث هذا الدين السماوي الحكيم حضارات العالم ، وحكم امبراطوريات ما كانت جيوشها ينكس لها لواء ، ولا كانت مدنيتها ينهار لها بناء ..

وفي آخر الدنيا لابد ان يسود الاسلام العالم ، ويحكم الدنيا ،ويرث الحضارات القائمة فيها ، كما ورث الحضارات السابقة .

وهذا الكتاب يتحدث في فصول متوالية عن الاسلام وعظمته وسمو مبادئه وعن ماضيه وحاضره وأمسه ويومه وغده ، حديثا رائعا جليلا .

ونحن لا نملك الا أن نهنئ القارئ بهذا الكتاب ، وندعو الله أن ينفع به المسلمين في كل مكان .

محمد خليل عنانى

تمهيد

الاسلام وارث الحضارات

نعم ، الاسلام وارث الحضارات ، فلقد ورث الحضارة الفارسية والاغريقية والرومانية والمصرية وجميع الحضارات العالمية القديمة ونقل تراثها الى الفكر الاسلامى ، وأخذ منها المعارف العلمية ، والأصول الثقافية التى لا تتنافى مع مبادئ الاسلام الشريفة الرفيعة ، وقامت حضارة اسلامية زاهرة فى جميع عواصم بلاد المسلمين ، من الصين شرقا الى بحر الظلمات أو المحيط الاطلسى غربا ، ومن أوربا شمالا الى أواسط قارة افريقيا جنوبا ، وحسبك حضارة بغداد وقرطبة والقيروان وفاس والفسطاط ودمشق والبصرة والكوفة واصفهان وجرجان وبخارى وغيرها من عواصم الاسلام الكبرى ، التى كانت تسبح فى نور العلم والتقدم والمدنية وفى ظلال الرفاهية والامن والحرية والسلام ، حضارة شريفة نجمت من أصول شريفة وقام عليها الملك والفكر والاقتصاد والاجتماع وكل جوانب الحياة الرفيعة ، وشهد لها العلماء والمفكرون والمشرعون فى كل عصر وكل جيل .

حضارة هزت الدنيا ، ودوت بذكرها الافاق ، وعاش فيها الناس أحرارا مكرمين ، ينعمون بكل ألوان السعادة والرفاهية والتقدم .

وكانت أوربا تنظر اليها وتذهل لهذا التفوق الحضارى الفريد ، ويصيح مثل بترارك الشاعر الايطالى فى العصور الوسطى قائلا : يالله .. لقد تفوقنا على كل الامم الا العرب ، الذين أذلونا بحضارتهم السامقة يا للخزى ويا للالم .

وجاءت أوربا ظامئة جاهلة مجردة من كل شئ ، فنهلت من حضارة العرب وعلومهم وثقافتهم حتى استطاعت أن تقوم على أقدامها ، ثم استطاعت أن تملك زمام المبادرة وتأخذ العنان بيديها من العرب وأن تنشئ لها حضارة جديدة تخالف الحضارات الأخرى فى كل شئ ولا تتفوق على حضارة الاسلام الا فى الماديات وحدها .

حضارة أوربا نسيج من القوة والطغيان والاثرة وحب الذات والأنانية ، وقد قامت على أساس فلسفتها الاستعمارية والتفرقة العنصرية وتقسيم البشر الى طبقات ومنازل ووضع العرب والمسلمين فى آخر الدرجات .

ولقد كتبت فى " مجلة رابطة العالم الاسلامى " و " مجلة التضامن الاسلامى " وفى مجلات أخرى من قبل موازنا بين حضارة الاسلام وحضارة أوربا . وقلت عن حضارة أوربا : انها حضارة لا أساس لها ، مادة بلا روح ،وأهواء بلا عقيدة ، وليست تنطوى على أية نزعة انسانية أو أخلاقية ، وهى تقف كل لحظة أمام أبواب الدمار الذى ليست له حدود . انها حضارة اللذة والمتعة الجنسية وعبادة المرأة والمال شعارها ، وعلمها الذى تسير تحته أن الجنس الاوربى هو سيد العالم ومن عداه عبيد أو كالعبيد . واذا كانت أوربا قد حررت الرقيق كلاما ، فانه مازال موجودا فعلا ، الرقيق موجود فى المرأة التى تبيح عمائر أوربا شراءها بالمال وموجود فى البلاد المستعمرة التى تعيش فى منزلة أحط من منزلة العبيد فى سالف الازمان ، وكل خيرات هذه الشعوب هى لاوربا ، ولشعوب البلاد المستعمرة الفقر والمرض والجهل والقتل والموت البطئ الذى لا يتصور أقسى منه .

ان حضارة أوربا حضارة الربا والقمار والمكيافيلية الشريرة ،والاباحية والعلمانية والمادية، واستعباد المرأة باسم تحريرها ، حضارة لامكان لها فى قاموس المثل والقيم الشريفة ، وكل ماهو شريف فيها فقد أخذ من العرب ، ونقل عن المسلمين ، يقول غوستاف لوبون فى كتابه " حضارة العرب". العرب كانوا هم ممدنين للغرب وأئمة له فى ستة قرون ، وعن طريقهم أهتدت أوربا الى تراث الاغريق وكشفت عن ماضيها " .

ويقول أيضا : الحق أن أتباع محمد ظلوا أشد من عرفتهم أوربا من الأعداء ارهابا عدة قرون ، وعندما كانوا لايرهبوننا بأسلحتهم كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العريقة السامقة ، ونحن لم نتحرر من نفوذهم الا بالأمس .

ومع ما بلغته أوربا من قوة مادية فانها قد انهارت روحيا وخلقيا وانسانية الى الدرك الأسفل ، وحسبك أنها تحرم على الرجل ان يتزوج الا بواحدة ، ومع ذلك تبيح له أن يعيش مع ألف عشيقة وبائعة لجسدها ولا تعد ذلك منكرا واثما ، انما الاثم فى نظرها القاصر هو ماشرعه الاسلام للرجل من حرية الزواج بأربع بشرط أن يعدل بينهم : " فان خفتم الا تعدلوا فواحدة " .

وأوربا فى ظلال حضارتها الماجنة تعيش فى انهيار دائم ، ورعب طويل ، وفزع مستمر ، وما أصدق ما يقول اقبال :

" مثلت حضارة الغرب دورها ، وقد شاخت وهرمت ، أينعت كالفاكهة وحان قطافها ، وسوف ينهار العالم الذى حوله مقامرو الغرب الى حالة من الفساد ، ولقد رأت أوربا بعينها

النتائج المخيفة لمثلها الاقتصادية والاخلاقية والعلمية ولسوف تتمخض الانسانية عن عالم جديد ، وهذا العالم لايحسن تصميمه الا من بنى للبشرية البيت الحرام ، وورث محمدا وابراهيم قيادة العالم " .

ان الرقى العلمى فى بلاد الاسلام كان محاطا بتفوق روحى وأخلاقى وانسانى ، وبشرف لا يعدله شرف فى كل جانب من جوانب النفس الانسانية المؤمنة بالله ، المحافظة على سمو الحياة وكرامتها ، المتطلعة دائما الى الامام بروح الأمل والعمل والقوة .

ولم تمد حضارة الغرب الا حين غاب المسلمون عن ادراك حقيقتهم وذاتهم وشريعتهم وقرآنهم . بل أنها لم تعش الا فى ظل ضعف المسلمين وتركهم لمقومات مجتمعهم الاسلامى ، وذوبانهم فى الغرب وأفكاره ومثله وثقافته .

ان حضارة الاسلام هى حضارة المسلم الكامل ، انسان الأرض العظيم المتطلع دائما الى نور السماء ، والحامل لعبء المسئولية الكاملة ، والمشارك فى نشر السعادة والرفاهية والسلام بين البشر ، وما أشد الفرق بينها وبين حضارة الغرب ، حضارة الاستعمار والحروب ، والصراع بين الطبقات والمجتمعات والناس والشعوب ، حضارة المصارعة وصراع البقر وغير ذلك مما لايخطر على بال .

ويقول غوستاف لوبون : أن سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين ، وتشبثه بالعقائد الباطلة .

وأقول : اذا كان الشرق قد عاش بعيدا عن التقدم والقوة فى العصر الحديث ، فلأن أوربا قد عملت على تجريده من كل أسلحته الروحية والمادية والنفسية وتركته يتخبط فى ظلال الفقر والحرمان والحيرة .

وها هى ذى مجلة أسبوعية من مجلاتنا تقول عن أزمة الحضارة المعاصرة (آخر ساعة عدد ١٤-٤-١٩٧٦) :

" اذا كانت الحضارة تعنى فى جوهرها شمولها مختلف أنواع المعرفة التى يقوم بها العقل الانسانى من علم وفن وثقافة وأدب وسياسة واقتصاد فان الحضارة المعاصرة قد بلغت مبلغا كبيرا من التقدم والازدهار : على أن البعض يضيقون ذرعا بهذه الحضارة ويرون أنها فى طريقها الى الانهيار ، كالحضارة الرومانية القديمة ، التى بلغت قمتها ثم استشرى فيها داء

الترف والفساد والانحلال فانتهت ، ويرى بعض المفكرين أن على الانسانية حتى تتجنب الهوة التى سوف تسقط فيها حضارة العصر الحديث أن ترنو ببصرها الى العصور الذهبية التى مرت بالبشرية " .

ومن هنا نرى من يمجد العصر اليونانى القديم من أمثال الشاعر الانجليزى بايرون والشاعر الألمانى هلدرلن والفيلسوف الالمانى نيتشة ، بل نرى طبيبا كبيرا هو البرت شفيتزر يرحل الى افريقيا هروبا من الحضارة المعاصرة وما جرته على الانسان المعاصر من قلق وتوتر وعدم استقرار ، هرب الى حيث الفطرة والبساطة والحياة البعيدة عن عقد حضارة القرن العشرين.

وتتابع المجلة حديثها بالرجوع الى ما كتبه الاديب المعاصر الشهير كولن ويلسون صاحب أدب "اللامنتمى" والذى توجس خيفة من حضارة العصر التى نحياها ، والتى هى سبب لكل ما يلاقيه الانسان المعاصر من شرور ، لما طبعت عليه الحياة من ترف وانحلال ، فهو يستعرض أعمال كبار الأدباء والفنانين أمثال : سارتر ، ودوستوفسكى ، والبيركامى ، وهمنجواى ، - وسواهم . ثم يرى أنه من الضرورى عدم الانتماء الى حزب معين أو عقيدة معينة حتى لاتنتهى حياة الانسان المنتمى بالجنون مثل نيتشه وفان جوخ .

ولقد تنبأ المؤرخ الانجليزى توينبى بانهيار حضارة الغرب المعاصرة كما انهارت حضارة روما . ومن ثم يرى كولن ويلسون أن عالمنا اليوم يمر بنفس الظروف التى مرت بها حضارة الرومان عندما انهارت أثناء انتشار الديانة المسيحية .

ان الحل فى رأى كولن ويلسون هو عدم الانتماء ، أو الرفض ، أى السخط على هذه الحضارة التى أرهقت الانسان بضغوطها الاقتصادية والمادية ، وبما أفعمت به من انحلال وفساد ، لقد كتب جيبون فى كتابه " انهيار الامبراطورية الرومانية وسقوطها " يقول ان روما تحولت الى حضارة لا تفكر الا فى الجنس والحرب حتى أن " نيرون " تزوج صبيا بعد أن ألبسه ثوب فتاة فى احتفال كبير ، بل وتزوج أمه ، وسيرة نيرون وكاليجولا تمتلئ بمثل هذه المآسى التى نرى أمثالها فى مثل رواية " لوليتا " أو " عشيق الليدى تشاترلى " .

ويقول كولن ويلسون : اننا نعيش فى عصر الجاز والتلفزيون ولوليتا وجيمس بوند والحشيش والمخدرات والعنف والجرائم الجنسية .

وهذا هو ما قلته فى كتابى " مواكب النبوة " ص ٣٠٩ .

حضارة الاسلام حضارة الشرف والعفة والأنساب المصانة ، أما حضارة الغرب فهي الجسد والشهوات المباعة والأنساب المجهولة وهي العرى واللذة الجنسية ، وهي الموبقات ما ظهر وما بطن .

يقول بعض مفكرى الغرب : انه ليس بالبعيد أن نقف على أطلال عواصم الغرب الكبرى نبكيها كما وقف الانسان على أطلال المدن الكبرى القديمة باكيا حزينا .

وبعد فان الاسلام كما ورث حضارة أوربا القديمة هو الذى سوف يرث حضارة أوربا الحديثة باذن الله ومشيئته ، لانه ليس هناك ديانة أو عقيدة تبلغ مبلغ الاسلام الكريم فى السمو والطهارة والرفعة والكمال ، وهو الدين الباقى الخالد ، الذى ترنو اليه البشرية بعينها وتتطلع اليه الشعوب فى كل مكان وزمان تنشد فيه السلام والحرية والمساواة والاخاء .

الانسانية تعود الى الاسلام

الاسلام دين الله وشريعته ، والوحي المنزل على رسوله الكريم ، ونبيه العظيم ، محمد ابن عبد الله ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه أجمعين ، هذا الدين العظيم ، هو دين الانسانية كافة من قبل ومن بعد ، دين البشرية قاطبة في الأمس ، واليوم ، وغدا ، دين الحياة والتقدم دين المدنية والحضارة ، دين النور والعلم ، دين السمو والرفعة والعزة ، دين الفطرة والروح والطموح والأمل ، والعزيمة والعمل ، والبناء والتجديد .

لقد حارب الاسلام خصوم أقوياء على طول عصور التاريخ ، وحاربه رجال الدين المحترفون ، وحاربته دول وعروش ، كانت تخاف الاسلام على نفسها وهما وكذبا ، وحاربه وثنيون متطرفون ، وحاربته مذاهب هدامة كانت تبغي لنفسها السيادة في الأرض ، ولا عزة ولا سيادة الا لله ورسوله ، وحاربه دجالون ومشعوذون يبغون الفساد في الأرض ، وحاربه حكام ظالمون يبغون أن يكون منطق حكمهم القوة فوق الحق ، والله عز وجل ودينه ورسوله يعلي الحق فوق القوة .. ومع ذلك ، وعلى امتداد عصور التاريخ ، ظل الاسلام شامخا مرفوع اللواء ، تردد تعاليمه السمحة الكريمة الأرض وتضيئ بنوره الوهاج السماء .

دين فوق كل الأديان التي عرفتها الدنيا ، وشريعة اهتزت بها الأمم والشعوب والأرض والسموات ، دين الفطرة ، والجلال والجمال والسمو والطهر والأمل والعمل ، دين البناء والتجدد والصفاء والوفاء ، والعزة والبساطة والسماحة والحرية والاخاء ، دين المساواة بين الناس والاجناس والأمم والشعوب كافة ، دين التوحيد الخالص ، والعقيدة الصادقة ، لا اله الا الله محمد رسول الله ، والله أكبر ، ما أعذبها كلمات ، وما أروعها نغمات ، وما أجل اثرها وتأثيرها في الحياة .

الاسلام وما أدراك ما الاسلام ، عرفته الانسانية ، وأنكره المتجرون بها ، وأحبته الشعوب وخاصمه قادتها الضللون ، وذاقت حلاوته كل الجماعات والعناصر المضطهدة المحرومة ، ولكن أمما مضطهدة حرمت من أن تفيء الى ظلاله ، وتذوق جنى شهده ، وتعيش بين أفيائه .

دين الانسانية والانسان الكامل ، ودين البشرية التي لا تعرف غيره دينا يهديها في ظلمات الحياة ودياجيرها .

العالم يريد انسان القرن العشرين وما بعد القرن العشرين انسانا كاملا تعلم به

الفلاسفة وتصوره الشعراء فى أخيلتها الجميلة ، انسانا ساميا قويا عزيزا ، رفيع الصفات ، عظيم النفس ، كبير الطموح ، كثير السعى فى الحياة لخير الانسانية والناس ، يريد الانسان الجديد ، انسان الصفاء والنقاء ، انسان التجديد والبناء ، انسان الحرية فى كل جوانب الحرية ، لا يريد الانسان العاجز بل المتحرك ، ولا يريد الانسان الضعيف بل القوى ، ولا يريد الانسان الذليل بل العزيز بالحق .

وكل المذاهب والأديان والعقائد الروحية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية المعاصرة تحيل الانسان الى حطام متداع منهار ، ولا تخلق منه انسانا عاملا بناء أبدا .. فهذه الشيوعية أحالت الانسان الى رجل عاجز ذليل مشلول الارادة والتفكير ، وهذه الرأسمالية قد صيرت الانسان شخصا ماديا شرها طامعا لا تعرف الرحمة الى قلبه سبيلا ، وهذه اليهودية قد حولته الى انسان فظ غليظ قاس شرس لا يحب الخير الا لنفسه وينكر على غيره حق الحياة ، وهذه المسيحية المحرفة قد خلقت منه انسانا حائرا ضعيف الشخصية ، ضعيف الاعتداد بالنفس أو القدرة على مقاومة الأعاصير ، وان استعان بأحدث كشوف العلم يكمل بها نقصه ، ويجبر بها ضعفه ، وهذه هى المذاهب الجديدة والديانات الضالة المعاصرة لنا لا تبنى بل تهدم ، ولا تجمع بل تفرق ، ولا تقوى بل تضعف ، ولا تهدى بل تضل .

ولكن الاسلام وحده هو القادر على العمل وصنع الأمجاد فى حياة الانسان ، وهو وحده الذى يستطيع الصمود والبناء والتجديد والتطور فى الأرض .

لقد عرفت الانسانية اليوم طريقها الى الاسلام بعد أن ضلت الطريق اليه قرونا كثيرة ، ولابد أن تعتنقه الدنيا كلها غدا أو بعد غد باذن الله .

ان الاسلام هو دين القرن العشرين وما بعد القرن العشرين من قرون مديدة طويلة باذن الله .

انسان القرن العشرين يسعى الى وحدة العالم كله أممه وجماعاته ، ولكنه عاجز عن تحقيق هذا الهدف .. وقد سبقه الاسلام فصاغ فى وحدة رائعة كل شعوب العالم فى العصور الوسطى وأخذها بيدها الى حيث التقدم والمدنية والحضارة والاخاء والمساواة وانكار الفروق الظالمة بين الانسان والانسان والجنس والجنس وبين الأمة والأمة والشعب والشعب .. ولو أن الانسانية آمنت كلها بالاسلام لعادت الى الوحدة الشاملة والحكومة الاسلامية العالمية العادلة .

ولقادت العالم الى سفينة النجاة والامان والطمأنينة .

وانسان القرن العشرين يريد العقيدة الواضحة البسيطة السمحة التى لا تحجر على حرية الفرد ، والتى لا تضع القيود والأغلال فى عنق الانسان ، والتى لا تحد من نشاطه وطموحه وأمله وعزيمته .. والاسلام هو أعظم الأديان التى تعطى للفرد حرية الانطلاق الى آفاق أرحب ، والسعى الى حدود بعيدة ممتدة لا يحصرها عقل ، ولا يستطيع الوصول الى آفاقها انسان ، وهو الدين السمح الذى يعترف للأديان السماوية المنزلة من السماء بحرية العقيدة والعبادة والبقاء ، وهو دين البساطة ، دين الفطرة ، دين لا يتنكر لعواطف الانسان ولا لمشاعره وغرائزه ولا لأحاسيسه العامه والخاصة أبدا ، وله حول كل مشكلة حل ، وفى كل معضلة رأى ، والسبب أنه يجعل المرأة شريكة للرجل ، زوجا وأما وجدة وأختا وعمة وخالة ، ولا يجعل منها خليلة ولا عشيقة أبدا ويمنحها كل حقوقها الدينية والروحية والاجتماعية والمالية .

واذا ما خيرنا الانسان بين الخمر والماء كانت فطرته بعيدة عن الخمر كل البعد ، لذلك حرم الاسلام الخمر وأحل الماء ، كما حرم الزنا وأحل الزواج ، وحرم البغاء والمخادنة وأحل تعدد الزوجات ، وحرم – على الجملة – كل ما يتنافى مع الفطرة الانسانية التى فطر الله الناس عليها ، لأن الدين هو فطرة الله وهو صبغته ، وهو كل ما وافق العقل والروح والنفس والشريعة من قول أو عمل أو عقيدة .

وانسان القرن العشرين يشمئز لمآسى التفرقة العنصرية وينكرها ، ولكنه عاجز عن محاربتها ، ضعيف الرأى أمام دعاة هذه التفرقة ، وهو يريد القضاء عليها ولكنه يعجز عن تحقيق أمله وبلوغ هدفه ، ولو قد اعتنق الاسلام لقضى على هذه التفرقة العنصرية قضاء مبرما دون أى جهد أو أية مشقة .

وانسان القرن العشرين يقف اليوم عاجزا عن محاربة الفقر ونشر الرخاء بين الناس ، على تعدد مذاهب الاقتصاد فى العالم ، وعلى كثرة منابع الثروة التى اهتدى اليها ، وكشف مجاهلها وأسرارها .. وقد سبق الاسلام فحارب الفقر بمنطقه الواضح العادل البسيط الانسانى دون اثارة لحروب الطبقات التى تثيرها بعض المذاهب اليوم .. ولو أن انسان القرن العشرين اهتدى بنور الاسلام لحل جميع مشكلات الانسان الاقتصادية ، ولتغلب على كل مشكلات الفقر ، ولأذاع الرخاء فى العالم بين الناس والجماعات والشعوب .

وانسان القرن العشرين يقف اليوم عاجزا حيال مشكلة الأمية المنتشرة في العالم ، لا يستطيع لها تصريفا .. وقد صنع الاسلام المعجزة من أجل القضاء على مشكلات الأمية ، ومن أجل نشر العلم بين كافة الناس : الرجال والنساء ، الصغار والكبار على السواء .. ولو قد آمن العالم كله بالاسلام لحل مشكلته المتجسمة في الجهل والأمية حلا جذريا عاجلا على خير ما يتمناه .

وانسان القرن العشرين يقف عاجزا حائرا امام مشكلات الحياة والحضارة والاقتصاد .. لايجد قلبه سبيلا الى الطمأنينة ولا الى الأمن ولا الى الهدوء الروحي .. وقد جاء الاسلام فمنح الانسان طمأنينته وهدوءه وكل الأمن ، والصفاء الروحي الذي ينشده .. ولو أن الانسانية آمنت اليوم بالاسلام وطبقت شريعته لحلت أمامها كل مشكلات الحضارة وأزماتها تجاه الانسان المعاصر .

ان الانسانية سائرة الى الاسلام لأنه الحل الوحيد أمامها لكل مشكلات الحياة المعاصرة .

تقول ألمانية أسلمت وسمت نفسها " فاطمه سي لا مير " (ص٩٣ ج٣ من كتاب " رجال ونساء أسلموا " لعرفات كامل العشى) : " لقد جاء الاسلام كما يأتي النبع الدافئ الى الأرض الباردة بعد الشتاء المظلم ، فأدفأ روحي وسربلني بثوب من تعاليمه القشيبة ، فما أوضح تعاليم الاسلام وأعذبها ، وما أعظم منطقها ، ان الاسلام دين عصري صالح للتطبيق في عالمنا المعاصر " .

وليست كلمات هذه الألمانية جديدة بالنسبة لنا نحن المسلمين الذين نؤمن بأن الاسلام صالح لكل زمان ومكان .

ان الاسلام دين العصر ، وهو دين عصري متقدم متجدد بكل معنى الكلمة ، وهو دين الانسان الذي يتطلع اليوم ببصره الى السماء حائرا ينشد الهدى والنور والرحمة والطمأنينة ، فلا يجدها الا في الاسلام العظيم ، وفي القرآن الكريم وفي تعاليم الحنيفية البيضاء ، وفي مبادئ الشريعة السمحاء ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

العقيدة الصامدة

الاسلام عقيدتنا

وأكرم به من دين

وأعظم بها من عقيدة

والقرآن شريعتنا

وأكرم به من كتاب الهى منزل من السماء

وأعظم بها من شريعة مطهرة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

هذه العقيدة المقدسة ، وتلك الشريعة المكرمة .. هى دعوة الله ورسالته الى رسوله وخاتم أنبيائه ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .. هى السنة التى سارت عليها الامة الاسلامية منذ نزول القرآن الكريم الى اليوم هى النور الذى استضاء به كل حائر ومضطرب ومفزع وخائف ومكروب .. هى الملاذ العظيم الذى احتمى بحماه كل الاجناس والالوان والعناصر والشعوب .. منذ أربعة عشر قرنا من الزمان الى الآن .. هى القانون الالهى الذى نزل هدى ورحمة من الله رب العالمين الى الانسانية عامة والى العالم كافة ، والى الناس فى مختلف العصور والبلدان والبيئات .. هى الدستور الخالد الذى شرع للناس العلم والتقدم والحضارة وأسمى شرائع الحياة والاجتماع والآداب والسلوك .. هى مصدر كل خير ، ومنبع كل فضيلة ، وسر كل سعادة ، وسبب كل مجد فى الأولى والاخرى ، وفى الدنيا والعقبى ، وفى الحياة وبعد الحياة .

وما أعظم ما كافح الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الاولون من أجل نشر الدعوة ، وتبليغ الرسالة واداء الامانة وهداية الناس الى الحق والى صراط مستقيم والى كلمة الله البينة .

وما أشد ما امتحنوا وفتنوا وأوذوا واضطهدوا فى دينهم ودنياهم وفى أنفسهم وأموالهم ، ولكنهم صمدوا وصبروا وصابروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأرواحهم وبكل غال وعزيز عليهم ، فكان عاقبة ذلك النصر والفوز والظفر والفلاح العظيم .

وعرض على الرسول الاعظم صلوات الله عليه وعلى أصحابه الملك والسلطان والمال والجاه والدنيا وكل متع الحياة ولذاذاتها ، فأبى وأبوا ذلك اباء شديدا وآثروا رضاء الله على كل شىء ،

وقاوموا الشرك والوثنية والظلم والبهتان ، وقالوا كلمة الحق وجهروا بها فى كل مكان ، وأعلنوا دعوة التوحيد ودعوا اليها الخاصة والعامة على السواء .. وبعد جهاد شديد ، ومحن ثقيلة الوطأة ، وكفاح ونضال مريرين .. وبعد غالى التضحيات ، نصر الله رسوله وأيد ه بروح من عنده ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وقامت للاسلام دولة ، وارتفعت رايته فى الأرض ودعا الرسول الاعظم اليه الملوك والامراء والحكام فى جميع أرجاء الارض ، وبعث بدعاته الى كل مكان ، ولم ينتقل الى الملأ الاعلى الا بعد أن جمع أغلب العرب على دين الله ، وبلغ دعوة الله الى كل الآفاق ، ووقفت كتائب الاسلام منصورة مظفرة على حدود مملكتى كسرى وقيصر .

ودخل الاسلام فى حرب شديدة مع هاتين الامبراطوريتين العظيمتين ، ولكنه صمد فى الحرب حتى كللت هامته رايات النصر ، وعقدت على جبينه ألوية الظفر ، ودخلت فارس وكثير من بلاد الروم تحت حكم المسلمين فى عهد أبى بكر وعمر .

ثم ساح الاسلام بعد ذلك فيما وراء فارس وما وراء الشام ومصر من بلاد واقطار فدانت له الدنيا وخضعت لسلطانه الحكام والملوك والامراء والسادة والاشراف ، وشمل بعدله الحا[illegible]ن والمحكومين ، وساوى بين جميع العناصر والاجناس والشعوب ، وجعلها جميعا ندا للعرب وأقام بينهم وبين غيرهم وحدة فى الدين ، ونشر الحرية والاخاء والمساواة والثقافة والمدنية فى كل مكان نزل فيه المسلمون .. فكان ذلك نصرا كبيرا ومصدر بركة وخير للناس جميعا ..

واقبلت الدنيا على المسلمين ، وفتن الاسلام وأهلوه بفتن الحياة الدنيا ، فصمد فى المعركة ووقف رابط الجأش قوى العزيمة ، ثابت الاقدام فلا يبالى بشئ من عرض الحياة ، ولا يناله شئ من اغرائها ووساوسها وفتنها فكان له النصر ، وظل يزحف فى الارض لا يوقف سيره شئ ، ولا يزعزع من قوته العقبات ولا جميع قوى الشر التى كانت تناوئه وتضمر له العداء .

ثم جوبه بمعارك قاسية مريرة ملؤها الظلم والبهتان والتعصب ، وقفت فيها جميع قوى المسيحية فى الارض لتقضى عليه ، ولتهدم ما بناه المسلمون فى الدنيا من علوم ومعارف وحضارة ومبادئ وقيم ومثل شريفة ، فخاضها بعزيمة قوية ، وانتصر فيها نصرا مؤزرا مظفرا ، وكتب الله له البقاء والغلبة والسيادة بين الناس .

ثم امتحن بالغزو التترى وبقوى جديدة تنزل على أرض الاسلام لتهدها وتزيلها من فوق الارض ، فانتصر عليها وأوقف طغيانها وردها الى الاسلام والى الحق والله القوى الجبار

المهيمن العزيز القادر على كل شيء .

ثم اذا هو أمام قوى الاستعمار الجديدة التي بدأت تزحف على العالم الاسلامي من جديد ومن كل صوب وحدب ، وتحاول جاهدة أن تهدم حصونه ، وتنهب خيراته ، وتقتلع جذور قوته من أساسها فوقف صامدا وقفة البطولة والتضحية والاباء والشرف وانتصر في معاركه الكثيرة المريرة القاسية مع هذه القوى الطاغية الشديدة التي تألبت عليه وتآمرت به ، واخذت تكيد له كيدا شديدا في الارض .

ثم وقف امام كثير من الأحداث ، وأمام كثير من المحن وأمام الغزو الحضاري الاوربي لبلاده ، وأمام غزو البعثات التبشيرية لارضه ، وأمام غزو المبادئ الجديدة الضالة الضارة له ، من وجودية ومادية وصهيونية وسواها ومن مختلف المبادئ الظاهرة حينا والمستترة حينا آخر .. وقف أمام كل ذلك وقفات مشرفة تذكر بالفخر والاجلال والاكبار .

صمد الاسلام في جميع مواقفه اذا مع قوى الاديان ومع قوى السياسة ، ومع قوى الحرب ، ومع قوى الحضارة الجديدة ، ومع قوى المال والمبادئ الوافدة .. وجرب الغرب معه في حربه كل سلاح ، فكان للغرب الفشل ، وللاسلام الظفر ، وكل صمود ، في جميع هذه المواقف صمودا عظيما جليلا مقرونا بالشرف والمجد والثناء والحمد وصدق الله العظيم فيما يقول : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " .

فما سر هذه المنعة ، وما مصدر تلك القوة ، وما مرد هذا الصمود المعجز الذي لم يعرف لدين من الأديان ولا لشريعة من الشرائع ، ولا لعقيدة من العقائد ؟ .

الحق أن ذلك كله راجع الى عظمة الاسلام وصحة مبادئه وقوة شرائعه واستقامة أحكامه وسلامة نظمه ، والى أنه الدين الحق المنزل من السماء ، والى أنه يعتمد على قوة ضخمة هو قوة الكتاب الحكيم الذي نزل برسالته من عند الله على خاتم رسله محمد صلوات الله عليه .

ويرجع كذلك الى ما في الاسلام من حيوية وما في دعوته من قيم ومثل ومبادئ شريفة ، والى صلاحيته لكل عصر ولكل بيئة ، والى ما تحتوى عليه تشريعاته من سهولة وبساطة ويسر وقصد لخير الناس وخير البشرية كافة .

ويرجع كذلك الى أنه الدين الوسط الذي يجمع كل ما في الأديان من فضائل ومثل وآداب وأخلاق ، والى أنه دين الحياة وشريعة التقدم ، والى مرونته واستجابته لكل دواعي التغيير ، والى أن القرآن الكريم كتاب دين ودولة ، والى كل صالح كريم عظيم من المبادئ والأهداف .

هذا هو الاسلام ، وهذه هي غاياته وأهدافه ، وتلك هي مبادئه وسلامته .. ومـــا بالك بدين يجمع بين الاولى والاخرة ، وبين الغاية الفردية والغاية الاجتماعية ، بين سمـــو الباعث وشرف المقصد والنزعة ، بين المسئولية والواجب والعقيدة ، بين الحرية والاخاء والمساواة بين الضمير الديني والضمير الانساني ، بين حب التقدم والرغبة في التجديد والاصلاح ، بـين القصد الى رفاهية الفرد وسعادة المجتمع وقوة الامة ووحدة الانسانية ، بين حرية النزعة الفردية وقوة الرغبة في الحرص على مصلحة الجماعة .

هذا هو الاسلام ، وهذه هي عقيدته ، وتلك هي غايته ، وهذه هي وجهته .. انـــه الدين الحق .

دين البينة
دين الصدق في القول والعمل
دين الاخلاص في السر والعلن
دين الفرد والجماعة
دين العلم والحضارة
دين الانسانية كافة
الدين العام الخالد الصالح لكل زمان ومكان .

هذا هو الاسلام ، عقيدة حقة ظاهرة ، قوية صامدة تقف أمام جميع النزعات والافكـــار والمبادئ هادية مرشدة واضحة نيرة ، لاعوج فيها ولا أمت ولا مواربة ولا خفاء ولا رياء .

يقف الاسلام قوة كبرى بين قوى كثيرة كبيرة تتألب عليه ، فيصمد لها ، وينتصر عليها ، ويكتب الله له الفوز والغلبة في جميع معاركه فيها .

هذا هو الاسلام منطق الخير والحق والنور ، منطق القوة والدعوة الصادقة التي تحارب نزعات الشر وقوى الباطل والالحاد والمادية والتي كتب الله لها النصر دائما في كل العصـــور والاجيال .

وصدق الله العظيم فيما يقول : " كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله لقوي عزيز " .

عقيدة ومنهج

الاسلام عقيدة ومنهج •

عقيدة التوحيد والعبودية لله رب العالمين •

ومنهج يعلن عن خصائص الاسلام الكبرى فى الحرية والمساواة والاخاء بين البشر أجمعين •

عقيدة متسامية ، ومنهج متكامل ، يحمل كل خصائص التقدم والحضارة والبناء من أجل رفاهية البشر والبشرية •

فى العقيدة ايمان كامل بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الاخر •

وفى المنهج تأتى فى مقدمته أركان الاسلام الكبرى الصلاة والصيام والزكاة والحج •

فالصلاة اعلان بعبودية الانسان للخالق المهيمن الاعظم •

والزكاة اعلان بالمساواة الكاملة بين الغنى والفقير ، والانسان مع أخيه الانسان ، مع اطلاق الحرية للاقتصاد فى دائرة هذه المساواة ليعمل عمله فى تقدم الحضارة والانسانية •

والحج اعلان بالاخاء بين أتباع الرسالة كافة ، لا فرق بين أبيض وأسود وأحمر وأصفر ، ولا بين جنس وجنس وشعب وشعب • الجميع عباد الله ، واكرمهم عند الله اتقاهم •

أما الصيام فاعلان بالحرية حرية الارادة وحرية العقل وحرية الفكر وحرية الانسان وحرية المجتمع الاسلامى •

فحرية الارادة تطلق الارادة الانسانية من اسار الشهوات واللذات والمتعة •

وحرية العقل فى اطلاق الطاقات العقلية النائمة المكدودة فى معركة الحياة اليومية ، لتؤدى رسالتها الكبرى فى البناء والتجديد والتقدم •

وحرية الفكر فى تحرير الانماط العادية للانسان من اسار التقليد والاتباع والعادة •

وحرية الانسان فى جملة يتمتع بكل مقومات الحياة الروحية الصافية السامية دون شعور بأنه عبد لشىء مادى من اشياء الحياة المادية المتكررة المشاهدة •

وحرية المجتمع فى اطلاقه من قيود " اليومية " الصارمة ،التى تفرضها الحياة على

الانسان ، ويفرضها الانسان على الحياة ، حد من الاستهلاك ، تفرغ للانتاج ، حرب على الترف وعلى أصحابه وعلى طلاب المتعة واللذة ، وعلى الذين لا يعملون الا للجنس ولا يفكرون الا فيه . المجتمع وحده هو الاساس الذى يجب ان تذوب فى مصلحته العليا كل الرغبات والاهواء واللذات .

هذا هو الصيام كجزء من المنهج فى الاسلام ، وتجيء بقية اجزاء المنهج : اقتصاد حر طاهر شريف ، يحمل خصائصه التعاونية الكاملة ـ أسرة متكاملة متحابة مترابطة متعاونة على تحمل اعباء الحياة ـ آداب وقيم للسلوك الاسمى وللانسان الصالح لخلافة الله فى الارض ، ولعمارة الارض وتذليل صعوبات الحياة امام الناس ـ ايمان بالعلم المستمد من الايمان بالله الذى لا اله الا هو الخالد المهيمن العزيز القادر الاعلى العالم بما كان وبما سيكون ، والمستمد من الايمان بالحقيقة الواحدة الثابتة فى كل زمان والشاملة لكل مكان . وغير ذلك من اجزاء المنهج الذى يحمل طابع الاستقلال والشخصية والتميز والجدة .

ان الاسلام عقيدة متكاملة ، وحضارة متجددة ، نابعة من منهج سليم مترابط ، انه ليس ذا صلة بأى مذهب من المذاهب المعاصرة ، ولا تستطيع أن تقيسه بالرأسمالية ولا الشيوعية ولا الديمقراطية ولا الديكتاتورية ، ولا غير ذلك من المذاهب . ولا تستطيع كذلك أن تزنه بأى مذهب منها .

انه مذهب كامل صالح لكل زمان ومكان ، وهو شريعة الله المثلى الوسطى الخاتمة للشرائع وللرسالات السماوية وهو دين بقى كتابه المنزل من السماء خالدا محفوظا فى الصدور والصحف منذ نزل هذا الكتاب من السماء الى اليوم .

ولا يستطيع مسلم أن يقول انى مسلم الا اذا عمل بهذه الاصول كلها والتزم بها التزاما تاما دون حيدة عنها ، او خروج عليها . وفى حدود الاصول : العقيدة والمنهج ، ليس له ان يخرج عن هذا الاطار السماوى ليأتى باطار آخر يضعه بنفسه ثم يفرضه عليها ، ثم يدعى انه مسلم . لقد قضى الله عز وجل ، وشرع لنا العقيدة والمنهج ، فليس لنا خيار فيهما ، والله عز وجل يقول فى كتابه الحكيم فى سورة الاحزاب ، " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ."

والسعادة كل السعادة فى أن نعود الى العقيدة والمنهج نلتزمهما التزاما كاملا ، ونؤمن بهما ايمانا تاما ، ونعتقد عن يقين وصدق أنهما وسيلتنا الى السعادة فى

الدنيـا وفى الاخرة ، وأنهما همـا اللذان يصلان بنا الى كل خير فى الدنيا وفى الاخـرة ،
وفى النفس والاهل والمجتمع والامـه ، وفى الحياة ، وفيما بعد الحياة .

مثالية الاسلام

انتصر الاسلام فى كل معاركه وميادينه :

انتصر على الوثنية واذلها ، وانتصر على الجهل وحاربه ، وعلى الوحشية والتأخر والجحود وصاولها ، وعلى الفساد والطغيان والشهوات والاهواء وناضلها ، وعلى كل معوقات الحياة والتقدم والنهضة وازالها من طريق الانسان ، واشعل فى نفس المسلم نور الضمير وهذبه وجعل منه الحكم والمسيطر على كل أعماله ، والرقيب على جميع تصرفاته .. وأنقذ الانسانية من ضلالها وحيرتها وتأخرها ..

فمثالية الاسلام قضية لاشك فيها ، وانسانيته مسألة لا جدال ولا ريب فيها .

فالتوحيد الذى بنى عليه الاسلام ، والذى يرفع من كرامة الانسان ومعنوياته ، ويصله بخالق السماء ، ويبعده عن الارض التى يعيش عليها ، ويجعل متجهه الى الله وحده .. هو مثالية لا ريب فيها .

ومبادئ الاسلام الكبرى ، وأصوله العامة ، التى جاء بها ، من عدل واخاء ، ومساواة وحرية ، واحترام للحق ودفاع عنه ، وأمر بالاحسان وحث عليه ، والتزام للفضائل ودعوة اليها ، ونهى عن كل الرذائل والموبقات والشهوات والمعاصى وزجر عنها .. كل ذلك مثالية واضحة ولا ريب ..

وتشريعات الاسلام تتضح فيها مثاليته اتضاحا تاما ، من صلاة يتساوى فيها الناس عامة فى الوقوف بين يدى ربهم ، ويتجهون فيها الى خالقهم ومدبر امورهم ، ومن زكاة هى مظهر لعدل الاسلام وسماحته وبره بالفقير وحدبه عليه واحسانه اليه ، وصوم وحج فيهما ما فيهما من الاسرار والحكم العالية ، ومن تحريم للربا والغش والاحتكار والجشع فى المعاملة وغير ذلك .

ويكرم الاسلام الانسان تكريما ظاهرا ، ويترك له حريته واختياره ، ويحترم مظهره الانسانى ويدعوه الى السمو به . ويدعو الاسلام كذلك الى العمل والى تحمل المسئولية ، والى تقدير المسلم للتبعات والواجبات المنوطة به ، وكل ذلك تكريم للانسان ومثالية ظاهرة هى مظهر لروعة الاسلام وجلاله وعموم رسالته ، وانه الدين الحق الخالد الصالح لكل زمان ومكان .

وهو فوق ذلك دين يحترم العقل والعلم ويدعو الى التهذيب والتثقيف ، وأول ما نزل من كتابه الحكيم هو قوله تعالى : " اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ

وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم " ٠

ومن مثاليات الاسلام انه يدعو المسلم فى كل وقت الى ان يشعر بشعور الغير ، ويحس باحساسه ، ويحب لغيره ما يحب لنفسه ، ويدعوه كذلك الى الرحمة والخير والبر والاحسان والتعاون والتكافل الاجتماعى ، والى اداء الواجب كاملا نحو الفقير واليتيم والمسكين وابن السبيل ٠

وتتضح مثاليته كذلك فى الغائه للفوارق بين الاجناس والشعوب والناس ، وتقريره للمساواة الكاملة بينهم ، وهدمه للعصبيات الظالمة ، والعنصرية الباطلة ، ولا متيازات لون على لون ، أو جنس على جنس ، فلا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى ، " ان أكرمكم عند الله أتقاكم " ٠

والتعاون الذى دعا اليه الاسلام ، وحث عليه ، هو تعاون على البر والتقوى والخير ، وبعد أن كان شعار الجماعة فى الجاهلية : أنصر اخاك ظالما أو مظلوما ، أصبح شعارها فى الاسلام : قف مع الحق أينما كان والتزمه ودافع عنه ، واياك والمحسوبية والانانية والاثرة ٠

ولقد هدم الاسلام الاثرة وأحل محلها الايثار ، وهدم العصبية وأحل محلها الحق والعدل ، وحرم الظلم وجعله محرما بين الناس ، ودعا الى احترام الاموال والاعراض والدماء الى احترام حق الغير فى كل شئ ٠٠ وكل ذلك بعض من مثالية الاسلام وانسانيته الكاملة غير المتناهية ٠

ومواقف الرسول الاعظم وخلفائه وولاة المسلمين فى عصر القوة الاسلامية شاهد صدق على عظمة الاسلام وروعته وجلاله ومثاليته ٠

* * *

والقرآن الكريم يحتفى أشد الاحتفاء بتأكيد الدعوة الى كل القيم العالية ، والمثاليات السامية ، فى الحياة ، حتى أنه ليدعو الى تطهير النفس وتزكيتها ، " قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها " ودعوة الاسلام كلها تطهير وتزكية لنفس المسلم ، وارتفاع بها عن المفاسد والدنايا والآثام والخطايا ، والشرور والشهوات ، وبذلك انتصر الاسلام ، ودخل فيه الناس أفواجا ، واعتنقوه عن ايمان واقتناع ٠

ان الاسلام هو الدين الوسط ، الحق ، العام ، الخالد ، الصالح لكل الاجيال والبيئات الذى جاء من الله خاتما للرسالات ، ونهاية للنبوات ، وجامعا لكل ما فيها من

مآثر وفضائل ومكارم وتوحيد وحق .. " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " .

* * *

واذا كان أسلافنا الاولون لم يقصروا فى واجب الدعوة الى الاسلام فى كل زمان ومكان ، فان إمكانياتنا اليوم أضخم وأكبر وأوسع وأقدر على القيام بمثل هذه المهمة الانسانية السامية .

وعلى الدول الاسلامية أن تكون مجلسا أعلى من كبار القادة والعلماء والمفكرين فيها ، له ميزانيته الكبيرة المستقلة ، وتكون مهمة هذا المجلس هى وضع الخطط اللازمة للدعوة الى الاسلام ونشره والعمل من أجله فى كل مكان من أنحاء العالم .. " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون " .

ان مسئوليتنا أمام الله وأمام الاجيال وأمام مستقبل الانسان لكبيرة وضخمة ، وبخاصة بعد أن أخذ الرعب يملأ آفاق الانسان فى عصر القوة والحروب الذرية المدمرة .. ورسالة الاسلام هى السلام والدعوة اليه والعمل من أجله فى الارض ، والعالم لم يكن بحاجة الى السلام فى أى عصر منه اليه اليوم .

ان الاسلام دين الله وشريعته ، دين الحق ، دين القيمة ، دين السماء ، الدين الذى نزل به الوحى المقدس على رسول كريم ، هو محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، وما أجدرنا بأن نعمل من أجل الاسلام كل ما نستطيع ، وان نبذل فى سبيله كل ما نملك ، ففيه عزنا ، وهو نورنا ، ومنه قوتنا ، وعليه حياتنا ، وبه فخرنا ، وهو الهدى والنور والسلام للناس كافة .

دين حق لا قوة

الاسلام العظيم ، والدين الكريم ، والشريعة الكاملة المثلى ، دين الله الى النـــاس كافة ، ورسالته الى البشر اجمعين ٠٠ هو دين الحق لا دين القوة ٠

كانت النظريات القديمة فى الامبراطوريات البائدة قبل الاسلام تمجد القوة ، ولا تعـترف بالحق ، وتعطى القوة كل مظاهر الحق وقدسيته ، وتفرض القوة على الناس بالسيف ، لان للقـوة فى رأى المفكرين أنذاك كل جلال الحق وهيبته ٠٠ وباسم القوة استعملت كل اساليـــب الطغيان فى معاملة الافراد والجماعات والشعوب مما لا يدخل تحت التصور ، ومما ينافى كـــل كرامة أو حريـــة ٠٠

وقد قلت فى نفسى متعجبا : يا لله كيف كان الناس يقبلون فى العصور القديمة مثل هــذا الغرور والطغيان والاستبداد وتمجيد القوة لنفسها ، واين هذا كله من سماحة الاســـلام وانسانيتــه ومثاليتــه ؟

ومنطق القوة لا يزال سائدا حتى اليوم ، وفلسفة نيتشة وهيجل معروفة ، وآراء هتلـــر وموسولينى فى تطبيق القوة على السياسة لا تزال ماثلة أمام الاذهان ٠

وفى عصور الطغيان وارتكاب الموبقات والجرائم باسم القوة ، كان العرب فى الجاهليـــة يتصورون الامر على نمط آخر من التفكير ٠٠ كانت لديهم آراء تمجد القوة وتحترمها فى شخـص القبيلة ورئيسها ، وتعطى للقوة سلطة الحق وشعاره ، وبجانب ذلك كانت لهم نواميس عامـة من احترام بعض الفضائل وتقديسها كالعفة والصدق وحماية الجار ٠٠ ومن مثل ذلك (حلـف الفضول) ، وهو اكرم حلف سمع به العرب واشرفه ، وقد دعا اليه الزبير بن عبد المطلب بعـد ان ادركت قريش حرب الفجار ، وذاقت ويلاتها اربع سنوات طوالا اصيبوا فيها بالجدب والقحط ، فتحالفت قريش على الا يجدوا مظلوما الا قاموا معه وانصفوه ، وتم ذلك الحلف فى دار عبد اللـه ابن جدعان ، وشهده الرسول صلى الله عليه وسلم شابا ، وقال فيه : لقد شهدت مع عمومــتى حلفا فى دار عبد الله بن جدعان ما احب ان لى به حمر النعم ، ولو دعيت لمثله فى الاســلام لاجبــت ٠

وجاء الاسلام الكريم ، ونزل القرآن الحكيم ، وفرض كثيرا من التشريعات التى تهـــدم النظريات القديمة فى تمجيد القوة ، واحل محل كل ذلك الحق والعدل بأوسع معانيهـــما ،

فمن امر بالوفاء بالوعد ، والتزام العهد ، وحرص على الصدق ، ونهى عن الظلم ، وحض على التعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، وتحريم للقتل وسفك الدماء في غير حدود الله ، وتحذير من الفحشاء والمنكر والبغى ، الى تقديس للامانات وامر بادائها لاصحابها كاملة غير منقوصة " يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون " (الانفال آية ٢٧) . الى غير ذلك من مظاهر تقديس حقوق الافراد وحرماتهم .

لقد وقف الاسلام مؤيدا للحق وداعيا اليه في كل مظاهره ، لانه الحق ، ولانه شريعة السماء ، ولان الحق منزل من الله الخالق العظيم . ولان فيه تكريم الفرد والجماعة والانسانية ولانه هو والسلام الاصلان العظيمان اللذان ينبثق منهما كل فضائل الاسلام واصول دعوته .

امر الاسلام الانسان بالتزام الحق في العقيدة ، فنهى عن الشرك والوثنية والتقليد وطالب العقل بأن يفكر في الدين وفي الخالق وفي السماء والارض ، وفي كل مظاهر قدرة الله العلى الحكيم في هذا الكون المرفوع بالقدرة ، المستند على العلم والارادة النافذة .

وامر بالحق في العبادات والمعاملات ، فاحل البيع وحرم الربا ، ونهى عن الغش والزور والتطفيف في الكيل والميزان واكل أموال الناس بالباطل ، والاعتداء على حقوق الغير في الملكية ، وجعل الدين المعاملة والبيع والشراء قائمين على المقايضة بالمثل واحاطة ملكية الانسان بسياج من الحرمة والكرامة ، والحق والقانون والقوة ، ونهى عن الجور على الناس في اموالهم واعراضهم ودمائهم .

وقرر حق الانسان الشخصى في طعامه وملبسه وشرابه ، وفي تكوين الاسرة وفي تربية الاولاد ، وفي التصرف في الحياة كما تقتضى الشريعة والمنطق والعقل وتقدير المسئولية ..
ولم ينزع حق الانسان الشخصى عنه حتى في الحروب ، ومن ثم نادى بتحرير الارقاء ، وضيق منافذ الرق واعطى للرقيق وهو الاسير في حرب اسلامية مشروعة حق الحياة والعيش ولم ينقصه من حقوق الاحرار شيئا ، وان كان قد جعل القوامة عليه لسيده ، وذلك الى أن يفهم الاسلام وشريعته حق الفهم ، وينشأ عليه ويتأدب بآدابه . وبعد هذا يكون المن بالعتق ، او المكاتبه على الحرية ، وغير ذلك من وسائل تحرير الارقاء .

وقدس الاسلام حق الفقير والمسكين واليتيم ، وحق العامل والخادم والمرأة ، والطفل وحق الشيخ والمريض ، وقرر كل الحقوق المشروعة لكل الافراد والجماعات والطوائف ، وجعل التعليم فريضة وحقا للمسلم ، والعلاج والقوت من مطالب الحياة الضرورية ، وحمى حرية

الانسان الشخصية فى المسكن وفى العمل ، وفى الرأى والتفكير ، وفى كل ألوان حياته ، هذه الحرية التى تتلاقى مع حريات الآخرين ومع نواميس المجتمع واوامر الدين التقاء كاملا .

وشرع كل الحقوق العادلة للشعوب ، فساوى بينها فى الحقوق والواجبات ، ومنحها الحرية والعدالة ، وامر الحاكم بالتزامها ولم يجعل له امتيازا على غيره من المحكومين . وجعل الحاكم العادل من الذين يشملهم الله برضائه وفضله يوم القيامة .

الحقوق الشخصية والعامة مكفولة فى الاسلام ، والتزام العمل بها فريضة على الناس كافة ، الحاكم والمحكوم منهم على سواء .

والعبرة فى منطق الاسلام انه ابطل منطق القوة ، وجعل كل شئ للحق وحده . وجعل الحق اسما من اسماء الله تعالى ، فالشريعة حق ، والقرآن حق ، وكل ما أمر به حق ، وكل ما اخبر عنه حق ، والبعث حق ، والحساب حق ، والجزاء حق ، والدين كله حق لا ريب فيه .

واذا كان كل حق للانسان يقابله واجب مفروض عليه ، فقد حمل الاسلام المسلم المسئولية ، وجعله ملتزما بها التزاما كاملا ، وهذه المسئولية او الامانة هى التى ذكرها الله عزوجل فى قوله : انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ..

وذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى بيته ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته .

والقرآن الكريم اعظم سند للحق ، وأقوى جهة يستمد منها الحق قوته وقدسيته وروعته وهيبته ، واذا كان الحق فى كثير من النظم الوضعية يستمد قوته من دساتير مكتوبة معرضة لتلاعب الاهواء والشهوات ، فان الحق فى الاسلام يعتمد على كتاب مقدس نزل به الوحى الامين من السماء الى الارض ، وبلغه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

ان الحق فى الاسلام هو القوة ، هو الخير ، هو السلام هو الامان ، هو شريعة المجتمع الاسلامى كله ، والحاكم فى الاسلام لا يقوم الا بالحق ولرعاية الحق ، ولا يجوز له تجاوزه ولا الاعتداء عليه ولا التفريط فيه ، وقد حرم الاسلام عليه المحسوبية والاثرة والحكم بالهوى والغرض وجعله

مسئولا عن اعمال كل معاونيه .. فاذا لم يفعل ذلك فقد فقد المصدر الشرعى الذى يستمد منه قوته وسلطته .

ان الاسلام هو الحق ، الحق العظيم ، الحق العادل ، الحق الذى يهدف الى سعادة المجتمع والامة والانسانية ، والى رفاهية الفرد وحريته اولا وقبل كل شئ .

ومن اجل ذلك كان الاسلام هو الدين الكامل ، وهو دين القيمة ، وهو دين الانسانية فى امسها وحاضرها وغدها ، وفى كل زمان ومكان ، وكل وقت وجيل .

اليمين واليسار في القرآن

اليمين واليسار في اللغة أمرهما ذائع معروف ، وقد أصبحت الكلمتان تطلقان على المعتدل والمتطرف ، وعلى السهل والصعب ، وعلى المعقول وغير المعقول من العقائد والمذاهب والآراء .

والفضل في استعمال هاتين الكلمتين بهذه المعاني ، وفي ذيوعهما يرجع للقرآن الكريم وحده ، فهو الذي كان له السبق الاول في ذلك كله ، ومن القرآن الكريم اخذ القدماء والمحدثون يستعملونهما ويرددونهما كثيرا في أحاديثهم ومحاور كلامهم ..

وليس هناك اليوم كلمات ذائعة مشهورة ، تتردد على الألسنة كهاتين الكلمتين ..

وفضل القرآن الكريم ، على اللغة ، وعلى التجديد والتطور اللغوي ، في القديم والحديث ، لايحتاج الى بيان ، فألفاظه وأساليبه هي التي أمدت أدبنا بكثير من كنوز اللغة وطرائفها وأماثيلها ، وصقله للالفاظ ، وتهذيبه للأساليب وتخليده لصور البيان الرائعة والأساليب البديعة ، والبلاغة النادرة ، مما لا يحتاج الى بيان ، ولسنا في حاجة للدلالة عليه الى برهان ..

ولأول مرة في اللغة العربية يرد استعمال اليمين واليسار بالمعاني السابقة في كتاب الله الحكيم ، فليست هناك نصوص أدبية أقدم من القرآن الكريم ، يتردد فيها ذكر هاتين الكلمتين للدلالة على المعتدل والمتطرف من العقائد والمذاهب والافكار ، أو على الجزاء الالهي العادل في الآخرة لأهل اليمين وأهل اليسار .

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم يستعمل اليمين في كل قصد واضح وجليل ونبيل وانساني من العقائد ، وليس هناك لفظ أخف استعمالا ، ولا أدق معنى ، ولا أبلغ دلالة من هاته الكلمة فيما استعملت فيه من مقاصد واليمين ترمز الى اليمن ، والحظ الطيب ، والتفاؤل الكريم ، والطريق اللاحب والى سلوك السبيل السوي ، والى مرضاة الله وثوابه لسالكيها .

وقد استعمل الشمال في الدلالة على عكس ذلك كله ، وفي لفظة الشمال رمز الى تنكب الفطرة ، والى البعد عن المحجة الواضحة ، والى ما في سلوك مثل ذلك من غاية البعد ، وفي الشمال ما في الشؤم من تطير ، وهي توحي بأن طريق الشمال من وسوسة الشيطان ، كما أن طريق اليمين من هداية الله ، ولذلك استعمل القرآن الكريم كلمة الشمال لتدل على أعمق معاني كلمة اليسار ، والتي نستعملها نحن اليوم مخطئين متنكبين عن الاستعمال الدقيق ، كما تنكبنا طريقنا في فهم معنى اليمين واليسار ، فعكسنا معنى الكلمتين في استعمالاتنا عكسا بينا ،

حتى أصبحنا ندل بكلمة اليمين على الجمود والتأخر والرجعية ، وبكلمة اليسار على التحرر ونبذ القديم والدين والعقيدة ، نظن أن ذلك هو سبيل التقدم والنهوض وحاشا لله ان يكون في اطراح العقيدة ونبذ الدين تقدم أو نهوض أو تحرر .

ومن ثم كان استعمال القرآن الكريم لكلمة (الشمال) ، وايثاره لها على كلمة (اليسار) أعمق فهما ، وأدق محلا ، وأدل على المقصود منهما .

وفي القرآن الكريم من سورة الحاقة يقول الله تعالى : " فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه . اني ظننت أني ملاق حسابيه . فهو في عيشة راضية . في جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية . وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول : يا ليتني لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابيه . يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . انه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم هاهنا حميم . ولا طعام الا من غسلين . لا يأكله الا الخاطئون"
(الحاقة ـ الآيات ١٩ ـ ٣٧) .

والصورتان هنا متقابلتان ، وعلى غاية ما تكون البلاغة والروعة والبيان والسحر والاعجاز ، وفيهما من تطوع الأسلوب وموسيقاه وجماله ما لا نجد له نظيرا ولا شبيها من كلام أبلغ البلغاء أو أعظم الشعراء .

والبلاغة القرآنية هنا تسير في طريقها الجليل النبيل ، من خدمة الانسانية ، وهداية البشرية الى الحق والى الله والى مثل الحياة وقيمها الرفيعة ، واللفظ هنا بقدر المعنى ، والأسلوب والبيان يسيران مع العقل والمنطق والحكمة .. ولا يمكن لواصف ان يصف شتى عناصر البلاغة والنظم في هذا النص القرآني العظيم ، لأن القرآن استعصت بلاغته على فهم البلغاء ، وعلى فلسفة النقاد ، فلم يعودوا يعرفون من أمر هذه البلاغة شيئا الا انها من كلام الخالق العظيم والاله القادر الحكيم .

وفي سورة الواقعة يذكر الله عز وجل أهل الميمنة ، وأهل المشأمة ، وطبقة ثالثة هي طبقة السابقين المقربين ، ويبدأ بذكر الطبقتين الأوليين لوضوحهما وكثرتهما ، وأنهما الغالبية العظمى من بني البشر ، ويؤخر الكلام على الطبقة الثالثة ، لقلتها وندرتها ودقة أمرها .

والسورة كلها في الحديث عن هذه الطبقات الثلاث ، من بدئها لختامها .. ولننظر

فى آياتها الكريمة ، نقف عندها ، نتأمل جلالها وروعتها ، وسحرها وحكمتها ، لنتفهم دلالتها فى حياة الانسانية كلها ، فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

يبدأ الله عز وجل سورة الواقعة بذكر وقوع الواقعة ، أى قيام القيامة وأثرها العظيم على الانسان والكون .. " اذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة " ..

نعم انها حق وصدق .

" خافضة رافعة . اذا رجت الأرض رجا . وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا ."

ثم يذكر الله عز وجل اقسام البشر يومئذ ، بحسب أعمالهم ومنازلهم من الله عزوجل ..

" وكنتم أزواجا ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون " .

ثم يذكر نصيب السابقين فى الآخرة من رضاء الله ونعيمه ، وحظهم فيها من الخير والجزاء الجميل .. ويبدأ بهذا القسم الثالث تنويها وتعظيما وتشريفا وتبجيلا لمقامهم عند الله .

" أولئك المقربون . فى جنات النعيم . ثلة من الأولين (١) . وقليل من الآخرين (٢) . على سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون . وحور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بما كانوا يعملون . لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما " .

وهكذا تمضى هذه السورة الرفيعة ، جليلة كريمة ، ساحرة باهرة ، تتحدث عن السابقين ومنزلتهم فى الآخرة عند الله عز وجل .. وليس غرضنا هنا أن نفسر السورة ، ولكننا نقصد الى بيان مضمونها وحده ، وصلة هذا المضمون بماضى وحاضر ومستقبل الانسانية ، ومن ثم فلم نعرض لتفسير الآيات ، ولا لتوضيح الصور ، ولا لبيان بلاغة الاساليب ، فهى ماثلة أمام كل ذى ذوق ، واضحة عند كل ذى طبع وموهبة من البيان .

ثم يذكر الله عزوجل أهل اليمين ، وما أعده الله لهم فى الآخرة من نعيم ..

" وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . فى سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة . انا انشأناهن انشاء . فجعلناهن ابكارا . عربا أترابا . لأصحاب اليمين . ثلة من الأولين (٣) . وثلة من

الآخريـــن " (٤) .

وتنتقل السورة الكريمة المكية ،وهى سورة الواقعة ، الى ذكر اصحاب الشمال ، ومـــا اعد لهم فى الآخرة ، من وبال ، وما يلقونه فيها من نكال ..

" وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بـــارد ولا كريم . انهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم . وكانوا يقولـــون : ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ؟ أوآباؤنا الأولون .؟ قل ان الاولين والاخريـــن . لمجموعون الى ميقات يوم معلوم " ..

وتستمر السورة فى خطاب هؤلاء الشماليين ، وبيان جزائهم فى الآخرة ، وفى الحجـــاج معهم رغبة اقناعهم بالبعث وصدق الأمر فيه وامكان حدوثه عند العقل ، لان قدرة الله لا يستعصى عليها شئ . ولا يعجزها أمر فى الارض ولا فى السماء .

ثم تتحدث السورة الى الرسول الكريم عن القرآن العظيم ، وأنه تنزيل من رب العالمين .. وتعود الى جدال هؤلاء المشركين المكذبين الضالين والى مصيرهم عند الموت .. " ٥٠ـ٧ من الســـورة) .

وتلخص السورة ما تتلقى الملائكة به عند الموت كلا من هؤلاء الطبقات الثلاث :

" فأما ان كان من المقربين . فروح وريحان . وجنة نعيم . وأما أن كان من أصحـــــاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما ان كان من المكذبين الضالين . (٦) فنزل مـــن من حميم . وتصلية جحيم . ان هذا لهو حق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم (٧) " .

وهكذا مضت هذه السورة سورة الواقعة ، فى ذكر اليمينيين واليساريين ، وفى ذكـــــر طبقة رفيعة من خيار الانسانية وأصفيائها ، وهى طبقة السابقين المقربين .

على ما رأينا من الجلال والحكمة والروعة والبلاغة والبيان والسحر ، سارت الى هدفهـــا المقصود من تبصير الانسانية وهدايتها واضاءة الطريق أمامها ، ورسم النهايات المحتومة للبشـــر واضحة امام عقلها ومخيلتها وعينها ، ليهتدى من اهتدى عن بينة ، وليضل من ضل عن بينة .

وجملة ذلك كله ان الله عز وجل تحدث فى كتابه الحكيم عن اليمينيين واليساريين ، ووصـــف كلا بأوصافه و وأبان ما ينال كل منهما من جزاء فى الآخرة عند اللـــه ..

فاذا كان الأمر عند المسلمين المعاصرين قد انقلب الى النقيض ، فصار اليمينيون عندهم

عندهم كأنهم المنبوذون اصحاب الشمال ، وصار اليساريون عندهم هم المختارون وكأنهم اصحاب اليمين ، فان ذلك من وسوسة الشيطان ، ومن انقلاب الميزان ، ومن فساد المنطق بتأثير سموم الصهيونية ، التى تنفث فى عقول ضعفاء الدين شرورها ، لتضلهم عن الطريق ، وتبعدهم عن الهدف ، وتقصيهم عن رضاء الله ، وعن سبيل العزة والقوة والكرامة ، ولتنقلهم من حالة الذاتية والشخصية الواضحة الى حالة اخرى من التبعية الذليلة والتقليد الأعمى لكل ضال وضار من المذاهب والعقائد والآراء . وفى ذلك للمسلمين المعاصرين الهوان والذل والشقاء الأبدى المقيم .

اللهم اجعلنا من أهل اليمين ، وأبعدنا عن ضلالات أهل الشمال ، وأنزل علينا من رحمتك ، ما يهدينا الى سواء السبيل .

---

(١) اى هم عدد ضئيل من الامم السابقة .
(٢) وعدد قليل من اتباع رسالة محمد آخر الرسالات .
(٣) أى هم عدد قليل من الديانات السابقة .
(٤) وعدد قليل من اتباع رسالة الاسلام آخر الرسالات .
(٥) أى أو يبعث كذلك معنا آباؤنا الاولون ؟ ممن مضت عليهم الاف السنين وهم فى اجداثهم راقدون .
(٦) وهم أهل المشأمة .
(٧) الخطاب هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ..

الاصالة والمعاصرة جميعاً

في الاصالة ـ ترجع الامة الى شخصيتها وذاتيتها التى كونتها الاحداث والاجيال الطويلة والمؤثرات الاصيلة فى حياتها من الدين واللغة والامال والالام والعوامل الاقتصادية والسياسة والاجتماعية والعقلية المتعددة .

وفى المعاصرة تلوذ الامة بحاضرها اكثر مما تلوذ بماضيها وتتأثر بالمؤثرات المعاصرة المختلفة وفى مقدمتها التأثر بالحضارات والثقافات السائدة والوافدة وان كان هناك من يجعل المعاصرة أخذ الامة كل تيار قديم أو حديث ومزج ذلك بروحها وذاتها (وحين يقول الاستاذ الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى (مجلة الثقافة عدد مايو ١٩٧٤) المصرية ـ وهى بالطبع موافقة للمعاصرة ـ استقطاب ما ينبثق فى العصر الحاضر من أفكار نيرة وتقاليد قومية صالحة وعادات حميدة ومبادئ رفيعة على رأسها حب الحرية والعدالة والمساواة والنزوع الى المحبة والسلام والى الطهارة والعفة ..) ، فيرجع بالمعاصرة الى المعنى الاول الذى ذكرته وهو اللواذ بالحاضر أكثر من الماضى نجد هناك كتابا يفهمون المعاصرة على معنى الاستفادة من الحاضر والماضى فى بناء وجدان الامة وروحها ، وأن المعاصرة لا تعنى الانسلاخ عن التراث والتخلى عن الماضى ، وانما تعنى مواكبة التطور الفكرى والعلمى من أجل الحفاظ على قداسة القيم والتمسك بهما .

وان الحاضر هو تراث الماضى مضافا اليه اجتهاد اليوم وفى الاصالة يقول بعض كتابنا ، مثل الدكتور بدوى طبانة (الاسبوع الثقافى ـ عدد الجمعة ١٢ من ربيع الاول سنة ١٣٩٤ هـ مفهوم الاصالة عند أمة من الامم فى ناحية من النواحى هو عراقتها فى تلك الناحية وصحة نسبتها اليها بمعنى أنها من ابتكارها وحدها وانها لم تأخذها عن غيرها من الامم أو تقلدها فيها ، ومفهوم التجديد هو الاضافة والتعديل بالزيادة أو الحذف مجاراة لتطور الامة وتقدمها فى الحياة وأخذها بأسباب الحضارة وتبدو الاصالة فى ذلك التراث الضخم الحافل الذى خلفته الامة العربية فى كثير من مجالات الثقافة العلمية والفكرية والفنية .

ويقول كاتب آخر (المصدر السابق نفسه)

(غالبا ما يعنون بالاصالة الارتباط بتراثنا القديم بكل ما فيه مع الاعراض عن الحاضر وما فيه ، وبالمعاصرة الاكتفاء بالجديد المحدث والانفصال الكامل عن كل قديم ، وهذا

النوع من الفهم سقيم ، فالاصالة تعني الشئ العريق والرأى المحكم والشئ الاصيل هـو ذو الاصل الضارب في الاعماق فالامة ذات الاصالة هي ذات التاريخ والماضي الرائع وذات الجذور القوية العميقة المتصلة بذلك التاريخ وبذلك الماضي ، ليس بكل الماضي بما فيه من غث وسمين ، بل الارتباط الوثيق بما فيه من عناصر الحقيقة والصواب والخير والجمال والسمو والقوة فالاصالـة هي فـن الانتقاء من الماضي والمعاصرة هي القدرة على الانتقاء من الحاضر) ويتابع ذلـك الكاتب كلامه فيقول : وهناك من يرى أن الاصالة الحقيقية تكمن في المزج الذكي بين تراثنـا وما يقدمه اليوم العقل الانساني من ابداعـات .

وفي الملتقى الثامن للفكر الاسلامي الذي عقد في الجزائر منذ شهور بحث أعـلام الملتقى موضوع الاصالة والتفتح ، واختلفوا حولها :

فمن الناس من ينادي بالانحصار في التراث وحده . ومنهم من ينادي بالانفتاح الكامل على الحضارة الغربية ، بحيث تكون هي الاساس ، وبحيث تكون حضارتنا الاسلامية مجـرد تراث نقرؤه . ومنهم من نادى بأن تستمر المسيرة في طريقها تأخذ من الحضارة الاسلاميـة ومن الحضارة الغربية (راجع المصور عدد ١٩/٤/١٩٧٤) .

وانا أقول لنختلف ما شئنا حول تعريف الاصالة والمعاصرة ،ولكن الشئ الذي لانختلف فيه أبدا ، ولا يصح الاختلاف فيه بحال من الاحوال هو أننا يجب علينا الاعتزاز بتراثنا اعتزازا كاملا لانـه قطعة حية من حياتنا وتاريخنا وكياننا الروحي والوطني والقومي ، تراثنا الروحـي المتمثل في عقيدتنا وشريعتنا وسلوكنا ،وتراثنا العقلي المتمثل في كل ما انتجه العقل الاسلامي من آراء وأفكار وعلوم ومؤلفات . وتراثنا الحضاري المتمثل في كل ما أبدعه الفكر الاسلامي من مقومات الحضارة وأصولهـا ، هذه الحضارة الاسلامية التي امتازت بروحانيتها ، وباشراقهـا وانسانيتها تميزا كاملا .. وان من الواجب علينا في حياتنا المعاصرة ، ونحن نبني بلادنـا ، بعد تحررها من الاستعمار ، بناء كاملا ، أن نجعل هذا التراث هو كل شئ في حياتنـا نأخذ منه ، ونستمد كل مقومـات حياتنا من منابعـه .

ان تلامذة المستعمرين والصليبيين والصهيونيين ينادون اليوم بيننا ، وفي غير استحياء ، بأن ننفصل عن الماضي كله وأن نعيش في الحاضر وحده ، وذلك جهل وظلم وجحود شديد .

ولقد عمل الاستعمار ما عمل في بلادنا من تخريب وهدم وتحريف لتراثنا ، وطعن فـي تاريخنا وحضارتنا ، وتربية جيل من شبابنا على أفكاره ونظمه ومذاهبه ، وأصبح هؤلاء هـم

الذين يجأرون نيابة عن الاستعمار بالدعوة الى الحضارة والثقافة الغربية والاخذ عنهما والرجوع اليهما فى كل شئ ، وترك الثقافة والحضارة الاسلامية تركا تاما ، وهؤلاء هم الاخسرون عملا الذين ضلوا وأضلوا .. وقد أخلدوا الى الارض ، فلم يرفعوا بالعزة والاصالة رأسا .

انى أنادى بالاصالة فنعيش مع الماضى والتراث ، ومع الدين والقرآن الكريم ، ومع اللغة والعلوم الاسلامية والعربية ، ومع حضارة أمتنا الاسلامية وتاريخها المجيد ، عيشة كاملة نتذوق كل ما فى كنوز التراث من جلال وجمال وروعة وسحر ، ونعيش كذلك معاصرين لكل جديد نافع من واقعنا ومن واقع غيرنا ، نأخذه وننتفع به ، ونثرى به حصيلتنا من المعرفة والعلم ، وفى الحديث الشريف : "اطلبوا العلم ولو فى الصين" .

أنادى بأن نعيش فى الاصالة والمعاصرة جميعا ، نشعر بعزتنا ومجدنا وجلال تراثنا ، ونشعر بحاضرنا ونعيشه وننتفع بالجديد النافع منه .

لقد أبدع العقل الاسلامى كل ثمين فى المعرفة وهداه الدين واستظل به ، فسار أشواطا بعيدة عن الكشف عن مجاهل الكون ، وسبر أغواره .

وأبدع كذلك فى كل جوانب العقل والعلم أبداعا أصيلا مميزا قدره ولا يزال يقدره رواد العلوم وأئمة الفكر الانسانى تقديرا كبيرا .

وتراثنا الفكرى والعقلى تراث جليل خالد شامخ يجب علينا أن نعيشه ونتمثله ، لانه هو الذى أضاء للانسانية طريقها أجيالا وقرونا طوالا ..

فلدينا ديننا العظيم ، وشريعتنا الكاملة الخالدة الغنية بكل كنوز الفكر التشريعى المضئ الذى أخذت البشرية عنه كل قوانينها ونظمها وتشريعاتها وعاشت فى ظلالها عشرة قرون فى أمن وعدل ورخاء وسعادة ، ثم جاء الاستعمار الغربى لبلاد الاسلام فحارب قوانين السماء ، واستبدل بها قوانين الارض ، وخرب فى الحياة الاسلامية تخريبا شديدا بكل ما كان فى استطاعته من قوة ومن حقد ومن كراهية لكل تقدم اسلامى عظيم .

والحضارة الاسلامية الرفيعة التى أظلت العالم عشرة قرون كانت منارا مضيئا للانسان والانسانية ردحا طويلا ، مما هو فى غنى عن الاشادة به والتنويه بمفاخره .

ان اصالة الامة الاسلامية ، وأصالة حضارتها وتراثها ، وأصالة ثقافتها ، كل ذلك

من مفاخرنا الجليلة الخالدة ، التى يجب على أجيال المسلمين الاعتزاز بها ، والاهتداء بهديها والاستضاءة بضوئها أبد الابـاد .

ولن تعود للامة الاسلامية عزتها وجلالها ومفاخرها الا اذا عادت لنبع هذه الاصالة ، ونهلت من موردها ، واستظلت بظلها ، ونعمت بالحياة فى نورهـا .

الاصالة والمعاصرة يجب أن يكونا جميعا شعار المسلمين المعاصرين فى الحيـاة .. نأخذ من ماضينا ونرجع اليه فى كل شىء ، ونضيف اليه من جديدنا وجديد غيرنا كل مفيـــد نافع ، وجليل ثميـن .

والسلام على من اتبع الهدى .

الاسلام فى حاضره وغده

الغد : هو التاريخ المفتوح الممتد ، فلم يعد الزمان مفصولا الى ماض، وحاضر ، ومستقبل ... بل هو تطور متصل ، وحلقة متكاملة ، يكمل غده حاضره وماضيه أبدا ، فالحياة وحدة واحدة ، فروعها من جذورها الضاربة فى أعماق الماضى البعيد .

والغد : هو حاضر الأبناء والأحفاد ، وهو الأمل الذى نعيش له ، ونحلم به دائما ، ونتمناه بجيئنا فى جمال الربيع ، وعطر الورد ورقة السحر ، فكلما ضاقت نفس الانسان بالهموم ، وأحاطت به الأزمات وأدركه السأم من واقع سئ ، تمنى الخروج منه الى غد أفضل .

وتخطيط الانسان للغد أمر ممكن ، والأمم الحازمة تخطط للمستقبل ومن أجل ذلك تقوم وزارات للتخطيط فى معظم الدول اليوم ، وهنا تتجلى عظمة الحديث الشريف : " اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا " .

وحين نتحدث عن غد الاسلام فاننا نذكر ما يجيش فى الصدور من أمل .. فى أن يأتى اليوم الذى تتولى فيه مبادئ الاسلام توجيه هذا العالم المضطرب وقيادته الى شاطئ الامان ، ونقوم فيه نحن المسلمين بواجبنا نحو الانسانية التى جعلنا الله شهداء عليها وأمرنا بتوجيهها الى الخير وتحذيرها من الشر " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون المنكر "

وتبدل الحاضر المؤلم الى غد أفضل ، ليس بالأمر البعيد فى حدود الامكان ، وليس بالشئ الذى تعجز عنه قدرة الانسان .

وتمثل انتصارات المسلمين الكبرى خلال حقب التاريخ امكان ذلك التحول ، وقدرة العقل المسلم على تحويل الهزائم الى نصر مبين ، وأمامنا شريط ممتد ،من بدر الى فتح مكة ، فاليرموك فالقادسية ، ثم حطين ، وعين الجالوت .. وأخيرا معركة العاشر من رمضان المجيد .

لقد وقفت الامبراطورية الرومانية الشرقية فى وجه الاسلام العظيم منذ معركة اليرموك حتى فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح فى أواسط القرن التاسع الهجرى ، تشن عليه الحروب ، وتدبر له المؤامرات ، وتؤلب عليه القوى المختلفة ... ونحن نعرف أنها كانت احدى القوى المحركة للأحداث فى الحروب الصليبية ، وأنها كذلك كانت المحرك لجيوش التتار لغزو العالم الاسلامى ، وحسبنا دليلا على ذلك ما يرويه التاريخ من أن هيتون ملك أرمينية

المسيحى كان العامل الرئيسى فى اقناع الملك المغولى "مانجوخان" (٦٤٦ ـ ٦٥٥هـ/١٢٤٨ ـ ١٢٥٧م) بارسال تلك الحملة التى دمرت بغداد بقيادة هولاكو (٦٥٦ : ١٢٥٨هـ) وأن هولاكو التترى زوج أبنه من أبنة امبراطور القسطنطينية المسيحى (١) .. ومع جرائم الامبراطوريه الرومانية الشرقية ضد الاسلام وشعوبه ، فأنها لم تلبث ان انهارت فجأة بدخول السلطان محمد الفاتح القسطنطينية فى اليوم الثلاثين من مايو عام ١٤٥٣م ـ ٨٥٧هـ ، حيث سار من بـــاب القديس رومانوس ممتطيا صهوة جواده ، فى موكب نبيل الى كنيسة " سانت صوفيا " فأذن مـــن فوق قبابها للصلاة ، وكان ذلك انتصارا رائعا للروح الاسلامية ، ودليلا قويا على أن قـــوة القرآن فى جمع شمل المسلمين وفى تجديد معنوياتهم ، لم يصبها أبدا الوهن فى يوم مـــن الأيـــام .

ان الشعب العربى المسلم لا يعرف اليأس أبدا ، ولم يتطرق اليأس الى قلبه فى يوم مـــن الايام .

يقول اقبال شاعر الاسلام فى العصر الحديث .

انك أيها المسلم فى العالم كله حق وحدك ، وما عداك سراب خادع ووهم باطل .

ويقول سارتون المستشرق الأمريكى المشهور (٢) :

ان شعوب الشرق الأوسط ـ وهى مجموعة الشعوب العربية ـ قد قادت العالم فـــى حقبتين طويلتـين :

أولاهما : قبل أيـام اليونان طوال ألفى سنة .

وثانيهما : فى العصور الوسطى ـ يريد عصور حضارة الاسلام ـ مدة أربعة قرون علـــى الأقل ، وليس ثمة ما يمنع تلك الشعوب من أن تقود العالم مرة أخرى فى المستقبل القريـــب أو البعيـد .

---

(١) ٢٥٢ و ٢٦٠ الدعوة الى الاسلام ـ أرنولد تومـاس ، ترجمة حسن حسن ابراهـــيم وعبد المجيد عابدين ـ وراجع : المغول بين المسيحية والاسلام ، ومغول ايـــران ، وهما لطه مصطفى بدر ..

(٢) ٦٩ الثقافـة الغربية فى رعايـة الشرق الاوسـط ـ ترجمـة عمر فروخ ـ طبـــــع بيروت سنة ١٩٥٢م ..

ويقول مستشرق ألماني ، هو صاحب كتاب " الاسلام قوة الغد العالمية " في ختام كتابه نقلا عن مفكر انجليزي (١) " لا يساورني أدنى شك في أن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين ، وتتماسك أطرافها تماسكا قويا ، وتحمل في جوانحها عقيدة مثل الاسلام ، لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب ، بل ستكون أيضا خطرا على أعدائه " وأقول لهذا المفكر : ان الاسلام ليس خطرا على أحد ، بل هو سلام وهدى ورحمة وخير للانسانية وللانسان كافة .

فما هو الغد الذي نريده اذا للاسلام ؟

انه — حتما — لا يمكن أن يكون غدا آخر مقطوع الصلة بماضينا لأن ذلك محال يأباه ديننا وتاريخنا وتراثنا وعقلنا ، ويأباه كذلك منطق الأشياء ، واذا تصورنا غدا آخر مقطوع الصلة بالماضي فأن من المحال الوصول عن طريقه الى أهدافنا ، والى وحدة اسلامية ووطنية كاملة ، ومن المحال كذلك في ظله تلافي الصراع الطبقي والحروب الاجتماعية بين طبقات المجتمع .

وقد فشلت ، ولا تزال تسير في طريق الفشل كل المحاولات لبناء غد للاسلام يرتكز على أصول غير اسلامية ، من الوثنية أو العلمانية أو المادية الالحادية أو غيرها من المذاهب الاقتصادية والسياسية السائدة اليوم .

ومحور دعوات أئمة الاسلام ومفكريه في العصر الحديث هو عودة منهج الحياة الاسلامي الذي يستمد مقوماته من الاسلام والقرآن ، منطلقا من الرسالة التي أذن بها محمد صلوات الله وسلامه عليه في شعاب مكة وبلغها للناس كافة .. فالطهر الروحي هو منطلقنا الى الحياة والمجد والعزة ، ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها كما كان يقول شيخ المجتهدين الامام مالك رضوان الله عليه .

ونحن نعلم أن عدد المسلمين اليوم في العالم لا يقل عن سبعمائه مليون في آسيا ، ونحو عشرين مليونا في أوربا وأمريكا وهو عدد هائل يمكنهم أن يصنعوا الامجاد في عالمنا المعاصر .

والاسلام وهو يجمع في نطاقه الكبير كل شئون الدين والدنيا في بوتقة واحدة لا يمكن أن يكون في عزلة عن الحياة وواقع الناس وشئون الدولة ، ولا يمكن أن يصير الى ما صارت اليه الاديان الاخرى ، من اقتصارها على شئون الانسان وحده حيث لا صلة لها بشئون المجتمع

---

(١) ص ٣٢٣ الاسلام قوة الغد العالمية .

أو الدولة ، وحيث يردد أصحابها شعارهم المعروف : دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله وهو أكثر الشعارات بعدا عن روح الاسلام وجوهره ورسالته ، والله عز وجل يقول فى كتابه الحكيم : " ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ (١) " ، وليس الاسلام كالمسيحية ولا كغيرها ، دين رهبنة فحسب ، ولا دينا لا تجده الا داخل الكنيسة وحدها ... انه حركة اجتماعية دائبة ، تشمل الاعتقاد والاخلاق والدولة والنظم الاجتماعية ، يقول العقاد (٢) : " لم يذهب الاسلام مذهب التفرقة بين ما لله وما لقيصر ، لان الامر فى الاسلام كله لله ، " بل لله الامر جميعا .. " وعلى هذا الشعار الزائف وهو : " ما لله لله وما لقيصر لقيصر " لا يكون هناك فى رأيى معنى لان يأمر الله عباده بتحمل المسئولية ، وبالأمانة وبالصدق فى المعاملة ، وبالحفاظ على أعراض الناس ودمائهم وأموالهم ، ولا بالعدل بين الناس والانصاف فى معاملة الرعية .

والتوحيد فى الاسلام هو دعامته الكبرى ، يقول محمد فريد وجدى (٣) : الاسلام أن تسلم وجهك لله ، مجردا نفسك عن علمك وعقلك وحولك وقوتك وتقاليدك كلها ، الفقر شعارك ، والخشوع دثارك ، والتقوى والرجاء والضراعة صفاتك ، متجردا له كيوم ولدتك أمك على الفطرة ، لتتحقق عبوديتك " .

وليس من ريب فى أن أعداء الاسلام اليوم من صليبيين وصهيونيين وعلمانيين وشيوعيين ووثنيين وغيرهم ينفثون على الاسلام شعارات وأفكارا زائفة كثيرة ، محاولين بذلك صد التيار الاسلامى عن طريقه ، ويجب أن يعرف المسلمون جيدا هذا ، ويجب أن يؤمنوا بأن الاسلام ليس هو ما يذيعه المستشرقون وتلاميذهم ولا ما يذيعه من يصفون أنفسهم بالمتحررين والتقدميين ، وليس هو ما تقرؤه فى كتب تروج لها أيد مجهولة تخطط لعرقلة سير الاسلام ومده العظيم .

وقد وعد الله عز وجل عباده الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح أن تكون لهم السيادة فى الأرض ، فقال عز من قائل :

---

(١) ١٥٩ الانعام ...
(٢) ٢٧ الاسلام فى القرن العشرين ط ١٩٥٤ ..
(٣) ٢ : ٣٥٦ الاسلام فى عصر العلم ...

" وعد الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم فى الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا (١) " .

ولا ريب أن الاسلام الذى سارت تحت لوائه أباؤنا وأجيالنا ، وخفقت فى ظلال انتصاراته أعلامنا وأرواحنا ، وشهدت حضاراته ومختلف تياراته أرضنا وسماؤنا وكان منه ماضينا ، ومن خيوطه نسج حاضرنا ، وفى ظلاله سوف يحيا غدنا ، وهو الذى لا غد لنا أبدا الا فى ظلاله وتحت راياته ، وفى ضوء نوره ... ولن يصنع الغد المأمول الوضاء للاسلام وشعوبه الا المسلم الحقيقى الذى وصفه اقبال شاعر الاسلام بأنه " مطلع فجر السعادة فى العالم ، ومؤذن الصباح فى الليل المظلم ، ومصدر التطور الصالح فى التاريخ ، حتى يشرق العالم بالنور ، ويستيقظ الكون من سباته بالبعث" .

يقول العقاد : اذا بقى للاسلام ايمانه والمؤمنون به ، فلا خطر عليه من أقوياء اليوم ، ولا من أقوياء الغد المجهول (٢) .

واقول للعقاد : انه اذا بقى للاسلام ذلك فان قيادة العالم كله ستوضع بين يديه ، لأنه حينئذ لن يكون هناك صوت أعلى من صوته ولا راية أرفع من رايته ، وليس الاسلام خطرا على أحد ، ليس خطرا على المسيحية ولا على اليهودية ، ولا على الشرق ولا على الغرب لأنه دين السلام والعدل والرحمة ، ودين الحب والتسامح الحقيقى .

ان الذى وقف فى معارك الاسلام الكبرى مؤمنا صامدا صابرا ، مناضلا من أجل الحق والحرية ورسالة السماء ، انما هو المسلم الحقيقى ، وهو ومن ماثله هم الذين روعوا هرقل امبراطور الرومان وفزعوه فى حروبهم فى الشام ، فلما خرج منها مهزوما مدحورا ، ووصل انطاكية ، وأقبلت فلول جيوشه اليه محطمة ذليلة ، أمر بعقد مجلس حربى أعلى ، وصاح فى كبار قواده :

- ويلكم ، اخبرونى : هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرا مثلكم ؟

- فردوا عليه : بلى

---

(١) ٥٥ سورة النور .

(٢) ١٧٩ الاسلام فى القرن العشرين

– فقال لهم : فأنتم أكثر أم هو ؟.

– قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافا فى كل موطن .

– قال لهم الامبراطور : فما بالكم تنهزمون ؟

– فسكتوا ، وأجابه قائد من كبار قواده قائلا : " أيها الملك انتصروا وهزمنا ، من أجل انهم يقومون بالليل ، ويصومون بالنهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ، ونزنى ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونظلم ، ونأمر بالسخط ، وننهى عما يرضى الله ، ونفسد فى الارض .

وفى غزو المسلمين لبلاد كسرى جلعروسول قائد جيش المسلمين فى مجلس الامبراطور الفارسى يزدجرد وأقبل عليه كسرى يسأله : من أنتم ؟ وماذا تريدون ؟ وجاء الجواب واضحا قويا جليلا : ان الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل السماء .

يقول المودودى (١) : ان فلاح الانسانية وصلاحها فى المستقبل فى أن تؤمن بالاسلام ، وتكفر بكل ما أخترعت من النظريات الباطلة .

ويشهد برنارد شو بحيوية الاسلام العجيبة ، ويقول انه الدين الوحيد الذى له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة ، وهو صالح لكل العصور وقال عن رسول الاسلام : انه يجب أن يسمى منقذ الانسانية وأعتقد انه لو أتيح لرجل مثله أن يحكم العالم الحديث لحالفه التوفيق فى حل جميع مشكلاته ، بأسلوب يؤدى الى السلام والسعادة ، هالذين يفتقر العالم اليهما كثيرا .

واذا كان المسلمون اليوم قد انتهى مصيرهم الى فرق : فرقة تذهب الى أن الاسلام قد انتهى زمنه ، وهؤلاء قد سيطر الجهل على عقولهم ، فهم مثلا لا يبلغون فى فهم الاسلام مبلغ بعض المستشرقين الذين يجهر واحد منهم بأن " قوة القرآن فى جمع شمل المسلمين لم يصبها الوهن " (٢) .

---

(١) حاجة الانسانية الى نظرية صالحة – ص ٩ ..

(٢) ١٤٤ الاسلام قوة الغد العالمية .

وفرقة أخرى تذهب الى ان الاسلام سوف يعود الى الظهور على مسرح الحياة قوة عالمية ثالثة بين قوتى الشرق والغرب ، قوة بين العديد من القوى التى تسيطر على أقدار العالم والحياة . وكنت أنا أذهب الى ذلك منذ نحو ربع قرن فى مقالات نشرت فى مجلة الأزهر عام ١٩٤٦ م وما بعده ، وفى كتبى : الاسلام وحقوق الانسان ، الاسلام دين الانسانية ، الاسلام ومبادئه الخالدة وسواهما .

ويردد العقاد ذلك الرأى أيضا فى كتابه " الاسلام فى القرن العشرين " المطبوع منذ نحو خمسة عشر عاما فيقول : ان الاسلام مجموعة من مجاميع الأمم الكبرى فى القرن العشرين ، وكذلك ذهب الدكتور محمد البهى فى كتابه " الفكر الاسلامى ، مشكلات الأسرة والتكافل " المطبوع منذ سنوات قلائل .

وأشهد بخطأ هذا الرأى ، وأقول لكم خلافه : ان الغد وحده لعقيدة الاسلام والغد للاسلام وحده .. انه سيكون فى الغد القوة الروحية المؤثرة فى العالم ، ولسوف يكون الايمان بالاسلام أمرا يوجبه مسيرة التاريخ ، وحتمية انتصار الحضارة .

ومن هذا المنطلق أرفض فلسفة الامام محمد عبده ومدرسته التى سادت فى عصر سيادة الاستعمار البريطانى وهى الفلسفة التى كانت تعمل لايجاد التقاء فكرى بين الاسلام وحضارة الغرب ، وأرى ان فكرة هذا الالتقاء خطأ جسيم لأنه لا هدف يقصد من وراء هذا الالتقاء الا خضوع الاسلام لقوة الغرب وماديته وحضارته ، هذا ما يعمل له الكثير فى أوربا والكثير من اتباعهم فى الشرق الاسلامى ... وهذا الالتقاء ليس حوارا بين الاسلام وحضارة الغرب للدعوة الى الاسلام ، ولكنه اعلان من جانب واحد هو جانبنا ، لتنازل الاسلام عن أفكاره الأساسية بحجة مجاراة الحضارة الغربية ، ومعنى ذلك أن دين الله يجب أن يستمد صلاحيته من مشرعى الحضارة الغربية ، وحاشا لله ذلك ، لأننا لا نؤمن بديننا الا اذا آمنا بأن جميع النماذج يجب أن تعود اليه وأن تصب فى قالبه .

عداوة الصهيونية :

ان غرض الصهيونية العالمية هو تمييع التراث العربى الاسلامى فى المنطقة على الرغم من تمسكها هى بتراثها الدينى اليهودى .

وموقف السلطان عبد الحميد من الصهيونية موقف معروف ، فقد ذهب اليه وفد " يهودى من " جمعية احباء صهيون " وعرضوا عليه بوساطة رئيس وزرائه تحسين باشا العرض التالى :

١- يتعهد اليهود بسداد جميع ديون الخلافة ومقدارها ١٣٣ مليون ليرة ذهبية انجليزية ، وفوق ذلك يقدمون قرضا للخلافة مقداره ٣٥ مليون ليرة ذهبية دون فائدة . ويتعهدون كذلك ببناء أسطول بحرى تجارى للدولة يتكلف ١٢٠ مليون فرنك فرنسى .

٢- على أن يسمح الخليفة لليهود بانشاء مستعمرة لهم قرب بيت المقدس ، وأن يسمح دخولهم الى فلسطين للزيارة فى أى يوم من أيام السنة .

وكان جواب الخليفة هو ما نصه :

يا تحسين قل لهؤلاء اليهود الوقحين ما يلى :

١- ان ديون الدولة ليست عارا عليها وغيرها من الدول مثل فرنسا مدينة .

٢- ليحتفظ اليهود بأموالهم ، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمى وراء حصون بنيت بأموال أعداء الاسلام .

٣- بيت المقدس افتتحها للاسلام عمر بن الخطاب ولست مستعدا لأن أتحمل فى التاريخ وصمة بيعها لليهود ولا لخيانة الأمانة التى كلفنى المسلمون بحملها .

٤- وأخيرا ، مر اليهود ، فليخرجوا من عندى ، ولا يحاولوا بعدها مقابلتى او الدخول الى هذا المكان أبدا .

وخرج اليهود ليأتمروا مع الاستعمار على السلطان عبد الحميد فقامت الثورة عليه وأقصى عن عرشه ، ثم محيت الخلافة من تركيا ، وكانت الأموال التى رصدوها لحربه وللتخلص منه هى السبب الرئيسى لكل ما حدث .

ولقد مدت الصليبية والصهيونية أيديها الى الوثنيات المختلفة ، تستعين بها فى محاربة الاسلام والقضاء عليه فى بلاد ، وفى بلاد اخرى كانت اسلامية آمنة ، مثل القرم ، والقوقاز ، وبخارى ، وسمرقند ، وخوارزم ، وزنجبار ، والفلبيين ، وموزمبيق ، وسواها . ولذلك نرى الصهيونية تلقى معاونة من الدول اليسارية وغير اليسارية على السواء ... وهذا كاسترو ينصح السفير الاسرائيلى فى بلاده ، كما ذكرته صحف كوبا واذاعتها وترجمته عنها صحفنا العربية فيقول له :

" على اسرائيل ألا تترك الحركة الفدائية تتخذ طابعا اسلاميا دينيا حتى لا يجعل من حركتهم شعلة من نار الحماس الدينى ، مما يجعل من المستحيل على اسرائيل أن تصون

كيانها، لأن الفداء اذا تملكته عقيدة دينية وبخاصة في المجتمعات الاسلامية تلاشت أمامه كـل العقائد الأخرى بما فيها الماركسية ..." وقد انطلق الحقد على الاسلام هذا الشيوعي المتطرف فقال ما قال ...

ان جميع هذه القوى تقف في مواجهة الاسلام ، لترصد حركاته والتعرف الى خطواته ، والتسمع الى أخباره ، ما خفي منها وما ظهر، لتدبروا المؤامرات له في كل مكان .

وتحرص جميع وسائل الاعلام العالمية والصهيونية على تجسيم خطر أية خطوة يخطوها المسلمون ، ليلفتوا الانظار في العالم الصليبي واليهودي والشيوعي اليها ، وليعملوا متكاتفين من أجل القضاء عليها . ويجتمع القادة الروحيون وغير الروحيين في أوربا بين الحين والحين للتخطيط لمستقبل الاسلام ... ولكن الله لهم بالمرصاد " ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين . كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز" (١) .

ويساعد الصهيونية في تحقيق أغراضها هذا الغزو الفكري الصليبي للشرق الاسلامي العربي، ونشوء طبقات جديدة من أبنائنا أصبحت لا ترى الحياة الا بمنظار الغرب وثقافاته وفلسفاته وفكره . بل أصبحت ترى أن فكر بلادها وتراثها . بل دينها . عبء ثقيل عليها . يجب طرحه . والتحرر منه وألا يبقى له أثر في حياة المسلمين المعاصرين أينما كانوا . ومن هذا المنطلق الغريب . وهو أثر غسل المخ الذي أجري في أوربا وفي مدارس التبشير في بلادنا لهؤلاء الناس . أصبحنا نجد من يصف الاسلام التقدمي العظيم بأنه دين رجعي . ومن يتحدث عن قطع يد السارق بأنه عمل بربري . ومن يقول عن كل شيء في الاسلام أنه منطق البداوة . وان تراثه متخلف من مسايرة ركب الحضارة .. وأين هؤلاء من مثل عزل نحو خمس السكان في الولايات المتحدة عن الحياة بناء على فلسفة التفرقة العنصرية . ومن مثل ابادة الوطنيين السود في جنوب أفريقيا ليحل محلهم الاوربيون البيض وكان كرومر اذا سئل عن موعد جلاء الانجليز عن مصر يقول : حين نرى جيلا مؤمنا بالثقافة الغربية وحدها .

وينادي آخرون من هؤلاء الطبقات بأن الاسلام خصم للعلم ، وتكرر الشيوعية والعلمانية أنه دين الغيبيات . وأنه سبب ضعف المسلمين . يقول مثلا كليموفتش في كتابه الاسلام المطبوع في موسكو عام ٥٦ ان الاسلام في جوهره مازال ولا يزال عدوا للعلم . ويقول ماركسي آخر : الاسلام عدو للعلم .

ونود أن نسأل مع العقاد : هل يؤمن عقل الانسان بالدين في هذا العصر ويرى دينا

أحق بالايمان به من الاسلام .

ولماذا لا يؤمن عقل الانسان بالدين . أليس أعظم رجال البحث العلمي في أوربا كانت نفوسهم مشربة بالشعور الديني العميق ..

على أنه لا يفوتنا ان نلفت النظر الى أن بعض المؤتمرات التي تعقد في أنحاء العالم باسم الاسلام هي مؤتمرات تهدف الى تزييف تاريخ الاسلام وحضارته وثقافته وأفكاره . ويتصدرها المبشرون والمتعصبون من المستشرقين وتلاميذهم .

لقد حاول الغرب اخضاع الشرق الاسلامي لماديته ولمذاهبه الهدامة ولفلسفاته اللاانسانية . ولا لحاده . ولا رائه في السلوك والاخلاق والعادات وخضعت بعض المجتمعات بتأثير ذلك لافكار الجنس والعري والربا والخمر والاستهتار وغيرها فالربا في رأى دعاة التبعية لا يستقيم أمر العالم الا به . واذا قرأنا لعالم فرنسي كبير مثل جاك اوستروى في كتابه الاسلام أمام التطور الاقتصادي الذى نشر في باريس عام ١٩٦١ لوجدناه يقول في صفحة ١١٢ : ان الاسلام يتمتع بامكانيات هائلة . واذا ما وجد الطريق الصحيح مفتوحة أمامه فان كثيرا من الصعوبات الاقتصادية سوف يحلها هو وحده . ثم يرى أنه أقدر على ذلك من غيره من مذاهب الاقتصاد الروسية والغربية .

ان سياسة التلفيق التي ينتهجها بعض الكتاب في كتاباتهم عن الاسلام لا ثمرة لها . فكل فكرة في الاسلام في رأيهم يجب ان تقاس بمقاييس الغرب وموازينه قياسا كاملا حتى تصبح مقبولة عند هؤلاء .

ومن خلف هؤلاء تنتشر المادية وينتشر المبشرون والمستشرقون للاسلام وللمسلمين ويناصبونه جميعا العداء .

اين الحضارة المادية

هذه الحضارة هي شيء مفزع ورهيب في نظر المسلم العادى ، ولكنها مع ذلك وكما نؤكد او هي من بيت النمل ، وأوهن من بيت العنكبوت .

انها حضارة لا أساس لها . مادة بلا روح وأهواء بلا عقيدة . وليست تنطوى على أية نزعة انسانية أو خلقية . وهي تقف كل لحظة أمام أبواب الفناء الذرى .

يقول اقبـال :

" مثلت حضارة الغرب دورها ، وقد شاخت وهرمت ، أينعت كالفاكهة وحان قطافهـا وسوف ينهار العالم الذى حوله مقامر والغرب الى حانة للفساد ، ولقد رأت أوربا بعينيهـا النتائج المخيفة لمثلها الاقتصادية والاخلاقية والعلمية ، ولسوف تتمخض الانسانية عن عالـم جديد ، وهذا العالم لا يحسن تصميمه الا من بنى للبشرية البيت الحرام ، وورث محمدا وابراهيم قيادة العالم " .

ان حضارة القمار والربا والمكيافيلية الشريرة ، والايد ولوجيات المتخلفة والتفرقة العنصرية البغيضة والاستعمار الوحشي البربرى ، حضارة العرى ـ والاباحية والعلمانية والمادية ، حضارة استعباد المرأة باسم تحريرها .. لا مكان لها فى قاموس المثل والقيم الشريفة .

وكل عنصر شريف فى حضارة الغرب فهو منا والينا ، يقول غوستاف لوبون فى كتابة حضـارة الغـرب :

ان أوربا مدينة للعرب بحضارتهم ، فالعرب كانوا هم مدينين للغرب ، وأئمة له فى ستة قرون ، وعن طريقهم اهتدى الغرب الى تراث الاغريق وكشف ماضيه فأخذ ينقب عنـه .

ونحن لا ننسى أن خضوع العربى المسلم لحضارة الغرب ، ووقوعه تحت سيطرتها الكاملـة ، مما جعل المواطن العربى يواجه معضلات ومشكلات هائلة وخطيرة فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والعلم ، لا يدرى كيف يتفاعل معها فى علاقاته الداخلية والخارجية على السواء ، الى الذلة النفسية التى طغت على الكثير منا أمام طغيان الحضارة الغربية وسيادتها .

وذلك على أية حال أقل بكثير مما كان الغربى يشعر به من قبل حيال سيادة الحضـارة الاسلامية العربيـة .

يقول غوستاف لوبون : الحق ان اتباع محمد ظلوا أشد من عرفتهم أوربا من الاعداء ارهابا عدة قرون ، وعندما كانوا لا يرهبوننا بأسلحتهم كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العربيـة السامقة ، ونحن لم نتحرر من نفوذهم الا بالامس .

وقد ذعر الشاعر الايطالى المشهور بترارك ـ ١٣٣٤ ـ ١٣٧٤ م ـ الذى مضت على وفاتـه اليوم ستة قرون كاملة لسيادة الحضارة العربية وعجز العقل الاوربى عن مجاراتها فقال :

يا عجبا لقد تساوينا نحن والاغريق وجميع الشعوب غالبا ، وسبقناها أحيانا ، الا العرب .

فيا لعبقرية ايطاليا الخامدة ، فهل قدر علينا الا نحمل شيئا بعد العرب .

وقد وقف المفكرون الغربيون حيال الشرق العربي موقف المتعجب المذهول .

يقول غوستاف لوبون : ان سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين وتشبثه بالعقائد الباطلة .

ويقول ولز : الدين الحق الذى يساير المدنية هو الاسلام .

ومن قبل قال عمر بن الخطاب خليفة المسلمين لبعض أصحابه : لقد أعزكم الله بالاسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله .

وقال الهرمزان الفارس لعمر وقواده . أنما غلبتمونا بالاسلام .

ونحن نقول أخيرا فى كلمة موجزة قليلة
ان الغد للاسلام .

وان الشعوب الاسلامية لها الغد المشرق فى ظلال الاسلام وهديه العظيم . الاسلام وحده هو عقيدة الغد ، والغد وحده هو لعقيدة الاسلام .

ان هذا ليس حلما من الاحلام ، بل هو الحقيقة الخالدة الواضحة وضوح الشمس فى ريعان النهار .

ان الايمان بالاسلام ضرورة ملحة للانسانية لتعيد بناء نفسها من جديد ولترتفع به على المحن ، وعلى أحداث الزمن .

ان الايمان به هو الانتخاب الطبيعى الذى ترجع اليه الانسانية بين الحين والحين ، الانتخاب والتخير لاسمى القيم والمثل التى تشق فى قدرتها على الوصول بها الى مرفأ السلام والحرية والرخاء .

ان الاسلام هو العقيدة التى تعلو أبدا على كل الالام ، وعلى أحداث الايام ، وعلى شتى المحن والخطوب الجسام .

ولسوف يظل الاسلام منارة الاجيال والعصور ، وفكرة البشرية السامية الرفيعة على مر الايام والدهور .

الإسلام وتربية الشباب

الشباب عنصر فعال فى حياة المجتمعات والأمم على طول الأجيال والعصور ، وهم طليعة الحاضر ، وقادة المستقبل ، ورواد الشعوب الى الحرية والرخاء . والاسلام ديننا العظيم ينظر الى الشباب ، من خلال المجتمع كله نظرة رعاية وعطف وتوجيه ، فهو يدعو الى شموله بالرفق والحنان وحسن التربية والتقويم ، والى تمهيده على تحمل المسئولية ، والاضطلاع بالواجب ، وأداء الحقوق ، والالتزام بالقيم والمبادئ والمثل الشريفة .

فمن رعاية نفسية ، الى معالجة شتى الاحوال الاجتماعية والاقتصادية الى فرض القدوة الطيبة التى يجدها الشباب امامهم فى الاباء والمعلمين والموجهين الى ثقافة اسلامية واسعة ترشد الشباب الى أمور دينهم ودنياهم ، وتربية دينية قويمة تحرص على فتح باب الأمل والطموح والعزة والعزيمة فى نفوسهم ، وعلى تحريرها من الخوف والتردد والقلق ، وعلى غرس السكينة والأمن والايمان العميق فى قلوبهم وأرواحهم . وفى المنزل والمسجد والمدرسة والمجتمع وكل جانب من جوانب الحياة يجد الشباب كل ألوان الاهتمام والرعاية والاسوة الحسنة التى يحتذون على منوالها ، ويمشون فى ظلالها ، وأوقات الفراغ لديهم مشغولة بالتثقف والعبادة والمشاركة فى العمل من أجل بناء المجتمع وتقدمه .

والدولة تبسط للشباب حبال الأمل والعمل والرأى والتخطيط ، لتعودهم على تحمل التبعة ، والنهوض بعبء الأمانة ، والقدرة على التصرف فى المشكلات . بل ان الدولة فى الاسلام تستشير الشباب ، وتأخذ بآرائهم ان أصابوا بها كبد الحقيقة . وكان يقال : " عليكم بآراء الأحداث ، ومشاورة الشباب ، فان لهم اذهانا تفل الحديد ، وتحطم السيوف " .

وقال الامام الزهرى (ــ ١٢٤ هـ) : كان مجلس عمر بن الخطاب رضى الله عنه غاصا بالعلماء والقراء كهولا كانوا أو شبابا ، وربما استشارهم ، وكان يقول : لا يمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه ، فان الرأى ليس على حداثة السن ولا على قدمه ، ولكنه أمر يضعه الله حيث يشاء . وفى الأحداث الكبرى كان عمر يجمع الشيوخ فيستشيرهم ، ثم يجمع الشباب ويعرض عليهم المشكلة .

الشباب والقيادة

وبفضل الاسلام وتوجيهه للشباب ظهر منهم أكثر قادة الاسلام وأبطاله وزعمائه ومفكريه ..

ومن الشباب الذين ظهروا فى عصر الرسالة : الامام على بن ابى طالب ، الذى كان يضرب به المثل فى البطولة والشجاعة ، وعبد الله بن مسعود أول من جهر بالقرآن فى مكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد الذى نشأ فى بيت النبوة ، وولاه رسول الله قبيل وفاته امرة الجيش الذى وجهه الى الشام . وقبل خروج أسامة من المدينة مات الرسول الأعظم ، وتولى خلافة المسلمين أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وبادر الخليفة بانفاذ الجيش ، وخرج بنفسه يشيع أسامة وجنده ، وأبو بكر يمشى على قدميه وأسامة القائد الشاب راكب ، ويقول أسامة يا خليفة رسول الله ، والله لتركبن أولا لأنزلن ، فيقول له الخليفة : والله لا تنزل والله لا أركب ، وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة ، وفى جيش أسامة عمر ، وأبو بكر محتاج الى عمر فى المعاونة فى حمل أعباء الدولة ، فيستأذن الخليفة أبو بكر القائد أسامة قائلا له : ان رأيت أن تعيننى بعمر فافعل ، فعاد عمر الى المدينة بأذن أسامة ، ثم قال الخليفة لأسامة : اصنع ما أمرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تقصر فى شئ من أمر رسول الله .

ومن الشباب فى الاسلام محمد بن مسلم الثقفى الذى فتح الهند ، ولم يكن عمره يتجاوز العشرين ربيعا ، وطارق بن زياد فاتح الأندلس .

وفى المدينة وقف قائد مسلم يخطب فى أهل مدينة رسول الله ، ويقول لهم : " بلغنى أنكم تعيروننى بأصحابى ، قلتم : هم شباب أحداث ، ويحكم يا أهل المدينة ، وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله المذكورون فى الخير الا شبابا أحداثا ، شباب والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم .. " .

وحسبنا أن مطلع الاسلام بدأ بالرسول الاكرم ، وبأمرأة هى زوجة خديجة أم المؤمنين ، وبشاب هو ابن عمه على بن أبى طالب .

بسم الله الرحمن الرحيم

" ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب "

صدق الله العظيم ..

الاسلام والاقتصاد

الاقتصاد فى عصرنا الراهن هو المحور الذى تدور حوله حياة الافراد والشعوب، بل أن جميع المذاهب التى تسود هذا العصر أن تميزت بشئ فذلك انها ترتكز على مذاهب اقتصادية ومهما اختلفت فى وسائلها فانها تتحد فى غاياتها التى هى - اولا واخيرا - الرفاهية الاقتصادية .

ولقد أثبت النظام الاقتصادى فى الاسلام أنه يتصدر كل النظم الاقتصادية ، انه اعطى الحضارة العالمية كل مقوماتها وأعظم النتائج الاقتصادية السليمة المربحة ، التى وطدت الثقة فى نفوس المتعاملين والجماهير ، فهو أكثر النظم فائدة ورخاء وخيرا للمجتمعات والشعوب ، يقول جاك أوسترى فى كتابه " الاسلام امام التطور الاقتصادى " الذى نشر عام ١٩٦١ فى باريس - ص١١٢ - ان الاسلام يتمتع بامكانيات هائلة ، واذا ما وجد الطريق الصحيح امامه مفتوحا فان كثيرا من الصعوبات الاقتصادية سوف يحلها هو وحده ، لانه اقدر على ذلك من غيره من مذاهب الاقتصاد " .

واذا كانت حوافز الربح وحدها هى أساس كل المحركات للاقتصاد الغربى ، فان المحرك الاول للاقتصاد فى الاسلام هو الرغبة الصادقة فى نشر الرخاء بين الناس ، وفى أزدهار التقدم والحضارة فى العالم .

والاقتصاد الاسلامى السانى النزعة ، نبيل الهدف فى غاياته وجوهره ، يقود المجتمع الى التكامل والخير والايثار والمسئولية ، وتقرير الحقوق والالتزامات المتساوية بين الناس .. وتؤكد نظرية الاسلام فى الاقتصاد ان الرابطة بين المصلحة الفردية والجماعية وثيقة من حيث نظرتها ، فمن الواجب أن تسودها المعاونة والموافقة لا المصارعة والمزاحمة ، ففى رفاهية الفرد رفاهية الجماعة ، والعكس بالعكس ، وهذه الموازنة العادلة أساسها ان تكون بين ايثار الافراد واثرتهم تناسب سليم متزن . ومن ثم جمع نظام الاقتصاد فى الاسلام شمل الامة كلها فى نطاق نبيل من المحبة والاخاء والتعاون والعمل المثمر والحرية الفردية ، من أجل تقدم الانسان وتجدد الحضارة .. بحسبنا أن لا نجد فى مذاهب الاقتصاد العالمية أية فلسفة خاصة تفوق نظرة الاسلام الى الامور الانسانية فلقد جاء بأحكام نبيلة تعترف بالملكية الخاصة وتهذبها بفرض الزكاة وتحريم الفائدة الثابتة موتضع قواعد العدالة الاقتصادية التى تكفل السلام بين الافراد والطبقات والشعوب .

واذا كانت النظرية الغربية تقول : " من كل وفقا لمقدرته الى كل وفقا للعمل المنجز " وتقول النظرية الشرقية " من كل وفقا لمقدرته الى كل وفقا لحاجته " ، فان عمر بن الخطاب يقول : " والله ما من أحد أحق بهذا المال من أحد ، وما أنا أحق به من أحد ، والله ما من المسلمين من أحد الا وله فى هذا المال نصيب ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله تعالى ، وقسمنا من رسول الله ، فالرجل وبلاؤه فى الاسلام ، والرجل وقدمه فى الاسلام ، والرجل وغناؤه فى الاسلام ، والرجل وحاجته " وهذا كلام واضح فى اثبات المساواة الاقتصادية ثم فى تحكيم الكفاية والمقدرة فى نصيب الفرد من هذه المساواة ، ثم فى الرجوع الى مدى الحاجة البشرية المطلوب دفعها .

يقرر الاسلام منع الاحتكار وكنز الاموال ، والاستغلال بدون عمل ، ويقرر ان يتداول المجتمع الثروة ولا تكون دولة بين الاغنياء ، ويجعل الدولة ويجوارها الجماعة ، مسئولين عن توفير اسباب المعيشة لجميع رعاياها .

ولقد كان الناس فى عصر الاستعمار يصفون تشريعات الاسلام بأنها تعوق المعاملات الاقتصادية ، ولا تسمح بتنظيم الشركات والمصارف ، ولم يمض جيل واحد حتى سمعنا أصحاب قوانين اخرى يصيحون بأن الرأسمالية نكبة على الانسانية ، وعائق من عوائق الحرية الكريمة والعمل النافع ، ثم سمعنا المعسكر الغربى يصف مذاهب المعسكر الشرقى الاقتصادية بأسوأ من هذه النعوت وأشد .

واذا نادى آدم سميث فى كتابه " ثروة الامم " بأن الثروة مفهوم مادى خالص ، فان سيسموندى (ـ١٨٤٢م) ينكر عليه ذلك ، أما الاسلام فيضع الثروة فى خدمة الفرد والمجتمع والامة ، وخدمة التقدم الانسانى ، لنشر الرخاء ، وتوفير العمل وجعله حقا لكل أحد ، وكفالة الدولة لجميع مرافق الامة لخدمة الرعية ، فى حرص شديد على العدالة والمساواة والتعاون — والشعور بالمسئولية ومساعدة الدولة لكل محتاج بقدر ما يسد حاجته ، والايثار وحب الخير والاحسان والصدقة وأداء الزكاة ، ومواساة الغنى للفقير وتوقير الفقير للغنى ، وشعور كل منهما بالحاجة للاخر وبأخوته ، كل ذلك مما يحرك الاقتصاد الاسلامى نحو غاياته النبيلة .

وحين حرم الاسلام الفائدة ، وجاء النظام الاقتصادى الغربى الذى أرست دعائمه بيوت المال اليهودية تقررها ، فقد شاهدنا النازية ، وكذلك المادية الشيوعية أول الامر تحرمان نظام الفائدة الربوية ، التى يجعلها كثير من الاقتصاديين السبب الجوهرى فى الاضطراب الاقتصادى الراهن ، وقد قامت بنوك للادخار على أساس المشاركة فى الربح التى هى الاساس

الاول فى الاقتصاد الاسلامى فلقيت نجاحا كبيرا ، وسيقوم قريبا بنك اسلامى برأس مال تسهم فيه الدول الاسلامية تحقيقا للنظرية الاقتصادية فى الاسلام ، ونظام المشاركة لا الفائدة يكفل النهوض باقتصاديات العالم من أجل سد احتياجاته من الانتاج والمشروعات وتحقيق العمالة الكاملة ، مع ارتباط ذلك كله بالجانب الروحى والانسانى الذى يوليه الاسلام الكريم كل عنايته .

ان السند الاسلامى للنظام الاقتصادى يقوم على فريضة الزكاة وما يتصل بها من مصارف مالية موجهة فى الاسلام نحو الخير والمصلحة العامة ، كالمصروفات وكفريضة الارزاق التى كان الخليفة عمر ابن الخطاب يطبقها تطبيقا تاما شاملا ، بالاضافة الى ما فى الفقه الاسلامى من ثروة تشريعيه فى جميع جوانب الاقتصاد ، وكأحكامه فى الشركات والمضاربة والاجارة والبيوع والرهن والوقف والمواريث والهبة والوصية وسواها ، وقد فرض الاسلام على كل مسلم أن يجعل لله حقا معلوما فى ماله " والذين فى أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم " (٢٤و٢٥ — المعارج) .

ويطيب لبعض المتجاهلين أن يطعن فى شريعة الزكاة فى الاسلام ، هذه الشريعة المحتومة التى يجعلها أبو بكر فى مقدمة الاسباب التى حارب المرتدين من أجلها .. ويكفينا الرد على ذلك ما جاء فى كتاب " اتجاه الاسلام " لجب نقلا عن ماسينيون المستشرق الفرنسى المعروف : " يمتاز الاسلام بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة ، بمساهمة كل افراد الشعب بالعشر فى موارد الجماعة (الزكاة) ومبادئ الاسلام تبذل التبادل الغير المقيد ، كما تنادى بالعداء للاموال المصرفية (الربا) والضرائب الغير المباشرة على ضروريات الحياة ، فى حين انه شديد التمسك بحقوق الوالد والزوج والملكية ورؤوس الاموال التجارية ، فهو بذلك يقف موقفا وسطا بين البورجوازية والرأسمالية والشيوعية ، والاسلام كذلك كم قام بخدمات أخرى أداها للانسانية ، وله ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها ، وليس هناك مجتمع آخر مثل ما للاسلام من ماض كله نجاح فى جمع كلمة الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة فى الحقوق والواجبات .

ان الاسلام يقف بين المذاهب الاقتصادية الكبرى الراهنة رسالة سماوية هادية فيها الخير للبشرية كافة ، ولم يكن الحاج عبد الكريم جرمانوس المستشرق المجرى بأقل شعورا بمسئوليته حينما قال : " تأثرت أعمق التأثر ببساطة الاسلام وعظمة سيطرته على نفوس معتنقيه . انه لا يوجد فى تعاليم الاسلام كلمة واحدة ، او عمل واحد من شأنه ان يعوق تقدم المسلم أو يمنع زيادة حظه من النور والمعرفة والقوة .

فى المدينة وبعد الهجرة النبوية الشريفة ، نقف أمام حدث انسانى رفيع ، هو مؤاخاة الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار هذه المؤاخاة الفريدة الفذة فى تاريخ الانسانية . مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين الاولين فى مكة وهى المؤاخاة الاولى . فلقد آخى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى المدينة ، بعد الهجرة ، بين اصحابه من المهاجرين والانصار ، فقال لهم كما يروى ابن هشام فى سيرته :

تآخوا فى الله : أخوين أخوين

أخذ بيد علىّ فقال : ان هذا أخى وكان حمزة عمه وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين فى الله .

وكان جعفر بن أبى طالب — وهو آنذاك مقيم بالحبشة منذ هاجر اليها مع جماعات من أصحاب رسول الله فرارا من أذى قرش وطغيانها — ومعاذ بن جبل أخوين .

وكان أبو بكر وخارجة الخزرجى أخوين . . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعتبان بن مالك الخزرجى أخوين فى الله .

وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ اخوين .

وكان عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الخزرجى أخوين .

وكذلك كان الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين .

وكان سعيد بن زيد وأبى بن كعب أخوين ، وكذلك كان طلحة وكعب بن مالك أخوين .

وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعباد ابن بشر صارا أخوين .

وكان عمار بن ياسر وحذيفة ابن اليمان فى هذه المؤاخاة الاسلامية الفريدة أخوين .

وأبو ذر والمنذر بن عمرو الخزرجى صار أخوين .

وصار أبو الدرداء وسلمان الفارسى أخوين .

وصار بلال وأبو رويحة الخثعمى أخوين .

وصار حاطب بن أبى بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين .

وبذلك حدثت أغرب وأعظم مؤاخاة انسانية فى التاريخ ، وكانت هذه المؤاخاة فى المدينة بين فقراء المهاجرين وبين الأنصار، وعظمت يد الأنصار على المهاجرين ، حتى قالوا فيها : ما رأينا مثل أنصار المدينة ، لقد أحسنوا مواساتنا ، وبذلوا الكثير، وأشركونا فى المهنة حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله .

هذه هى المؤاخاة الفريدة الجليلة التى حدثت فى الاسلام بعد الهجرة الشريفة على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يذكر التاريخ كله مؤاخاة أخرى حدثت غير هذه المؤاخاة ولا تذكر كتب السيرة النبوية أن رسول الله صلوات الله عليه قد أحدث مؤاخاة اخرى بين المسلمين ، غير هذه المؤاخاة فكتاب السيرة جميعا يذكرون تلك المؤاخاة ويحددون زمنها بأوائل قدوم رسول الله صلوات الله عليه الى المدينة بعد الهجرة النبوية الشريفة .

ولكنى عثرت على نصوص أخرى من السيرة النبوية ومن كتب طبقات الصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، تدل على أنه كانت هناك فى مكة قبل الهجرة مؤاخاة بين المسلمين سبقت تلك المؤاخاة التى حدثت بين الأنصار والمهاجرين .

يقول ابن الأثير فى كتابه المشهور " أسد الغابة فى معرفة الصحابة " ما نصه

" آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الزبير بن العوام وبين عبد الله بن مسعود لما آخى بين المهاجرين بمكة ، فلما قدم الزبير المدينة وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين سلامة بن وقش " - (راجع صفحة ٢٩٧ من الجزء الثانى من أسد الغابة طبعة طهران) .

وهذا النص صريح على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين الصحابة بمكة قبل الهجرة النبوية ، فلما هاجر الى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار مؤاخاة ثانية شبيهة بتلك المؤاخاة الأولى التى حدثت فى مكة بين الصحابة قبل الهجرة ، ممن هاجروا بعد هجرة رسول الله الى المدينة ، ولذلك سماهم " ابن الأثير " المهاجرين باعتبار أنهم هاجروا بعد ذلك ، بدليل قوله " آخى بين المهاجرين بمكة " .

وقد سبق أن قلنا ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه آخى فى المدينة بين الزبير وعبد الله بن مسعود ، وهذا النص الذى نقلناه من ابن الأثير يشير الى أن هذه المؤاخاة كانت فى مكة ، وأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) انما آخى فى المدينة بين الزبير وسلامة بن وقش .

فلندع هذا النص الى نص آخر من ابن الأثير فى كتابه " أسد الغابة " ، يقول عند

الحفاظ عز الدين أبو الحسن على بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير ما نصه :

" لما أسلم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام آخى رسول الله بينهما بمكة قبل الهجرة ، فلما هاجر المسلمون الى المدينة آخى رسول الله بين طلحة وبين أبى أيوب الأنصارى (صفحة ٣٩ من الجزء الثالث من كتاب أسد الغابة) .

وهذا النص صريح فى أنه حدثت مؤاخاة بين المسلمين الأولين بمكة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة .

ومن هذا النص نتبين ما يلى :

١ـ كانت هناك مؤاخاة فى مكة بين طلحة والزبير ـ بينما النص السابق يشير الى ان المؤاخاة فى مكة كانت بين الزبير وعبد الله بن مسعود .

٢ـ وفى المدينة آخى رسول الله بعد الهجرة بين طلحة وأبى أيوب الأنصارى ـ وقد ذكرنا من قبل فى خبر المؤاخاة بعد الهجرة أن الرسول آخى فى المدينة بين طلحة وشاعر رسول الله كعب بن مالك .

ونحن لا يضيرنا اختلاف الروايات فى أسماء الصحابة الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة أو المدينة .

ولكن الذى نلفت اليه النظر هنا هو ما يشير اليه ابن الأثير من أنه كانت هناك فى مكة قبل الهجرة مؤاخاة بين المسلمين رضوان الله عليهم أجمعين .

ومن ذلك كله نتبين ما يلى :

١ـ كانت هناك فى مكة قبل الهجرة مؤاخاة اسلامية أولى بين السابقين الى الاسلام ، وهذه المؤاخاة كانت ضرورية لتقوية صفوف المسلمين ، ولزيادة تعاونهم فى مجالات الدعوة والعقيدة والحياة ، ولتثبيت قلوب المسلمين .

وهذه المؤاخاة هى أول مؤاخاة فى التاريخ العالمى كله بعامة ، وفى تاريخ الاسلام كله بخاصة ، وهى مؤاخاة لم تذكرها كتب السيرة النبوية ، ومن ثم كانت مجهولة لا يشير اليها أحد من مؤرخى السيرة على الاطلاق ، ولم يكشف عن فكرتها أحد قبلى ، ولم يكتب عنها شىء قبل هذا البحث .

٢ـ وفى المدينة وبعد الهجرة حدثت مؤاخاة ثانية شارك الأنصار المهاجرين فيها أموالهم

ودورهم ومتاجرهم وكل ما يملكون ، مواساة للذين قدموا عليهم من المهاجرين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ممن فارقوا ديارهم وأموالهم ودورهم وتجاراتهم وأرضهم ومساكنهم. وهذه هى المؤاخاة المشهورة التى لم تتحدث كتب السيرة الا عنها ، ولم تشر الا اليها .

وجملة القول أن اضطهاد قريش للمسلمين فى مكة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن يقيم بين المسلمين فيها مؤاخاة كريمة نبيلة يتقاسم فيها المسلمون ما يملكون من مال ، حفظا للحياة ، وقياما بمؤونة الأهل ، وسدا لحاجات الأطفال والنساء ، ومعاونة على مواصلة الجهاد فى سبيل الله والعقيدة والقرآن .

وما أجل ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أكرم ما بذل المسلمون الأولون .

وما أنبل ما تحلوا به من ايثار ومشاركة وبذل وعطاء ومؤاخاة ومواساة ومعاونة ، لاخوانهم ممن حاربهم المشركون فى رزقهم ومالهم وكسبهم ومعاشهم .

رحمة الله ورضوانه على صحابة رسول الله من السابقين الى الايمان ، ومن المهاجرين والأنصار الذين كانوا خير الاخوان ، وأكرم الخلان ، وأعظم المواسين ، ورضى الله عنهم اجمعين .

قيمة العمل في الاسلام

يحتل العامل منزلة كبيرة في المجتمع الاسلامي ، لأنه دعامة الانتاج ، وعنصر فعـال من عناصر النشاط الاقتصادي في الأمة ، واليد المحركة لمرافق الدولة والمساعد القـوى للأمم في بناء نهضتها الاقتصادية والاجتماعية .

والعمل كل شيء يؤديه الانسان ، أو كل ما يقوم به الانسان من جهد ، أداء لمسئوليته في الحياة .. وكل انسان عامل صغيرا كان أم كبيرا ، أجيرا أو أميرا أو وزيرا .

والعامل كل انسان يعمل في مال غيره نظير أجر . وهو يطلق على العامل في الزراعـة وفي الصناعة وفي التجارة ، وفي جميع مرافق الأمـة ، وان كان العرف قد جرى في الأغلـب باطلاق لفظ العامل على العامل في الصناعـة .

وقد فسر ابن حجر العامل في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما تركـت بعد نفقة عيالي ومؤونـة عاملي صدقـة " بأنـه القيم على الأرض والأجير ونحوهمـا ، أو الخليفة بعده ، وكذلك قال القسطلاني أما النووي فذهب الى أنه القائم على الصدقـات والناظر فيهـا .

وذهب آخرون الى أنه كل عامل للمسلمين من خليفة أو غيره ، لأنه عامل الرسـول وخليفتـه من بعده ، في أمتـه .

وكان أبو بكر يعمل في التجارة ، فلما تولى الخلافة أحب أن يستمر في عمله حتى يعيش من كسب يده هو وأهله حتى لا يكون عالة على مال الناس فاجتمع عمر والصحابة وقالوا لـه ، لا تعمل وليكن عملك هو القيام بخلافة المسلمين وحدها ، وليكن لك مرتب من بيت المال ، تعيش منه ، فقبل أبو بكر على مضض ، قبل أن يكون له مرتب يسد به ضروريات الحيـاة ، وفي هذا المقام يقول : قد علم الناس أن حرفتي لم تكن لتعجز عن مؤونة أهلي ، وقد شغلت بأمر المسلمين ، فيأكل أهل أبي بكر من هذا المال . فقد جمع أبو بكر بين اشتغاله بالتجـارة واشتغاله بالخلافة ، حيث جمعهما في دائرة واحدة ، فكلاهما عمل وحرفة ، وصاحبهما عامل .

وقد عبر أبو مسلم الخولاني عن هذه الحقيقة ، عندما دخل على معاوية في قصر الامارة بالشام ، فقال : سلام عليك أيها الأجير ، فقالوا : قل السلام عليك أيها الأمـير ،

فقال : سلام عليك أيها الأجير ، فقالوا قل أيها الأمير ، فقال معاوية : دعوا أبا مسلم فانه أعلم بما يقول ، فقال أبو مسلم : نعم انما أنت أجير ، استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها ، فان أنت داويت مرضاها ، وحبست أولاها على أخراها وفاك سيدها أجرك ، والا عاقبك سيدها .

والعمل شرف وكرامة ، والعمل فريضة وواجب ، والعمل مقدس ، لأنه طبيعة الحياة المتجددة الحية المبدعة ، فلولا العمل ما كانت زراعة ولا صناعة ولا حياة ، ولولا العمل ما كانت حضارة ومدنية ، فالعمل شعيرتنا وشعارنا فى الحياة .

شعيرتنا لأنه فريضة علينا ، فرضها الدين ، فقد أوجبه على القادر عليه ، وجعله خير مكاسب الرجل ، ففى الحديث الشريف « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطيب الكسب فقال : عمل الرجل بيده . وهو كذلك فريضة فرضها العقل أيضا ، لأنه سبب الحياة وقوامها ، وكان سفيان الثورى وهو من كبار الزاهدين والتابعين يعيب على الذين لا يرون العمل .

والعمل كذلك شعارنا ، لأننا فى مجتمع تعاونى يدعو الى العمل ، يقدره ويعتز به ، ويدعو اليه نظامنا الذى حتم العمل وأوصى به ، وأعز العامل وقدره ، ومنحه كل الحقوق التى نالها غيره فى المجتمع المصرى وفى المجتمعات الصاعدة .

العمل وسيلة شريفة من وسائل الحياة ، فى أى مدلول ، وأى اصطلاح ، وهو لغة الحياة ومظهرها وهو الذى جدد ويجدد دائما أسباب التقدم والمدنية والعمران . وهو طريقنا الصاعد الى بناء أمتنا ، ووطننا ، وهو السلاح فى يدنا يساعدنا على بلوغ آمالنا المنشودة فى الحرية والعزة والكرامة والمجد . وهو المفتاح الذهبى أو السحرى الذى يفتح لنا كل مغاليق المستقبل ، والذى يبعث النشاط والحيوية فى شتى ضروب نشاطنا الحيوى ، وهو الذى يقودنا الى الرخاء والرفاهية والتقدم .

ولقد أعز الاسلام العامل ورعاه وكرمه ورفع من منزلته فى الحياة .

والميثاق يسير على هذا المنوال ، حيث يعتز بالعامل وبالعمل اعتزازا كبيرا ، ومن نصوصه فى هذا المجال :

ـ لقد أصبح العامل هو سيد الآلة ، ولم يعد أحد التروس فى جهاز الانتاج .

– ان مجالات العمل الصناعى فى مصر ليست لها حدود .

– ان مكانة العمال فى المجتمع الجديد لم يعد لها الآن من مقياس غير نجاح عملية التطوير الصناعى ، وغير طاقاتهم على العمل من أجل هذا الهدف ، وغير كفايتهم فى الوصول اليه .

ولقد أولت ثورتنا الخالدة العمل والعمال عنايتها الكبيرة ، فحققت لهم الرعاية التشريعية والصحية والمالية والنفسية ، وأدت لهم الكثير من الخدمات الاجتماعية وعينت ممثلين لهم فى مجالس الادارة ، وفرضت تمثيلهم بنسبة كبيرة فى جميع المجالس المحلية والمركزية .

ولقد عاش كثير من الأنبياء فى بيئة العمل والعمال ، ثم تدرجوا حتى بلغوا مرحلة النبوة ، ومن بينهم : داود ، وموسى ، ومحمد ، عليهم السلام .. كان داود يصنع الدروع ويبيعها ويأكل من عمل يده ، وكان موسى يعمل لشعيب عليه السلام ، وقضى ثمانى حجج عاملا فى سالة ، وكان زكريا نجارا ، وكذلك كان نوح عليهما السلام ، وكان لقمان خياطا ، وكان ادريس صالحا عابدا وكان خياطا كذلك ، يتصدق من كسبه بما فضل عن قوته . وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رعى الغنم ثم فى التجارة ، فقضى صدر شبابه عاملا لأهل مكة فى أموالهم ، ثم عاملا لخديجة احدى سيدات قريش فى مالها .

وكذلك عاش فى بيئة العمل كثير من العلماء والمفكرين والسياسيين ، ومن هذه البيئة خرج الكثير من العصاميين والعبقريين والناجحين فى الحياة على مر العصور ، وحسبنا فى العصر الحديث أديسون مثلا من أمثلة نجاح العامل فى الحياة .

والاسلام – فوق أنه قد أعز العامل ورعاه وكرمه – يمنحه اهتماما بعيد المدى .. وكان أكثر قادته من بيئة العمل ، ومن صفوف العمال .

وحسبنا رسولنا الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فهو العامل الأول فى الاسلام ، وحسبنا كذلك أئمة الصحابة ، فقد كان أبو بكر وعمر قبل ان يتوليا الخلافة عاملين ، وكان على بن أبى طالب يعمل ، وكان أصحاب رسول الله يعملون ، كان خباب بن الارت حدادا ، وعبد الله ابن مسعود راعيا ، وسعد بن أبى وقاص صانعا للنبال ، والزبير خياطا ، وبلال خادما ، وسلمان الفارسى حلاقا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبب العمال فى مهنتهم ، روى الغزالى أن عاملا

جاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما تقول فى حرفتى ؟ قال : وما حرفتك قال : حائك ، قال عليه الصلاة والسلام : حرفتك حرفة أبينا آدم عليه السلام ، وكان أول من نسج ، وكان جبريل يعلمه ، وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يشجع النجارين ويقول لهم : كان زكريا عليه السلام نجارا ، وذكر صلى الله عليه وسلم أن من افضل الأعمال أن تعين صانعا (١)

وللعمل فى الاسلام شرف كبير ، وكانت بعض الشرائع القديمة تنظر الى عقد العمل على أن معناه الرق والتبعية ، والبعض الآخر تقرنه بالمطل والضيم والهوان ، وكانت المسيحية تعتبر العمل عقوبة رمى الله بها البشر جزاء وفاقا على معصية أبيهم آدم فى الجنة ، فقد كان من نتائج هذه المعصية أن طرده الله من الجنة ، وقال له : ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك (٢) ، بعرق وجهك ، بعرق وجهك ، تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض (٣) .

أما فى الاسلام فالعمل شئ مطلوب ومرغوب فيه ، والدين يوجبه ويحث عليه ، وللعامل بسببه المنزلة .

وقد نوه القرآن الكريم ببعض الصناعات التى كانت سائدة فى المجتمعات القديمة أو فى المجتمع العربى على عهد نزول القرآن .

نوه بصناعة الحديد فى قوله تعالى : " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس (٤) .

ونوه بصناعة التعدين حيث يقول : وما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله (٥) .

ونوه كذلك بصناعة الكساء حيث يقول : يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا (٦) ، وحيث يقول : ومن اصوافها واوبارها وأشعارها آثاثا ومتاعا الى

---

(١) ٢ : ٧٢ و ٧٣ صحيح مسلم بشرح النووى .
(٢) العهد القديم - الاصحاح الثالث - ١٧
(٣) المرجع نفسه - ١٩
(٤) آية ٢٥ - الحديد .
(٥) " ١٧ - الرعد .
(٦) " ٢٦ - الاعراف .

حين (١) .

وكذلك يشير القرآن الكريم الى صناعة المساكن حيث يقول : وتنحتون من الجبال بيوتا (٢) ، ويقول : وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين (٣) .

كما يشير الى صناعة الدروع ، وهى صناعة داود عليه السلام : وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم (٤) ، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم (٥) .

وفى صناعة السفن يقول تعالى لنوح عليه السلام : واصنع الفلك بأعيننا ووحينا (٦) ، ويقول : وله الجوار المنشئات فى البحر كالأعلام (٧) .

وفى الصيد وصناعاته يقول القرآن الكريم يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد ، تناله ايديكم ورماحكم (٨) ، ويقول : أحل لكم صيد البحر وطعامه (٩) ، ويقول : لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها (١٠) ، ويقول : ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها (١١) .

وفقهاء المسلمين يرون الصنعة أطيب المكاسب ، ويستدل على هذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده (١٢) ، ويشرح ذلك صاحب كتاب " فتح البارى " فيقول : وفى الحديث فضل العمل باليد ، وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره ، والحكمة فى تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره فى أكله على ما يعمله بيده لم يكن عن الحاجة لأنه كان خليفة فى الأرض كما قال الله تعالى ، وانما ابتغى الأكل من طريق الأفضل ، ولهذا

---

(١) آية ٨٠ ـ النحل .
(٢) " ٢٧ ـ هود .
(٣) " ٧٤ ـ الاعراف .
(٤) " ١٤٩ ـ الشعراء .
(٥) " ٨٠ ـ الانبياء .
(٦) " ٨١ ـ النحل .
(٧) " ٢٤ ـ الرحمن .
(٨) " ٩٤ ـ المائدة .
(٩) " ٩٦ ـ المائدة .
(١٠) " ١٤ ـ النحل .
(١١) " ١٢ ـ فاطر .
(١٢) " ٣ ص ٧ سبل السلام للصنعانى

أورد النبى صلى الله عليه وسلم قصته فى مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد [1] .

وقد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدا ورمت من العمل ، وقال: هذه يد يحبها الله ورسوله . وقال صلى الله عليه وسلم : ان الله يحب العبد المؤمن المحترف [2] . ويقول : من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا لـه [3] .

وقال رسول الله صلوات الله عليه : ما بعث نبى قط الا رعى الغنم ، قيل : وأنت رسول الله ؟ قال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة ، والقيراط : نصف عشر الدينار ، وقيل ان القراريط موضع .. وقال عمر بن الخطاب : انى لأرى الرجل فيعجبنى فأقول : أله حرفة ، فان قالوا : لا ، سقط فى عينى .

وقد تأصل حب العمل عند المسلمين ، حتى لنرى من قادة الفكر منهم من يلجأون للعمل اليدوى ، ليحتالوا به على سد معتهم وحاجة عيالهم ولا يجدون غضاضة فى ذلك ، وكان أحمد بن حنبل ، وهو أحد أئمة المسلمين ، يؤجر نفسه للعمل فى الطريق ان لم يجد ما ينفقه سوى هذه الأجرة ، يقول على بن الجهم : كان لنا جار ، فأخرج الينا كتابا وقال : أتعرفون هذا الخط؟ قلنا : هذا خط أحمد بن حنبل ، فكيف كتب لك الكتاب؟ قال : كنا مقيمين بمكة عند سفيان بن عيينة ففقدنا أحمد بن حنبل أياما ، فذهبنا لنسأل عنه ، فاذا الباب مردود عليه ، فقلت : ماخبرك ؟ قال : سرقت ثيابى ، فقلت معى الدنانير ، فان شئت أخذتها صلة ، وان شئت اخذتها قرضا ، فأبى ، فقلت: تكتب لى بعض الكتب بأجرة ؟ قال : نعم ، فكان منها هذا الكتاب .

والآن ما حقوق العامل فى الاسلام ؟

تعنى الشريعة الاسلامية بالعمل والعمال وحقوقهم عناية كبيرة ، وقد اتجه أئمة التشريع الاسلامى الى رعاية العامل والتمكين له فى الحياة .

وتتجلى عناية الاسلام بالعامل فى كثير من مسائل الفقة التى منها ما يلى :

<u>أولا</u> : يقرر الاسلام حق الأفراد فى العمل ، فضلا عن نهيه عن البطالة .

روى البخارى وغيره ان رجلا جاء الى النبى صلوات الله عليه يطلب اليه أن ينظر فى أمره لأنه خال من وسائل الكسب ، ولا يملك ما يستعين به على القوت ، فدعا رسول الله صلى الله

(١) ٤ : ٢٤٤ فتح البارى
(٢) ٢ : ٢٩٠ فيض القدير للمناوى بشرح الجامع الصغير . (٣) ٦/٨٨ المرجع السابق.

صليه وسلم بقدوم ، ودعا بيد من خشب سواها بنفسه ووضعها فيها ، ثم أعطاها للرجـــل ، وأمره أن يذهب الى مكان عينه له ، وكلفه أن يعمل هناك لكسب قوته ، على أن يعود له بعد أيام ليخبره بحالـه ٠

والاسلام يتيح لمن لا مال له التعاقد مع أرباب الأموال الذين يعجزون عن تثميرهـــا على القيام بهذا التثمير بشرائط خاصة ، تحقق النفع للطرفين كليهما ، ومن هذه العقـــود :

١ـ المزارعة : وهى عقد عمل على الزرع بين صاحب الأرض وبين الزارع على أن يقســم الحاصل بينهما بالحصص التى يتفقـان عليها فى عقد العمل ٠

٢ـ المساقاة وهى عقد عمل على دفع الشجر والكروم الى من يصلحها بجزء معلـــوم من ثمرهـا ٠

٣ـ عقد الاجارة ، وهو عقد عمل على تملك المنافع أو هو بيع المنافع ٠

٤ـ عقود الشركـات ٠

ومن القواعد العامة التى تهدف اليها الشريعة الاسلامية دعوة أصحاب المال الـــــى التعاون مع العمال باعطائهم رؤوس أموالهـم للقادرين على استثمارها ، ممن ليس لهم مـــال بشرط أن يكونوا ممن تتوفر فيهم الأمانة والصدق والاخلاص وحسن التصرف ٠

وهكذا أصبح ايجاد العمل للعاطلين عملا يتعاون فيه كل فرد مع الدولة ، وهو مـــن التقاليد الاسلامية النبيلـة ، بل واجب دينى جليل ٠

والعاطل بارادته عاص فى الاسلام ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشد الناس عذابا يوم القيامة المكفى الفارغ ، ومعنى المكفى : الذى يكفيه غيره ضروريات الحياة والعكس ، ومعنى الفارغ العاطل الذى يخلد الى الكسل والبطالة ٠ ويحذر الاسلام من البطالــــة وسوء نتائجها ، وفى الحديث الشريف : اذا قصر العبد فى العمل ابتلاه الله بالهـــم[1] ، ويقول صلى الله عليه وسلم : أخشى ما خشيت على أمتى كبر البطن ومداومة النوم والكســل[2] ، ويدعو القرآن الكريم الى العمل : فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقـه[3] ، ويقول تعالـــى

---

(١) ١ : ٤١٧ فيض القدير للمناوى
(٢) ١ : ٢١٥ المرجع نفســه
(٣) آيـة ١٥ ـ الملـك

أيضا : فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله[1] .

ثانيا : تحديد الأجرة تحديد واضحا ، والا فسد عقد العمل ، والاسلام ينهى عن استئجار الأجير حتى يبين له أجره[2] ، وأداء أجر العامل يدخل فى العقود التى أمر القرآن الكريم بالوفاء بها ، وفى الأمانات التى أمر أن تؤدى الى أهلها . وفى الحديث الشريف أن ثلاثة الله خصمهم يوم القيامة ، وذكر منهم الرجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يوفه أجره[3] ، وتقدير جهود العامل تقديرا قائما على الانصاف وعلى العدل أمر مرغوب فيه فى الاسلام فلا يجوز فى رأى الاسلام الذى يوجب معونة العامل أن ينتهز أصحاب الاعمال فرصة حاجته الى العمل فيبخسوه حقه ، ويغبنوه فى تقدير أجره الذى يستحقه نظير عمله ، ولابد أن يكون ضامنا لنتيجة مجهوده . وكذلك منع الدين كثيرا من المعاملات التى لا يتحقق فيها ضمان العامل لأجره ، ومن بينها اعطاء الأرض للعامل يزرعها على أن يكون أجره مما يخرج منها لجواز أن لا تخرج الأرض محصولا ، وان كان كثير من العلماء قد أجازوا مثل ذلك لما فيه من تبادل المنفعة بين الناس ، وللثقة الغالبة باعطاء الارض ثمراتها . ومن بينها أيضا أن تكون الأجرة مجهولة القدر ، فذلك عقد عمل فاسد ، اذ لابد ان تكون الأجرة معلومة معينة ، وفى الحديث الشريف : من استأجر أجيرا فليعلمه أجره . وتلزم الأجرة [illegible] العمل ، أو بشرط العامل دفعها اليه قبل العمل بشرط التمكن من الحصول على المنفعة أى العمل المقصود . ويحث الاسلام على التعجيل بدفع أجرة العامل له ، ففى الحديث النبوى : أعطوا الأجير اجره قبل أن يجف عرقه . والاسلام يحث أصحاب العمل على انصاف العمال بحيث تؤدى لهم أجورهم كاملة ، ويجعل فى ذلك الأجر العظيم والثواب الكريم من الله ، وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ثلاثة أووا الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فدعوا الى الله بصالح أعمالهم ، فانفرجت الصخرة ، فنجوا جميعا وكان مما دعا به أحدهم أن قال : اللهم انى استأجرت عمالا فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد منهم ترك الذى له وذهب ، فاستثمرت له اجره حتى صار مالا كثيرا ، فجاء بعد حين فقال : يا عبد الله اد لى أجرى ، فقلت له : كل ما ترى هو من أجرك ، هذه الابل والبقر والغنم ، فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بى وأد الى أجرى

---

(١) آية ١٠ - الجمعة

(٢) ٥ : ٢٩٢ نيل الأوطار للشوكانى

(٣) ٥ : ٢٩٥ المرجع نفسه

فقلت : لا أستهوى بك ، فأخذه كله ولم يترك منه شيئا ، وهكذا من يؤدى للأجير أجره يصبح مجاب الدعاء من المولى عز وجل .

ثالثا : حفظ كرامة العامل ، فالعمل فى الاسلام ليس ذلا وهوانا للعامل بل هو سبيل الشرف والحياة الكريمة لكثير من أبناء الأمة . لهذا يجب تقدير منزلة العامل واحترام معنويته ، وفى الاسلام وحياة عظمائه شواهد عديدة على ذلك ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل مع الأجير ، ويساعد فى العمل .

وحدث ذات مرة ان اشترط بعض العمال من العرب على صاحب العمل فقال : لكن يدى مع أيديكم فى كل ماتنالون وذكر والدى عليكم محرم ، فقبل صاحب العمل هذا وحمد للعامل حسه وإباءه .

ومن مظاهر حسن المعاملة التى يلقاها العامل من رب العمل فى الاسلام أن ديننا الخالد يجعل صاحب العمل والعامل سواء فى الكرامة والمنزلة أمام الله والقانون والناس ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجميع أخوة ، وأوجب على رب العمل اذا كان عنده خادم أو رقيق ان يطعمه مما يطعم ويلبسه مما يلبس ، واذا كان هذا شأن الخدم والرقيق فهو من باب أولى شأن العمال الأحرار ، وقد نبه على ذلك ابن حجر فقال ويلتحق بالرقيق من فى معناه من أجير أو غيره[1] ، ويقول الفقهاء : يصح اجارة العامل أو المرضعة بكسوتهما وطعامهما ، وعند التنازع فى صفة الطعام والكسوة يكون لهما الحق فى طعام وكسوة مثل طعام الزوج او الزوجة وكسوتها ، وروى أن عليا كرم الله وجهه اشترى ثوبين وأعطى خادمه الرقيق أغلاهما وأخذ لنفسه الرخيص ، فقال له الرقيق : أنت يا مولاى أحق بهذا الثوب ، فقال له : كلا انك اولى به منى لأنك شاب وأما أنا فقد هرمت .

وقد تنوعت أنواع البر التى حبس عليها أغنياء المسلمين كرائم أموالهم ، وقد ذكر ابن بطوطة فى رحلته فى حديثه عن الاوقاف فى دمشق معرفا عليها له دلالة الانسانية فى المحيط العمالى ، ذكر أنه رأى فى بعض أزقة دمشق عاملا حدثا سقطت من يده صفحة من الفخار الصينى فكسرت فاجتمع عليه الناس ، وقال له بعضهم : اجمع شقفها واحملها معك لصاحب اوقاف الأوانى فجمعها ، وذهب الرجل معه اليه فأراه اياها ، فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن[2] .

---

(١) ٥ : ١٣٢ فتح البارى .
(٢) ٦٠ و ٦١ رحلة ابن بطوطة .

رابعا : حرية العامل فى العمل

لا يصح فى الشريعة الاسلامية اذا أعطى رب المال مالا للعمال ليتجروا لهم فيه أن يقيد عليهم حريتهم فى العمل ، ولا يصح أن يشترط عليهم ألا يتجروا فيه الا فى زمان أو مكان معين ، او أن لا يتعاملوا فيه الا مع أناس معينين . وذلك لأن العامل مادام ما نوسا فيه الكفاية والمقدرة والامانة فى العمل لا يصح أن يقيد فى عمله بأى قيد ، ولقد رأى بعض الفقهاء أن العدالة فى معاملة العامل وانصافه تقتضى وجوب المساواة فى الربح بين العامل وصاحب المال ، فكل ربح ناتج من العمل يكون مناصفه بينهما مناصفة ، وهذا أرفع حدود المساواة .

خامسا : تقرير حق العامل فى فسخ عقد العمل فى أحوال منصوص عليها ، وتقرير حقه فى الرجوع على صاحب العمل بالتعويض المجزى عن اصابات العمل .

سادسا : تقرير حق العامل فى استمراره فى القيام بواجبات عقد العمل مالم يقع منه اهمال او تفريط أو خيانه فى حق العمل . وتقرير حقه فى المعاش اذا مرض أو بلغ سن الشيخوخة ، ويرمز لذلك حديث ورد عن رسول الله صلوات الله عليه ، وهو أن رجلا أرهق جملا له فى العمل ، فهرم ، فأراد أن يذبحه ليستريح من عبء مؤونته ، فقال له صلى الله عليه وسلم : أكلت شبابه حتى اذا هرم أردت ان تنحره ، فتركه الرجل وعن تميم الدارى رضى الله عنه قال : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ أقبل بعير يعدو ، حتى وقف على هامة رسول الله صلوات الله عليه ، فقال له رسول الله : أيها البعير اسكن فان تك صادقا فلك صدقك ، وان تك كاذبا ، فعليك كذبك مع أن الله تعالى قد أمن عائذنا ، وليس بخائب فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير ، فقال صلى الله عليه وسلم : هو بعير هم أهله بنحره وأكل لحمه ، فهرب منهم ، استغاث بنبيكم صلى الله عليه وسلم ، فبينما نحن كذلك اذ أقبل صاحبه ، فلما نظر اليه البعير عاد الى هامة رسول الله (ص) فلاذ بها ، فقال : يا رسول الله هذا بعيرى هرب منذ ثلاثة أيام فلم ألقه الا بين يديك ، فقال رسول الله (ص) : أما انه يشكو الى فبئست الشكاية ، قال يا رسول الله : ما يقول ؟ قال : يقول انه ربى فى امنكم أحوالا ، وكنتم تركبون عليه فى الصيف الى موضع الكلأ ، وترحلون عليه فى الشتاء ، فلما رزقكم الله منه ابلا سائمة هممتم بذبحه وأكل لحمه ، فقال : والله يا رسول الله كان ذلك ، فقال النبى (ص) : ماهذا جزاء المملوك الصالح من مواليه قد استغاث بك فلم تغثه ، أنا أولى برحمته منك ، فان الله نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها فى قلوب المؤمنين .

فاشتراه (ص) بمائة درهم ، وقال : أيها البعير انطلق فأنت حر لوجه الله تعالى .

سابعا : عدم ارهاق العامل أو اعناته فى العمل وفى الحديث الشريف : ولا تكلفوهم مالا يطيقون ، فاذا كلفتموهم فأعينوهم ، وقال شعيب لموسى عليهما السلام : وما أريد أن أشق عليك ، ولنا فى أنبياء الله ورسله قدوة حسنة .

ثامنا : تقرير حق العامل فى الراحة الاسبوعية ، ففى الفقة الاسلامى : لو استأجر رجل مسلم رجلا مسيحيا شهرا كاملا كانت ايام الآحاد مستثناه من العمل ، فلو كان العامل مسلما كانت أيام الجمع كذلك مستثناه من العمل .

تاسعا : والاسلام يرى تفاوت الاجور تبعا لتفاوت الاعمال ، فهو يحترم الفروق الطبيعية فى الذكاء والجهد والاستعداد ، ويعطى كل ذى حق حقه ، وكانت الرواتب فى صدر الاسلام تتفاوت بتفاوت أصحابها منزلة وجهادا فى الدين ، وسبقا الى الاسلام .

عاشرا : حق الرعاية الطبية للعامل فى الاسلام ، وكانت هذه الرعاية تمتد لتشمل فترة النقاهة أيضا ، حتى لقد كان مستشفى قلاوون بالقاهرة يعطى كل مريض عاملا كان أو غيره ، حين خروجه من المستشفى خمس قطع ذهبية ليعيش بها ، حتى لا يضطر الى العمل فى فترة النقاهة ، وكان مستشفى مراكش الذى بناه المنصور ابو يوسف يعطى المريض عند خروجه من المستشفى مالا يعيش به ريثما يستطيع العمل .

والاسلام يعنى بنظافة العامل وغيره من كل الطبقات . كما يعنى بصحته ، ومن اتاحة اسباب النظافة للكافة ان حمامات المياه الساخنة كانت منتشرة قديما فى عواصم العالم الاسلامى والمجان ، فضلا عن مجانية الصابون . بينما كانت الحمامات فى فرنسا مثلا من الندرة وغلاء الاجر بحيث لا يقوى الشعب على دخولها ولم تنشأ الحمامات ذات الاجور الرخيصة فى انجلترا الا بقانون ٢٦ ابريل عام ١٨٤٦ ، والنظافة عند المسلمين عبادة ، وطاعة عبادات كبيرة ، كالصلاة ، وهى بالضرورة من قوانين حياتهم اليومية كالوضوء والغسل .

ويعنى الاسلام بنشر الرياضة بين العمال وغيرهم وبخاصة ما يتصل منها بأعمال الفروسية والحرب والاعداد للقتال والدفاع عن الوطن الاسلامى .

وعناية الاسلام بالعلم والتعليم ، واتاحتهما للعمال وكافة طبقات الشعب ، معروفة وفى الحديث الشريف : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وهكذا تشمل رعاية الاسلام للعامل جميع جوانب حياته : العقلية والصحية

والمالية والنفسية والاجتماعية وسواهـا .

هذه مكانـة العامل في المجتمع الاسلامي . الذى نستمد من أصوله كل مقومـــات حياتنـا .

وفقنا الله وهدانـا سواء السبيل . وما توفيقي الا باللـه عليه توكلـت واليه انيب .

بناء الحضارة

هذه الحضارة القائمة اليوم فى الغرب المتمثلة فى أضخم مظاهرها المادية ، من صواريخ وقنابل ذرية وهيدروجينية وفلكية ، ومركبات قمرية ، وغيرها ، لم يكن عجبا أن تقوم فى غير موطن الحضارات العالمية من قبل .

فاذا كانت الحضارة الغربية هى التى خلفت الحضارة الاسلامية وهى التى ورثتها ، فان حضارة الاسلام انما كانت منطقتها هى الشرق الاوسط ، بيئة الحضارات ، ومجتمع المدنيات العالمية القديمة ، فلقد نشأ الاسلام فى بيئة متصلة بمراكز الحضارة البشرية اتصالا وثيقا : الرومية والفارسية والمصرية ، ففى بلاد الشرق الاوسط قامت كثير من الحضارات : السبئية ، والاشورية والبابلية والفينيقية والفرعونية وغيرها ، وكانت كذلك على صلة كبيرة بالحضارة الهندية والصينية كما كانت على صلة بالحضارات الكسروية ، والقيصرية .

منطقة حية حافلة بمظاهر التطور الكبير الذى حققه حلتقاء الحضارات فيها ، وقد ازدهر الاسلام فى نفس المنطقة التى نشأت فيها أصول جميع الحضارات الكبرى ، وهى الشرق الادنى ، الذى شاهد ثورة العصر الحجرى الحديث ، وعاين قيام أول حياة زراعية فى تاريخ الانسان ، كما عاين تأسيس المدن ، وحكم الاسر الملكية الاولى وتصنيف الادبيات ، واذا كانت المواليد الحضارية فى المنطقة قد انقطعت ، فانها لم تفقد طاقتها الابداعية التى ظهرت فى أحلى مظاهرها فى انبعاث الحضارة الاسلامية والاسلام أجل رسالة حضارية هزت العالم هزا عنيفا ، وجاء بها نبى عربى من مكة المكرمة الموطن الاول لهذه العقيدة السماوية الجليلة ، ذات الطابع الحضارى الانسانى ، ويتجنى كثير من الكتاب والمؤرخين الغربيين على الاسلام فيصفونه بكراهيته للمدنية عامة ومناهضته للفنون ، وبقيامه فى بيئة ثقافية ضحلة ، ومن بين هؤلاء كرومر ...... ويرد على ذلك مؤرخ غربى اخر هو توينبى – الذى انصف الاسلام فى كتاباته الى حد ما (1) بأن العراق وقت ظهور الاسلام كان دعامة الامبراطورية الساسانية سياسيا وثقافيا ، وأن سوريا ومصر كانتا كذلك العمود الفقرى للامبراطورية البيزنطية ، وأن هذه البلدان الثلاثة سوريا ومصر والعراق – تجلت طاقاتها الحضارية على يد الاسلام حينما اعاد توحيدها سياسيا لاول مرة منذ أن تفككت الامبراطورية الفارسية قبل ذلك بألف سنه على وجه التقريب ، ففى ظلال الامويين والعباسيين استعادت منطقة جنوب اسيا ومصر مركزيتهما .

---

(1) راجع حضارة الاسلام فى دراسة توينبى للتاريخ لفؤاد محمد شبل .

باعتبارهما قلب العالم الاسلامى النابض مثلما كانتا قبل الاسلام طوال ثلاثة الاف سنه[١] .

ولم تفقد هذه المنطقة على أية حال قيمتها الحضارية لقيام الحضارة الغربية فى بيئة جديدة بعيدة عنها ، فان بيئة الحضارة الغربية انما كانت امتدادا لبيئة الحضارة الاسلامية من ناحية ، وكانت هذه الحضارة الغربية كذلك منبعثة بتأثير الحضارة الاسلامية وبفضلها من ناحية ثانية ، والاسلام وهو الذى منح الحضارة الاسلامية كل مقوماتها قد اعطى الحضارة الغربية قدرتها على القيام والانبعاث من ناحية ثالثة .

فلقد قام واستيقظ الفكر الاوربى من سباته الذى دام نحو عشرة قرون أو يزيد على صوت قدوم العلوم والاداب والفنون الاسلامية[٢] وكل موجة علم أو معرفة قدمت لاوربا كان مصدرها البلدان الاسلامية ، وفى هذا ما يفسر للقارئ ما ذكرته له من أن بيئة الحضارة الغربية ، هى امتداد لبيئة الحضارة الاسلامية لاغير .

والعرب أو المسلمون على أدق تعبير كانوا هم أعظم بناة للحضارة فى التاريخ البشرى كافة ، ولولا جهودهم الحضارية الرفيعه ما قامت الحضارة الغربية ، وهم على أية حال لم ينضب معين ابداعهم الحضارى ، فان منطقتهم لم ولن تخمد فيها روح الابداع أبدا ، ا ا منطقة التاريخ والثقافة والفكر ، وهى المنطقة التى شهدت جميع أحداث التاريخ الكبرى ، وجميع مظاهر التحولات الفاصلة ، فى حياة العالم والتى لم ترقد حياتها الحضارية فى يوم من الايام ، وهى التى سوف تشهد باذن الله تحولا حضاريا جديدا لن يسكن صداه ولن يعرف أحد مداه ، فى مستقبل الايام .

كان المسلمون هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمى الحق القائم على التجربة[٣] وكانت واقعيتهم العملية الشديدة تدفعهم دفعا ثابتا الى القيام بتجارب واختبارات شخصية عديدة ، فكانوا يرون اجراء مئات التجارب والتحقيقات للهدف العلمى الذى يعملون له ، دون ان يسعوا الى مكسب مادى[٤] .

وكان نقلهم للارقام الهندية[٥] عام ١٥٤هـ - ٧٧٣م فى عهد المنصور العباسى

---

(١) راجع ص ٣٨ المرجع السابق .
(٢) ٤٥١ شمس العرب تسطع على الغرب - للمشتشرقة الالمانية هونكة .
(٣) المرجع السابق ٤٠١
(٤) ١٤٣ و ١٤٤ نفس المرجع .
(٥) كان ابتكار الهنود لها نحو عام ٣٠٠ ق.م ، ماعدا الصفر ، فقد اضافوه اليها عام ٤٠٠م ، وعرفت الارقام الهندية خارج الهند عام ٦٢٢ م أى عام وفاة الرسول .

وعلى يد ابراهيم الفزارى من أهم مظاهر التحولات الفكرية العالمية ، كما كانت ترجمتهم للثقافات الفارسية واليونانية والهندية من أجل ما ترهم على الحياة البشرية والحضارية العالمية.

ولم يأخذ العرب المسلمون العلوم التى دونوها عن طريق الاقتباس ، وكذلك لم يأخذوا الالات العلمية ومواد العلم الغريب من الامم القديمة دون مناقشة أو تحقيق ، فلقد أدهشوا العالم بالحرية الموضوعية ، والشجاعة العلمية ، اللتين استقبلوا بهما نتائج السالفين وأقوالهم ليشبعوها بحثا ونقدا وتفنيدا وتحقيقا للاخطاء ودحضها ، وعملا دائبا فى الحقل الجديد لم يدخل الوجل الى قلوبهم أسم كبير فيرهبهم ، ولعل ابلغ برهان على هذه الصفة ما كانوا يؤمنون به من رفض لكل الاراء المنقولة عن السالفين باسم العلم مالم تثبت لهم أنفسهم صحتها عن طريق التجارب العلمية الصحيحة وقد ألفوا كتبا كثيرة فى نقد اراء ارسطو وفى نقد اراء بطليموس ، وحسبنا ما ذكره الجاحظ أبو عثمان من نقد لكتاب ـ الحيوان ـ لارسطو وذلك فى الكتاب العظيم الذى ألفه عمرو بن بحر بعنوان ـ الحيوان ـ

وقد امتازت المؤلفات العربية على ألوانها المختلفة العديدة بروحها العلمى الاصيل ، الذى عبر عن موهبة منهجية نظامية رائعة ، وعبقرية خلاقة ، وكانت تجاهد دائما من أجل توضيح ما استغلق ، أو تفسير ما غمض ، وتمعن فى الوصف الدقيق لكل العوارض وأشكالها وتطورها ـ (١)

كل شيء واضح ، الحقائق واضحة قريبة للافهام ، لمن شاء أن يثبتها أو يعارضها بالتجربة ، والخبرة والمشاهدة ، والجميع يعتزون بالمسئولية العلمية ، ويقدرونها حق قدرها ، ويعترفون مع ذلك بعجائب الطبيعة مادامو يجدون تفسيرا لذلك ، وهم يستبعدون من العجائب مالا يتفق مع العقل ، ويحلون محلها التفسيرات القائمة على المسببات والنتائج والتجارب ، فكل ما كتبوه كان ثمرة بحوثهم الخاصة .

وكانت الثقافة العربية الاسلامية هى الثقافة الوحيدة التى استظل العالم بظلها نحو عشرة قرون كاملة ، ومن أعلامها الجاحظ ٢٥٥ هـ وثابت بن قرة ـ ٢٢١ ـ ٢٨٨ هـ ـ والبتانى ـ ٣١٧ هـ ، ومحمد بن ابراهيم الفزارى ـ ٨٠٠ م ـ وأبوه ابراهيم ـ ٧٩٦ م ـ وحنين ابن اسحاق ٨١٠ ـ ٨٧٣ م ـ ، واسحاق بن حنين ـ ٢٩٦ هـ : ٩١١ م ـ وعباس بن فرناس ـ ٨١١ م ـ وابن يونس ـ ١٠٠٩ م ـ ، وابن الهيثم ـ ٩٦٥ ـ ١٠٣٩ م ـ والبوزجانى ـ ٩٤٠ ـ ٩٩٨ م ـ

---

(١) ٢٨٥ و ٢٨٦ شمس العرب تسطع على الغرب لهونكة .

ومن مثل الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد ونصير الدين الطوسى ـ ١٢٠١ ـ ١٢٧٤ م وابن البيطار وابن زهر وابن باجة وابن طفيل وسواهم ، وكانت الثقافة العربية تستحوذ على أهتمام كل انسان فى الشرق والغرب على حد سواء ، حتى لقد صاح بترارك الشاعر الايطالى فى القرن الرابع عشر الميلادى متألما قائلا : لقد قدر علينا ألا نؤلف بعد العرب ، وصاح كذلك بطريرك قرطبة فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى يقول :ـ وا أسفاه ان كل الشبان المسيحيين الذين يريدون اظهار نفوسهم نجدهم لا يعرفون الا لغة العرب وادابهم ـ حتى لقد كان قهر الاسبان العسكرى للعرب غير منتقص من اعجابهم الفكرى بهم قيد شعرة .

واليوم عندما نجد الثراء عند الناس يقاس بمدى ما يملكون من سيارات فارهة مثلا ، نجد أن المسلمين فى عهد حضارتهم كان الثراء عندهم يقاس بمدى ما يقتنون من كتب أو مخطوطات ..

ففى عام ٨٩١ م كان فى بغداد وحدها مائة دار كتب عامة .

ولا ننسى مكتبة العزيز الفاطمى وكانت تحتوى على أكثر من مليون ونصف من المجلدات المخطوطة ، وكان فى مكتبة الوزير المهلبى ١١٧ ألف مجلد ، وفى مكتبة الصاحب بن عباد [illegible] ألف مجلد مخطوط ، وكانت ميزانية مكتبة المدرسة النظامية فى بغداد المخصصة لشراء الكتب تبلغ مليونا ونصفا من الفرنكات الذهبية ، وكان قيام بيت الحكمة فى بغداد عام ٨٣٠ م حدثا من أهم الاحداث الثقافية العالمية الحضارية انذاك كما كان [illegible] ٣٠٩ هـ .

وكان سكان اسبانيا فى عهد قمة الحضارة الاسلامية فى ربوعها عام ٩٥٠ م يقدرون بثلاثين مليونا من الانفس . والى غير ذلك من مظاهر النهضة الثقافية التى كان عليها المجتمع الاسلامى الذى قام على أصول رفيعة من الثقافة والمعرفة والبحث والعلم .

ولقد انتقل العلم الاسلامى من مراكز الحضارة والثقافة العربية فى أسبانيا وصقلية وجنوبى ايطاليا ، ومن الشرق العربى نفسه الى أوربا ، فأحدث ذلك هزة جديدة فى مجتمعات الغرب ، مما جعلها تستعد لحمل مواريث الثقافة والعلوم العربية ، وتستعد كذلك لانشاء حضارة جديدة فى بلادها ، وكان معنى ذلك أن أوربا استعارت الحضارة الاسلامية والثقافة العربية استعارة تامة لتكسو نفسها بحلل عرقية زاهية لم تكن من صنع يديها بحال من الاحوال .

وكان هناك طائفة من المثقفين الغربيين تعلموا فى جامعات العرب فى اسبانيا وفى غيرها

تأثروا بطابع الثقافة العربية وبالمنهج العلمى الاسلامى تأثرا كاملا ، وكان فى مقدمة هـؤلاء الامبراطور الصقلى النورماندى فردريك الثانى الذى كان حلقة الاتصال وفى بلاطه فى صقلية التقى الفكر الغربى بالفكر العربى ، وقد توفى فردريك الثانى عام ١٢٥٠م-٦٤٨هـ ، وكان فردريك يسلك فى البحث العلمى كل مناهج العلماء المسلمين ، وكانت دولته تقوم على جهود العلماء والباحثين المسلمين فى شتى مجالات العلوم والحياة ، وكان هو نفسه عالما تلقى علوم الاسلام ودرسها وأحاط بها وكان يقول : نحن نتتبع أرسطو حيث يجب أن نتتبعه ، ولكن فى حالات كثيرة ، وكما علمتنا الخبرة يبدو وقد بعد عن الحقيقة ، ان اليقين لا يصل الى الانسان بالسماع فحسب .

وهذا هو روح منهج العلماء المسلمين أنفسهم أقتبسه فردريك الثانى منهم .. ويقول فردريك الثانى أيضا :

واجب علم الطبيعة لا يقتصر على جمع المعلومات على السالفين ، بل هو تعليل اسباب الظواهر الطبيعية ، وذلك الكلام يمثل روح العلماء المسلمين أيضا تمام التمثيل .

لقد عبرت الثقافة الاسلامية البحر الابيض المتوسط الى أوروبا ، فكان لذلك بدء نهضتها وحضارتها ، فالغرب مدين للاسلام وعلومه وعلمائه بأفدح الديون ، والعرب هم المدنون الحقيقيون له ، وكانت علوم العرب وكتبهم فى الطب والهندسة ، والتشريح والفلك والنجوم والصيدلة والكيمياء وسواها تدرس فى جامعات الغرب دون أن يستطيعوا مجاراتها ، أو تأليف مثيل لها .

ان المسلمين حقا هم بناة الحضارة فى تاريخ الانسانية الطويل ، وهم الذين رفعوا على كاهلهم بناء الحضارة الاسلامية وهم كذلك السبب الجوهرى فى قيام الحضارة الغربية .

هم الذين قام سبعون عالما جغرافيا منهم برسم خريطة الارض فى عهد المأمون العباسى وقام عالم جغرافى مشهور منهم وهو الادريسى برسم الخريطة الارضية ، وقدمها الى روجر الثانى النورماندى الصقلى .

ان العقل العربى الاسلامى لم يقف ولم يجمد ابدا انه فى عطاء دائم وبذل متجدد ، انه هو الذى منح الحضارة الانسانية طاقتها وابداعها الدائم .

وهو الذى سوف يتحرك لينهض من جديد ويبنى لامته الاسلامية وللعالم الاسلامى كله حضارة اسلامية جديدة رفيعة مؤثرة فى حياة العرب والمسلمين قاطبة ، بفضل الله .

أؤمن بالإسلام لا بالمادية

الحضارة بين المادية والروحية

للشيوعية رأيها فى اسس الحياة والوجود والحضارة الذى يتجمع فى فلسفة مادية عجيبة لا تؤمن بالمثل ولا الروحيات والمعنويات ٠

فهى ترى أن المادة والطبيعة والوجود حقائق موضوعية خارج نطاق الفكر مستقلة عنه والمادة أولا ثم يتلوها العقل ٠٠ ومن ثم فالحياة المادية للمجتمع والوجود المادى له لهما السيادة على الحياة الروحية التى هى عندهم انعكاس الوجود ويعلق زعيم من زعماء الشيوعية على ذلك بقوله : ان على حزب طبقة العمال الا يقيم أعماله على مبادئ العقل البشرى المجردة ولكن يقيمها على الاحوال المقررة للحياة المادية للمجتمع باعتبارها القوى الفاصلة للارتقاء الاجتماعى (١) ويقول انجلز : ان العالم المادى الذى ندركه بحواسنا والذى نحن جزء منه هو الحقيقة الوحيدة ٠ وليست المادة من انتاج العقل بل ان العقل ما هو الا اسمى انتاج للمادة (٢) ٠

وهى تذهب الى أن العالم بطبيعته مادى وان الظواهر المتضاعفة للعالم تشتمل على اشكال مختلفة من المادة فى تحرك وارتباط الظواهر واعتماد بعضها على بعض هو قانون ارتقاء المادة ٠ وليس من حاجة الى الروح الشاملة (٣) فهى تؤمن بنظرية النشوء والارتقاء التى قال بها دارون ومن ثم تصر على انكار وجود الله (٤) ويرى كارل ماركس أن امتداد هذا الى دراسة الحياة الاجتماعية وتطبيقها على المجتمع يؤدى تهنا نتائج على جانب عظيم من الاهمية لانه يفسر تطور المجتمع ويرجع حوادثه الى اسباب مادية بحيث لا يترك شيئا منها للمصادفة أو الارادة الالهية أو للاسباب العليا الخارجة عن الطبيعة ٠ (٥)

---

(١) الدستور السوفييتى لفؤاد محمد شبل ٠

(٢) ٣٣ نقد النظرية الماركسية لاحمد جمال الدين طبعة ١٩٤٨

(٣) ٣٠ الدستور السوفيتى (٤) ٥٣ الشيوعية فى الميزان ٠

(٥) ٣٦ر٣٧ نقد النظرية الماركسية ٠

وكتب لينين الى مكسيم جوركى الاديب الروسى المشهور رسالة يقول فيها : " هلاك ثلاثة ارباع العالم ليس بشئ وانما الشئ الهام أن يصبح الربع الباقى منهم شيوعيين"

وعند " هيجل " ان الفرد ليس حقيقة كالمجتمع وانما هو " تعبير خاص " عن المجتمع وفى رأى هيجل أن المجتمع وحده هو الموجود حقا وان الافراد ليسوا سوى تجريدات أو مختصرات من الكل الاجتماعى المعين.

ان التفسير المادى للتاريخ ليس هو التفسير الوحيد فقد تكون عوامل التاريخ اقتصادية وقد تكون شيئا آخر غير الاقتصاد فالعامل الاقتصادى هو احد العوامل الفعالة فى التاريخ ولكنه ليس هو العامل الوحيد وقد اعترف انجلز صاحب كارل ماركس وزميله فى رسالة كتبها الى بلوخ فى سنة ١٨٩٠ أى قبل وفاته بخمس سنوات بأنه هو وماركس قد بالغا فى تقدير اهمية الاسباب الاقتصادية . واكد مضمون هذه الرسالة لصاحبه ستاركنبرج فقال : " ماركس وانا مسئولان جزئيا عن حقيقة انه فى بعض الاوقات قد اعطى اتباعنا اهمية للعامل الاقتصادى اكثر مما يستحق ولقد اضطررنا الى تأكيد صفته المركزية فى معارضتنا لخصومنا الذين كانوا ينكرونه ولم يكن هناك وقت ولا مكان ولا فرصة لانصاف العوامل الاخرى فى الحركة التاريخية ."

ويقول احد الشيوعيين فى تقديمه لكتاب للينين " الالحاد جزء طبيعى من الماركسية لا ينفصل عنها "

" وفى برنامج المؤتمر السادس للدول الشيوعية الذى عقد فى سنة ١٩٢٨ ما يأتى :
" الحرب ضد الدين — افيون الشعوب — تشغل مكانا هامة بين اعمال الثورة الثقافية ويلزم أن تستمر هذه الحرب باصرار وبطريقة منظمة . وحكومة العمال تعترف بحرية الضمير ولكنها فى الوقت نفسه تستعمل كل الوسائل التى تملكها للقيام بدعاية ضد الدين وتنظم التربية على اساس التصور المادى للدنيا "

ويقول لينين عن " الاشتراكية والدين " الدين يعلم هؤلاء الذين يكدحون طوال حياتهم فى الفقر الاستسلام والصبر فى هذه الدنيا ويغريهم بالامل فى المثوبة بالعالم الاخر"

ويصور لينين موقف حزب العمال من الدين فيقول : " قال ماركس أن الدين هو أفيون الفقراء وهذا حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية جميعها من ناحية الدين وتعد الماركسية الديانات الحديثة جميعها ، والكنائس وكل انواع المنظمات الدينية . آلة لرد الفعل

البورجوازى الذى يستهدف الاستغلال ضد مصالح الطبقة العاملة "

وفى كتاب ارسله لينين الى الكاتب الروسى ماكسيم جوركى يقول فيه أن البحث عن الله لا فائدة منه ومن العبث البحث عن شىء لم يخبأ ومن أن تزرع لا تستطيع أن تحصد وليس لك اله لانك لم تخلقه بعد والالهه لا يبحث عنها وانما تخلق "

ولقد ورد بكتاب " حرية الدين فى الاتحاد السوفيتى " مانصه :

" فى زمن الثورة الاولى فى روسيا كتب لينين : يجب الا تشغل الدولية بالدين ويجب الا تكون للجمعيات الدينية أية صلات بسلطة الدولة .. ان كل فرد حر تماما فى اعتناق أى دين يرتضيه أو فى عدم الايمان بأى دين على الاطلاق . ولا يمكن التسامح بشأن أى تمييز بين المواطنين فى حقوقهم على اساس معتقداتهم الدينيه ويجب أن تحذف أية اشارة الى معتقدات المواطنين فى جميع الوثائق الرسمية بلا قيد أو شرط ويجب الا تقدم أية منحة حكومية للكنيسة والجمعيات الدينية التى يجب أن تصبح هيئات حرة كلية ومستقلة تماما عن الدولة "

وورد فيه باب بعنوان : تشريعات الدولة السوفيتيه بشأن الدين جاء فيه :
قضت ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى على العلاقات القديمة بين الكنيسة والدولة فاصدرت الحكومة السوفييتية فى ٢٣ يناير سنة ١٩١٨ مرسوما سوى مسألة حرية الدين وموقف الدولة السوفييتيه تجاه الدين والجمعيات الدينيه وقد اعلن هذا المرسوم التاريخى ما يلى :

١ — الكنيسة منفصلة عن الدولة .
٢ — محظور اصدار أية قوانين محلية أو لوائح فى أرض الجمهورية يكون من شأنها عرقلة أو تقييد حرية الضمير أو ايجاد امتيازات او ميزات على اساس معتقدات المواطنين الدينية .
٣ — كل مواطن له أن يعتنق أى دين أو لا يعتنق أى دين على الاطلاق .
٤ — لن تجرى أية مراسم أو احتفالات دينية فى أى عمل من اعمال الدولة أو فى أى احتفال رسمى عام أو اجتماعى .
٥ — حرية القيام بالطقوس الدينية مكفولة الى الحد الذى لا تؤدى الى اضطراب النظام العام . اذا كانت غير مصحوبة بالتعدى على حقوق المواطنين فى الجمهورية السوفيتية وللسلطات المحلية الحق فى اتخاذ جميع التدابير اللازمة فى هذه الاغراض لضمان المحافظة على النظام العام والامن .

٦ — لايستخدم احد معتقداته الدينيه كعذر للتنصل من واجباته المدنيه •

٧ — يلغى كل قسم أو عهد دينى ، وفى الاحوال الضرورية يكتفى فقط بالوعد الصادق •

٨ — تقوم السلطات المدنية — وحدها بجميع اعمال التسجيل المدنيـى عن طريق مكاتـب تسجيل الزواج والميلاد •

٩ — المدرسة مفصولة عن الكنيسة والتعليم الدينى محظور فى جميع المدارس العامة والخاصة — ويتعلم المواطنون الدين على انفراد •

هذه هى الشيوعية ترجع كل شئ حتى الدين والاخلاق والفكر والفلسفة والثقافة والقانـون والسياسة الى انعكاسات للاحوال الاقتصـادية والمصالح الطبقية وتمتد جذورها الـى الظروف المادية للحياة (١) وتاريخ ارتقاء المجتمع هو عندهم قبل كل شئ تاريخ ارتقـاء الانتاج (١) وتهتم بتفسير الاحداث التاريخية تفسيرا ماديا (٢) ينكر الدين (٤)

وفلسفة الشيوعية الحاد بطبيعتها ، معادية لكل ما يتصل الى الدين وكان ماركس زعيمها الروحى وشيخ الماديين لايؤمن بالمثل ولا بدين الا بالمحسوسات ويقول : لا اله والحياة مادة (٥) ويقول : رسالة الطبقة العاملة هى القضاء على الدين وعلى الداعين اليه (٦) ويقول (هيـز) ان الاشياء المادية وحدها هى المحسوسة لنا وانا لا استطيع أن أعلم شيئا عن وجود الله ان وجودى الخاص هو وحده الامر المؤكد اما ماعداه فخيال لا اصدقه (٧) ويقول انجلز : (٨) لامحل مطلقا لوجود خالق ويقول زعيم لهم : الجزب الشيوعى لايمكن أن يكون محايدا تجاه الدين ، ان الحزب يقف الى جانب العلم والدين ينافيه (٩) ويصرون على ان الدين هو مخدر الشعوب (١٠)

وللمذهب المادى دعاة فى القديم والحديث يناقضه المذهب المثالى والارادى والحيـوى ومن انصاره هيجل وديكارت وشوبنهور ونيتشه وبرجسون وسواهم • وينقده كثير من الباحثين

وهو على أى حال ينكر العواطف البشرية والمثل العليا والقيم الاخلاقية والجوانب الانسانية والمعنويات الكريمة من فنون وآداب وديانات وسواها مما هو دعامة الحضارة والذين يعترفون بهـا من الشيوعيين يمسخونها ويردونها الى عوامل مادية •

---

(١) ٦٧ انجلز (٢) ٧٩ المذاهب السياسية المعاصرة لعلى ادهم • و ١٧ انجلز

(٣) ٣٢ الدستور السوفييتى (٤) ٢ • ٥ الشيوعية فى الميزان •

(٥) ٥٢ المرجع (٦) ٥٣ المرجع (٧) راجع ١٤٢ الدستور السوفييتى •

(٨) ، (٩) ، (١٠) المرجع •

ان هذا المذهب المادى الذى ينتهى الى انكار الله ومحاربة الدين يناقض اسس الاسلام ومبادئه ابعد مناقضة ، وينكره الاسلام ويحاربه .. والذين يؤمنون بمثل هذه المبادئ الهدامة هم فى رأى الاسلام مرتدون يحاربون ويقاتلون حتى يفيئوا الى دين الله لانهم يحملون على مسخ الفطرة الانسانية ومحاربة فكرة التقدم والحضارة ويهدمون الاسس التى بنتها البشرية على مر الاجيال منارا رفيعا للفكر والمدنية .

وفلاسفة الفكر الحديث يصرون على الاعتراف بالله والايمان بالدين يقول شوبنهور :
ان فكرة الاله الذى ليس له نهاية وقدسية الروح والعلاقة بين الله وعباده كلها افكار صيغت فى الضمير البشرى الخفى الذى ليس له نهاية . وهى تلك الافكار التى لايمكن لى ولا للحياة بغيرها البقاء ويقول رينان : من الممكن ان يضمحل كل شئ نحبه الا التدين فسيبقى ابد الابدين حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى . وكان تولستوى المبشر الروحى بالشيوعية مؤمنا بالدين ، وكان يقول ان الدين وحده هو الذى يجعل الحياة ممكنة ويقول اننى لا اعيش اذا فقدت العقيدة فى وجود الله ، ولولا انى كنت اتعلق بأمل غامض فى وجود الله لقتلت نفسى من زمن بعيد عشرنا حثا عن الله واذن فلن تعيش بدونه واذن يقوى اعتقادك فى الكمال الخلقى وفى التقاليد التى تحمل معنى الحياة . ان البشر لايزالون فى فجر عصر العلم وكلما ازداد ضياء العلم سطوعا جلا لنا شيئا فشيئا صنع خالق مبدع . وان التواضع الايمان القائم على العلم يدنو ان بنا رويدا رويدا الى معرفة الله (١) ويؤكد علماء الذرة والفلك والحياة والرياضة وجود الله لان لديهم ادلة كثيرة تثبت وجود كائن اعظم ينظم هذا الوجود ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذى لاحد له (٢)

والاسلام يدعو الى الدين والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والثقة بالمثل العليا والاعتزاز بالفضائل الانسانية وبالقيم الروحية .. واساس الحياة عنده هى الروح والماده تبع لها والروح هى التى ناجت الله فى الازل وعاهدته على الايمان بالدين كما يقرره القرآن الكريم (٣) ثم خلقت المادة وحلت الروح فى الجسم وبدأت الحياة تنمو وبعد هذه الحياة الدنيا يفنى الجسم وتنطلق الارواح وتبقى مخلدة حتى يأذن الله بالبعث واحياء الاجسام من جديد .. فالاسلام لاينكر المادة اطلاقا وانما يثبتها ويجعلها مسخرة لخدمة الروح .

وكل هذه الافكار الاسلامية تهدم الاساس الاول الذى بنيت عليه الشيوعية وجميع الحضارات القديمة والحديثة على السواء لم تقم على اسس مادية محضة انما كان للعوامل الروحية اثرها

(١) راجع المختار عدد فبراير سنة ١٩٤٧ من مقالة لرئيس اكاديمية العلوم فى نيويورك عن كتاب الانسان ليس وحيدا

(٢) راجع المصرى عدد ٢٣/٨/١٩٥١ (٣) راجع الآية ١٧٢ الاعراف .

البعيد فى قيامها ونموها والاسلام يدعو الى بناء الحياة على الروح : وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولاتنسى نصيبك من الدنيا .. (١) ويدعو الى التحرر من اسر المادة والعيش فى رحاب التأمل والحرية والملاء الاعلى الفسيح ، ليتم وجود الانسان وكماله وحريته فى الحياة وذلك كله هو الاساس الاول للحضارة فى رأى الاسلام .

المادية حرب على الاديان :—

المادية آخر المذاهب الحديثة واشدها حربا لفكرة التدين فى الانسان ولفطرة العقيدة التى فطر الله البشر عليها . وقد شن دعاتها فى الغرب الحرب على الاديان واقاموا حكومات تؤيد مذهبهم الالحادى وتحمل الناس عليه بقوة القانون وتطارد دعاة الاديان والمؤمنين بها اينما كانوا .

والمادية فى جملتها تذهب الى أن المادة فى كافة صورها هى المؤثرة فى كل شئ والتى [illegible] فى الوجود اسبقوان لها — لا للمعنويات — القدح المعلى فى مصائر الشعوب الانسانية .

وكان للمادية دعاتها فى القديم وممن آمن بها الفلاسفة (طيرقليطس) وليوسيس وديمقريطس . وممن دعا اليها فى الحديث بيكون ، وهيز ، وقد ذهب الاخير الى ان المادة والحركة هما وحدهما الحقيقتان المطلقتان وان المعرفة الانسانية تتأتى عن طريق الاحساس وقد ايده فى ذلك تولاند الذى يرأى أن المادة هى القوة والحركة والحياة والعقل بعض خواصها وان التفكير هو وظيفة العقل وكذلك نهج بريستلى وهارتلى ودارون وبلاماترى وسواهم ممن استغنوا عن الروح واطرحوها وفسروا الحياة تفسيرا ميكانيكيا ماديا محضا . والسف بختر كتابه (القوة والمادة) الذى ظل حينا دعامة قوية من دعائم المذهب المادى (٢): واعظم الماديين هو كارل ماركس اليهودى المادى المتطرف وقد ورث الروح المادى عن استاذه انجلز الذى كان يقول ان العالم المادى الذى ندركه بحواسنا والذى نحن جزء منه هو الحقيقة الوحيده وليس الادراك والتفكير الا نتاجا لعضو من اعضاء جسمنا وهو المخ فليست المادة من انتاج العقل بل أن العقل بنفسه ماهو الا اسمى انتاج للمادة . وتفسير ماركس للمادية هو الاساس الاول الذى يبنى عليه الشيوعيون مذهبهم . فنجد لينين وستالين يقرران أن المادة والطبيعة والوجود حقائق موضوعية خارج نطاق عقلنا ومستقلة عنه والمادة تأتى فى الصدارة ويتلوها العقل ومن ثم فالحياة المادية للمجتمع والوجود المادى له لهما السيادة على الحياة الروحية التى هى

(١) راجع اية ٧٧ القصص

(٢) راجع ص ٢٦ وما بعدها من كتاب نقد النظرية الماركسية لاحمد جمال الدين طبعة ٩٤٨

انعكاس للمادة كما يقررا ن أن العالم بطبيعته مادى وان الظواهر المتضاعفة للعالم تشتمل على اشكال مختلفة من المادة فى تحرك ، وان ارتباط الظواهر واعتماد بعضها على بعض هو قانون ارتقاء المادة وليس من حاجة الى الروح الشاملة (١) وكذلك تؤمن الشيوعية الحديثة بنظرية النشوء والارتقاء التى قال بها داروين ثم تصر على انكار وجود الله ، وكان انجلز يرجع كل شىء حتى الدين والاخلاق والفكر والثقافة الى انعكاسات للاحوال الاقتصادية والمصالح الطبقية (٢) ويفسر هو وتلاميذه الاحداث التاريخية تفسيرا ماديا وهذا التفسير الاقتصادى للتاريخ ينكر الدين وكارل ماركس شيخ الماديين لا يؤمن بالمثل ولا يعترف الا بالمحسوسات ويؤثر عنه قوله : (لا اله والحياة مادة) وقوله (رسالة الطبقة العاملة هى القضاء على الدين والداعين اليه وكان (هيز) يقول : (ان الاشياء المادية وحدها هى المحسوسة بالنسبة لنا فانا لا استطيع أن اعلم شيئا عن وجود الله ووجودى الخاص هو وحده الامر المؤكد اما ما عداه فخيال لا اصدقه) وكان انجلز يقول : (لا محل مطلقا لوجود خالق(٣)

كل هذا قطرة من بحر من آراء الماديين فى انكار الروحيات وجحد وجود الله ونبذ فكرة الدين وحربهم الخطرة على الاديان .

ولا شك ان هذا المذهب الالحادى على ضلال مبين وهو لا يحارب بارائه الاسلام وحده وانما يشرك معه جميع الاديان والذين يؤمنون بهذا الالحاد هم فى رأى الاسلام مرتدون يقاتلون حتى يفيئوا الى دين الله والى الحق .

ان الدين عنصر من العناصر التى لا تتم الحياة بدونها وهو رسالة الله الى الانسانية حملها الانبياء والمرسلون ، وادوها الى الناس لخيرهم وسعادتهم فى الدنيا والاخرة والفلاسفة والمفكرون الذين لهم خطرهم فى الحياة الفكرية فى العالم القديم والحديث كانوا من خير الدعاة الى فكرة الدين والايمان بالله ورسله وكان تولستوى يقول : (ان الدين وحده هو الذى يجعل الحياة ممكنة) ويقول : (اننى لا اعيش اذا فقدت العقيدة فى وجود الله ولولا اننى كنت اتعلق بأمل غامض فى وجود الله لقتلت نفسى من زمان بعيد عشر باحثا عن الله

---

(١) راجع ٨٣ المذاهب السياسية المعاصرة ١٤٢ الدستور السوفييتى ٥٣ الشيوعية فى الميزان

(٢) راجع ٣٠ ر ٣١ الدستور السوفييتى — طبع النهضة ١٩٤٩ .

(٣) ١٧ الاشتراكية العلمية والاشتراكية الخيالية لفردريك انجلز .

واذا قلن تعيشيدونه وعندما اعتقدت فى وجود الله اعتقدت فى الكمال الخلقى وفى التقاليد التى تحمل معنى الحياة .

ويقول شوبنهور : ان فكرة الاله الذى ليس لهنهاية وقدسية الروح والعلاقة بين الله وعباده، كلها افكار صيغت فى الضمير البشرى الخفى الذى ليس لهنهاية وهى نفس الافكار التى لا يمكن لى ولا للحياة البقاء بغيرها . ويقول رينان : من الممكن أن يتلاشى كل شئ تحبه الا التدين فسيبقى ابدا الابدين حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى . ويثبت كريسى موريسون الرئيس السابق لاكاديمية العلوم فى نيويورك فى كتابة (الانسان ليس وحيدا) وجود الله بمسألة علمية لاتقبل الجدل وينتهى الى ان الله فى كل مكان وكل شئ ولكنه ادنى ما يكون الى قلوبنا وان اقول صاحب المزامير: (السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه) هو قول صحيح من ناحية العلم والتخيل جميعا . واكد عدد كبير من علماء الذرة والفلك وعلم الحياة والرياضة ان لديهم أدلة كثيرة تثبت وجود كائن اعظم ينظم هذا الوجود ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذى لاحد له ويقول الدكتور راين : انه ثبت من ابحاثه فى المعامل أن فى الجسم البشرى روحا أو جسما آخر غير منظور وقال عالم آخر : انه لايشك فى أن الكائن الاعظم وهو ما تسمية الاديان السماوية (الله) هو الذى يسيطر على الطاقة الذرية وغيرها من الظواهر والقوانين الخارقة فى هذا الوجود .

واذا ثبت وجود الله ثبتت الرسالة وفكرة الدين وثبت أن محمدا والرسل قبله صادقون فيما يحدثون به عن الله من عقائد وشرائع واديان وان علينا واجب الايمان بها وبخاتمة هذه الرسالات وهى دين الاسلام وبالكتاب الخالد (القرآن) معجزة هذه الرسالة .

وصدق الله العظيم فى قوله " سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ؟

ان الشيوعية تتنكر للدين تنكرا شديدا .. واعمال دعاتها وزعمائها فى بلادهم شاهد صدق على ما تقول .. ففى روسيا تجد ان الثورة الشيوعية فيها قد بدأت بحملة قاسية على رجال الدين فقتل عدد كبير منهم وحرم عليهم الظهور فى المجتمعات العامة واغلقت بيوت العبادة وصودرت اوقافها وحرم الشيوعيون تدريس الدين والغوا القسم بها والغوا الجمعيات للدعاية اللادينية واصدروا مجلة اسبوعية اسمها (بلا دين) وفى عام ١٩٢٥ عقد موتمر بموسكو لوضع الخطط الخاصة بالقضاء على النزعة الدينية وبث روح الالحاد فى المدارس والجيش واتخذ (اتحاد الالحاد)

فى النشاط حتى بلغ عدد فروعه فى ١٩٣٥ سبعين ألفا تضم الملايين وفى عام ١٩٢٩ صدر قانون يحظر الدعاية الدينية ويعتبرها عملا غير مشروع وبذلك عطلت مادة الدستور التى تنص على أن الدعاية الدينية مكفولة كالدعاية اللادينية .. وفى مايو ١٩٣٢ صدر قانون يهدف الى القضاء على الهيئات الدينية خلال خمسة اعوام حتى يحين أول مايو ١٩٣٧ لن يبقى فى كافة البلاد أى مكان للعبادة ويجب القضاء على فكرة الاله بحسبانها من بقايا القرون الوسطى (١) ونصت قوانين عام ١٩٣٩ على حظر الاجتماعات الدينية الخاصة وعدم السماح للهيئات الدينية الاحتفاظ بأى نوع من الكتب الا مايلزم فى المراسم الدينية وحظر بناء امكنة جديدة لممارسة الشعائر الدينية واذا كانت روسيا قد اطلقت الحريات الدينية خلال الحرب فانما كان ذلك ذرا للرماد ودفعا للشعب الى تحمل مرارة الكفاح وكسبا لعطف شعوب العالم لتساعد روسيا فى محنتها ولا يعنى هذا ايمان الشيوعيين بالدين فالطبقة الحاكمة هناك لن تقبل فى صفوفها انسانا يؤمن بدين من الاديان ومنزلة الدين فى روسيا خلال الحرب وبعدها لا تصل الى عشر ماكانت عليه قبل الثورة الشيوعية (٢) والتعليم فيها ينشر الالحاد والجماعات كلها تنفر من الدين وتأثير رجال الدين على الشباب قليل وهم يخضعون لتوجيهات الدولة خضوعا مطلقا .

وللشيوعية موقف خاص من الاسلام يمثله قول مولتوف : لن تنشر الشيوعية فى الشرق الا اذا ابعدنا اهله عن تلك الحجارة التى يعبدونها فى الحجاز وفلسطين .

ولقد عادى زعماؤها فكرة الجامعة الاسلامية لقوميات المسلمين هناك ، ولم يأت عام ١٩٣٢ حتى ارغمتهم الحكومة على اتخاذ الحروف اللاتينية بدل العربية ، وبذلك قطعت صلة هذه القوميات بالعالم الاسلامى وفى عام ١٩٣٨ امرتهم باتخاذ الحروف الروسية . مع ان روسيا اباحت للارمن والجورجيين - وهم اقل من المسلمين فى بلادها - الاحتفاظ بحروفهم الهجائية الخاصة ولم ترغمهم على اتخاذ الحروف اللاتينية أو الروسية (٣)

وبهذا اصبح المورد الثقافى للمسلمين هو اللغة الروسية وادابها وثقافاتها عوضا عن اللغة العربية والثقافة الاسلامية .

وهناك قيد آخر على الحرية الثقافية للمسلمين اذ لا تجيز الشيوعية أن تكون لاية قومية أو اقلية عنصرية فى بلادها ومن بينهم المسلمون - علاقة روحية أو ثقافية بقومية اخرى تماثلها فى العقيدة

---

(١) ١٤٢ الدستور السوفييتى .
(٢) راجع كتاب روسيا السوفيتيه لموّلفه الن .   (٣) ١٨٩ الدستور السوفييتى .

أو الثقافة خارج نطاق بلادها (١) وبهذا حيل بينهم وبين الاتصال روحيا وثقافيا بالعالم الاسلامى الحر .

وقد اضطهدت الشيوعية المسلمين فى تركستان وبخارى وسمرقند وطشقند وفرغانة وخوارزم ونفت الكثير منهم الى مجاهل سيبيريا .

وظهر شعورها حيال المسلمين فى تأييدها المطلق للصهيونية واعترافها بأسرائيل بعد وجودها مباشرة .

ان الحرية الدينية فى ظلال الشيوعية لا وجود لها وهذا هو ما يأباه الاسلام وتنكره مبادئه السمحة .

ويقول (ارنولد) فى كتابه الدعوة الى الاسلام :

يمكننا ان نحكم من الروابط الودية التى قامت بين المسلمين والمسيحيين بأن القوة لم تكن عاملا حاسما فى تحويل الناس الى الاسلام . فمحمد نفسه قد عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية واخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية فى اقامة شعائرهم الدينية كما اتاح لرجال الكنيسة ان ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القوى فى أمن وطمأنينة (٢) ويقول فيه : لما تتبع الجيش الاسلامى وادى الارد ن وعسكر ابو عبيدة فى فحل كتب الاهالى المسيحيون فى هذه البلاد الى العرب يقولون : يا معشر المسلمين انتم احب الينا من الروم وان كانوا على ديننا انتم أوفى لنا وأرأف بنا واكف عن ظلمنا واحسن ولاية علينا .

السلام الاجتماعى بين الاسلام والمادية :

وفكرة السلام الاجتماعى مبسوطة فى القرآن الكريم بسطا واسعا . وقد دعا اليها الاسلام ورسوله وتناول اطرافا منها التشريع الاسلامى وحرص على تطبيقها الخلفاء والولاة المسلمين ويمثل بعض مظاهرها قول الرسول : لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه) والقول المأثور : عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به .

وليست فكرة السلام الاجتماعى أمرا مندوبا يدعو اليه الاسلام ولكنها فرض واجب وعمل حتم وهى جزء من العقيدة الاسلامية واساسها أن المجتمع مهما كبر اسرة واحدة وان على كل انسان فيه أن يؤدى الواجب عليه للآخرين بنفس الشعور الذى يشعر به نحو اسرته وان يعمل على نشر الامن والسلام والمحبة والتعاون بين الناس وان يشعر روحه تلك المعانى ويعتقد انه لا يتم

(١) راجع ١٧٧ من (شبهات حول الاسلام) للاستاذ محمد قطب

ايمانه بدونها وان عليه أن يضحي من اجل غيره ويؤمن بالايثار ويبذل المال والروح في سبيل اخيه الانسان ولذلك حرم الاسلام الرذائل الاجتماعية ونهى عن الاعتداء على اموال الناس واعراضهم كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه واوجب الزكاة وحث على الصدقة والاحسان وتفريج كربة المهموم ومساعدة المحتاج .. واوجب العدل بين الناس وحارب الاهواء والشهوات والعصبية وحتم التكافل الاجتماعي بين الناس وجعل اساس العلاقة بين الانسان والانسان وبين الجماعة والجماعة هو السلام وأوعد المخالفين أشد الوعيد .

أما الشيوعية فتؤمن بمبدأ اجتماعي عجيب هو (صراع الطبقات (١) يقول ماركس وانجلز : أن تاريخ كافة الجماعات الحاضرة هو تاريخ الصراع بين الطبقات .. ويقول ماركس زعيم الشيوعية الروحي : لن تستطيع الطبقة العاملة التحرك ولا النهوض بنفسها ما لم تنسف جميع طبقات المجتمع المتراكمة فوقها ويقول : ان صراع الطبقات يقود بالضرورة الى ديكتاتورية الطبقة العاملة . ويدعو ماركس الى الثورة والانقلاب الشامل كضرورة للاصلاح .. ويؤثر عن لينين من غير نظرية ثورية لن تكون حركة ثورية .. ويقول ستالين من رسالته في المادية الجدلية : تحرير الطبقة العاملة لا يمكن تحقيقه الا بالثورة فقط .

هذه النظرية نقدها علماء الاجتماع نقدا عادلا (٢) وهي لا شك تبذر بذور الحقد والبغض والكراهية بين الناس وتعمل على نشر الثورات والحروب وتقضي على التعاون والسلام في المجتمع مما ظهر اثره في الثورة الشيوعية في روسيا واضحا ملموسا .

وهي نظرية لا يقرها عقل أو دين ويحاربها الاسلام حربا شعواء لانها تفسد الامن والسلام وتقضي على الاخاء الانساني وتجعل بعض الناس اعداء لبعض وتولد البغضاء والشقاق في المجتمع .

وفي عصور الجاهلية الاولى لم تدع جماعة أو امة الى " صراع الطبقات " وسبيل لاصلاح العالم في الدول المتحضرة بالوسائل السلمية دون سواها ولقد اوجب الاسلام أن يعيش الفقراء والاغنياء بجوار بعض اخوة متحابين متعاونين في الحياة وكذلك سائر الطبقات مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر .

---

(١) ٧٧ الدستور السوفيتي .
(٢) ٧٤ — ٨٢ نقد النظرية الماركسية .

السلام العالمي في الاسلام والمادية :

السلام العالمي دعوة الى التعاون بين الامم والشعوب وحل مشكلاتها بالوسائل السلمية وتحريم الحروب التي تقوم للاستعمار والاستغلال بل تحريمها لغرض نشر الدين " لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك (١) والاسلام بنظمه وروحه واهدافه يعمل على نشر هذا السلام ويدعو اليه ويجعله هدفا من اهداف الانسان وان جنحوا للسلم فاجنح لها (٢) ويؤيد هذا المبدأ بأن الناس يجمعهم اصل واحد وان التعارف والتألف والتعاون يجب أن يسود هم " يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا (٣) ولذلك الغى الاسلام العصبيات وفوارق الالوان والاجناس داعيا الى الوحدة الانسانية والى ان يعيشوا كما بدأوا امة واحدة " وما كان الناس الا امة واحة فاختلفوا (٤) وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم (٥) ولم يشرع الاسلام الحرب الا للدفاع عن النفس او العقيدة .

ان السلام في رأى الاسلام ضروري للانسانية وتلك قضية لاريب فيها فالسلام هو انشودة البشر وامل الانسانية لانه ضروري لتقدمها .

هو الذي يساعد على الانتاج وعلى رفاهية الناس وتقدم التجارة والصناعة والزراعة وعلى نشر العلوم والفنون والاداب وعلى سير الحضارة والمدنية والرقي .

اما الحرب فتهدم ولا تبني وهي وسيلة للتدمير والتخريب تبعث على الذعر والخوف والاضطرابات وتدع الملايين من بني البشر في شقاء وظلام وتحط من مستوى التفكير والعمل والنشاط بما تنشره من فزع واحزان وتوقف سير المدينة وتعوق تقدم بني الانسان .

وانت ترى المفكرين ينادون بتحريم الحروب وتوطيد دعائم السلام بنزع السلاح وتحريم شن الحروب وبالعمل على توثيق الروابط الفكرية والاقتصادية بين امم العالم وعلى ايجاد اخوة عالمية وزمالة انسانية بايجاد حكومة عالمية .

السلام هو المدنية والحضارة والحرب هي الدمار والخراب والسلام هو اهم عامل يساعد الانسان في الحياة في التقدم والحرب افظع ما شهد ه الانسان وخاصة في العصر الحديث الذي كشف القنبلة الذرية والصاروخية وسواها من وسائل الافناء .

---

(١) ٦٧ الحج (٢) الانفال (٣) الحجرات (٤) ١٩ يونس (٥) ١٤ الشورى

ولقد دعا الاسلام الى السلام وحث عليه وأوجب السلام فى المجتمع ، كما أوجبه بين الامم والشعوب وحمل المسلمون رسالة السلام الى الامم والشعوب وبشروا بها الانسانية داعين الى الرحمة والمحبة والتعاون والخير العام .

وفكرة السلام جزء من العقيدة الاسلامية واساسها ان المجتمع مهما كبر اسرة واحدة والناس اخوة فى الله والانسانية وعلى كل فرد ان يعمل على نشر الامن والسلام والمحبة والتعاون بين الناس وان يؤمن بالايثار وبالبذل وبالتكافل والتعاون الانسانى .

والاسلام يدعو الى السلام العالمى والى ان تقوم العلاقات بين الامم والشعوب على التعاون والاخاء والتعارف والغى العصبيات وفوارق الالوان والاجناس .

فالدين الاسلامى فى جوهره شريعة السلام والوئام ودين الحرية الشخصية والامن الاجتماعى والاخاء البشرى وهو من اجل ذلك يحارب الفوضى والاضطراب والشقاء ويحارب الطغيان والارهاب وكل ما يحول دون تمتع الفرد بحريته والمجتمع بأمنه والبشرية بالسلام والاخاء المنشودين .

والدين الاسلامى فى اشتراكيته العادلة ومبادئه السمحة الواضحة وفى عمله على النهوض بالمجتمعات والشعوب فى ظلال التعاون والمحبة وفى رعايته لمصلحة الفقير والغنى جميعا وفى وضعه للمبادىء العامة التى تكفل للانسانية الامن والتقدم والرقى هو فى ذلك كله يعزز مبادىء السلام ويعمل على خلق جو جديد ترفرف فيه اجنحة السلام والاخاء والحرية والحضارة والنور والعلم والعرفان .

أما الشيوعية فتنشأ من الحرب وتدعو اليها وتقضى على السلم العالمى بانشائها وتشجيعها للشيوعية الدولية (الكومنترن) التى تحدد اهدافها فى نشر الشيوعية فى العالم وتحويل العالم فيما الى شيوعيين ، واثارة الاضطرابات والقلاقل السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى الدول تمهيدا لثورة الطبقة العاملة وسيادة الشيوعية واذا كانت هذه الشيوعية الدولية قد الغيت عام ١٩٤٣ تقربا للغرب والديمقراطيات فقد حل محلها مكتب الاستعلام الشيوعى (الكومنيفورم) وموسكو وان تظاهرت بحل الدولية الشيوعية لا تزال توجه الحركات الشيوعية فى جميع نحاء العالم (١) ولا يترك ستالين فى كتابه (مشاكل اللينينية) اثرا للشك فى اعتقاده الذى لا يتزعزع فى أن من حق روسيا بل من واجبها المقدس أن تستخدم القوة فى اشعال نار الثورة فى البلاد الاجنبية

(١) ٦٤٢ اثرت الحرية لكرافشنكو

اذا ما لاحت الفرصة لاشعالها وجاء في مقدمة الكتاب ان دراسة تاريخ الحرب لتقوى الاعتقاد في النصر النهائي للهدف الجليل الذي عمل له لينين وستالين وهو انتصار الشيوعية في العالم كله (١)

وهذه الافكار كلها تهدم صرح السلام العالمي وتناقض ما يؤمن به الاسلام ويدعو اليه والاسلام يحرم أن توجد علاقات دولية قائمة على غير المحبة والتعاون الانساني ويحارب بذر الشقاق بين الامم ويعادي اللصوصية المستترة والجاسوسية المتخفية ، والتمرد على النظام العام في الجماعات والشعوب .

فأين هذا السمو الالهي الاسلامي في الفلسفات القديمة والحديثة على السواء؟ لقد كان ارسطو يرى ان غير اليونانيين أعداء خارجون على القانون واخضاعهم واجب سياسي ، فاين هذا من سماحة الاسلام وجلال مبادئه واهدافه .؟

السر في قيام الاسلام :

ان السر في قيام الشيوعية وظهورها هو هذا الخداع الغريب الماكر الذي تتراءى فيه للفقراء والمحرومين والطبقات المظلومة في مظهر المنقذ المختار لنشر الغنى والسعادة بين الناس وما تؤمن به الشيوعية من صراع الطبقات وعملها في بيئة كانت المرتع الخصب لها وللظروف الدولية التي تحيط بالعالم عقب الحرب الكبرى . وطغيان زعماء الشيوعية طغيانا لم يعرف له نظير ، مما ظهر في المجازر البشرية القاسية وعدد الضحايا الهائل في روسيا وسجون الاعتقال والتشريد والنفي الى مجاهل سيبريا والبطش بخصومها في الرأى والتنكيل بمعارضيها في الفكرة والقضاء على الطبقات لمعارضتها في بلادها واخيرا بهذه الشيوعية الدولية التي يؤيدها الذهب والدعاية والنفوذ .

وهذه كلها وسائل لا يؤمن بها دين ولا يقبلها ضمير ولا يوافق عليها عقل وما اضل عقول الجماهير الجاهلة التي تفهم أن الشيوعية تدعو لنفسها لانها حلم الساعة .

أما الاسلام فعلى العكس من ذلك وامره في قيامه وفي ذيوعه في العالم على العكس من ذلك .

---

(١) ٦٤٧ المرجع

لم يكن الاسلام ثورة ولم يدع اليها ولم يبن خططه على حرب العصابات وصراع الطبقات ولم يخدع محمد المحرومين . ولم يدع الى مبادئ تافهة يعجز عن تنفيذها ولم يؤيده ذهب ولا فضة ولا نفوذ أو سلطان ولا جاسوسية أو لصوصية انما كان الاسلام رسالة الهية للاصلاح وهى رسالة الحرية والاخاء والمساواة والعدالة الدينية والعلم الى العالم كافة والبشرية بجميع طبقاتها ولم يكن السر فى قيامه وانتشاره الا لما حواه من مبادئ الحق والقوة والخير والجمال (١)

لقد جمع الاسلام اليه الامة العربية من ادناها الى اقصاها فى اقل من ثلاثين سنة وتناول من بقية الامم ما بين المحيط العربى وجدار الصين فى اقل من قرن واحد وكان قيامه فى الجزيرة العربية اثرا للدعوة اليه واقتناع العرب بها اذ لم يفرض عليهم بقوة السلاح ولا بتأييد من عصبية أو سلطان .

ولم تكن حروب محمد وخلفائه الا دفاعا عن حرية العقيدة التى كان الشرك يريد القضاء عليها وعلى نور الله الذى انشق من الصحراء على يدى محمد وكانت مبادئ الاسلام نفسها وروح العدالة المطلقة والاخاء والمساواة التى سادت المسلمين الاولين باجمعها اقوى من دينهم هى السبب الاكبر فى انتشاره : لقد دعا الاسلام بنفسه لنفسه ولم يؤمر محمد بشئ الا بالدعاية لرسالته " وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم (٢) ويحق الله الحق بكلمته ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون .

ولقد كان المسلمون منذ بدأوا حياتهم الحافلة بعد ان انبثق نور الاسلام وبزغ على العرب فجر جديد فى كفاح ونضال وجهاد مستمر : حاربوا طغيان الافراد والجماعات والشعوب فظفروا ظفرا مؤزرا " اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون " واكتسحوا الدول والاقطار ناشرين لهداية الله مؤيدين بروحه وامنه حتى انتشر الاسلام فى كل مكان وعم ضوؤه الافاق .

وكان هذا النصر العظيم معجزة كبرى بهرت الناس وحيرت المفكرين لانه نصر خارق شمل جميع الميادين : الحربية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والفكرية "ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الامور ، فشملت الدولة الاسلامية اكثر أمم العالم المعروف آنذاك . وكانت العواصم الاسلامية هى محور السياسة العامة ومحط انظار الناس والنظم الاقتصادية التى شرعها الاسلام كانت هى النظم السائدة بين جميع هذه الشعوب والثقافة

(١) راجع كتاب " السر فى انتشار الاسلام لمحمد عرفه — ط ١٩٣١ وراجع ٢١٧ رسالة التوحيد لمحمد عبده — ١٣٦١ (٢) ٦٧ الحج

الاسلامية كانت هى المنهل العذب الذى ترنو اليه العقول والعيون ويستمد منه الناس ثقافتهم وعلومهم وفنونهم وآدابهم والنظام الاجتماعى الذى وضعه الاسلام وكفل به التضامن الاجتماعى بين الافراد والجماعات والطبقات وجعل الغنى والفقير والكبير والصغير والامير والعامل اخوة متحابين فى الله .. هذا النظام الرائع هو الذى كانت تحلم بأن تحيا فى ظلاله امبراطوريات كسرى وقيصر وشارلمان والذى ارتمت فى احضانه كثير من البلاد والامم وكذلك مناهج التفكير العامة والوان الحضارة المشرقة عند المسلمين كانتا هما السائدتين فى البلاد الخاضعة لنفوذ الاسلام فوق انهما من الامال العزيزة التى كان يحلم بها والعيش فى ظلها الملوك والامراء والعلماء والعامة فى جميع الاقطار .

هذا التقدم العظيم والروح الوثاب والنهضة الجبارة كان منشؤها الدين نفسه وشريعة الاسلام بما اشتملت عليه من اداب ونظم واخلاق ومثل وعادات ونواميس واهداف فمبادئ الاسلام هى السبب الاول فى نشره وارتماء الامم فى احضانه .

لقد حارب الاسلام الضعف بجميع صوره والوانه :

حاربه فى الفرد فدعا الى أن يكون المسلم قويا عزيزا كريما كما يقول الرسول الكريم " المؤمن القوى خير واحب عند الله من المؤمن الضعيف ويقول : " اليد العليا خير من اليد السفلى أى المعطى خير من السائل ودعا الى العمل والجهاد فى سبيل العيش : وهو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وقدس حرمة الاموال والاغراض : " كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله " .

وحاربه فى المجتمع ليقضى على الرذائل والشرور وعاقب عليها عقابا صارما وامر بشتى الفضائل الاجتماعية التى تكسب المجتمع قوة وامنا وطهرا وخيرا وشرع قاعدة اجتماعية مثلى تصور لك آداب الاسلام واصول دعوته وتبين لك الى أى مدى كان التضامن الاجتماعى يسود الطبقات والجماعات فى ظلال الاسلام وهى كما يقول الرسول الكريم : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه " وكما جاء فى الاثر : عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به " وهذا نظام اجتماعى اساسه حب مصلحة الغير والمحافظة على حقوق الناس وتعود الايثار والبر والخير والرحمة والتعاون ومقت الاثرة وبهذا اوثق الصلات بين الاغنياء والفقراء . كما قضى على العصابات ونشر الانصاف والعدالة والحق والمساواة بين الناس جميعا ودعا الرأى العام الذى ربى على اصول دعوة الاسلام الى أن يكون قويا جريئا لا يخشى فى الله لومة لائم بل يأمر بالمعروف وينهى عن

المنكر ويقف في وجه الظلم والطغيان .

وحارب الضعف في الامة ، فجعل راعيها هو القوام على حقوقها والامين على مصالحها والذائد الحامي الذمار عن احسابها وشرفها وكرامتها والحاكم العادل الذي ينشر الامن ويبعث الرحمة ويسوى بين الناس ويعطى كل ذي حق حقه .

ودعا الناس مع دعوته الى تكوين الاخوة الاسلامية القوية — الى اخوة انسانية عاملة شاملة لا فرق بين الامم والعناصر والعقائد والمذاهب " يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا " .

وهذا كله هو السبب في مجد المسلمين الاولين وحياتهم اذ آمنوا بهذه المبادئ ونهجوا على طريقها في حياتهم وادابهم وسلوكهم وهو السبب في انتشار الاسلام بسرعة خارقة للعادة في جميع الاقطار والامصار .

ان اكثر المذاهب القديمة والحديثة قامت على الدماء والاشلاء وكل النظم التي سادت وتسود اليوم — العالم قد ذهب ضحيتها ملايين البشر .. اما الاسلام وامره في قيامه وفي ذيوعه في العالم كله فعلى العكس من ذلك يقول هانوتو :

" لما بعث الشرق من مرقده عاش في الاسلام وانتصر بالاسلام ولا يزال يحيا اليوم وفدا في الاسلام "

واضيف الى ذلك أن الاسلام انما قام على السلام والحرية : حرية الدين وحرية التملك والكسب وحرية الطمأنينة على النفس والمال .

وهو ليس ثورة طبقة على طبقة ، وصراع جماعة لهدم أخرى .. ولم يكن قيامه وانتشاره الا لما حواه من مبادئ القوة والحق والخير والجمال .

ان الاسلام رسالة آلهية لا مبدأ اخترعه بشر وهو رسالة الحرية والاخاء والمساواة والعدالة والاصلاح والمدنية الى العالم كافة والبشرية بجميع طبقاتها .

لقد كانت مبادئ الاسلام نفسها وروح العدالة المطلقة والمساواة والاخاء التي سادت المسلمين الاولين بايحاء قوى من دينهم هي السبب الاكبر في انتشار الاسلام بين الامم .. وكانت حرية الاديان محرمة الا في بلاد الاسلام . ان سرعة انتشار الاسلام واقبال الناس على الاعتقاد به من كل ملة انما كان لسهولة تعقله ويسر احكامه وعدالة شريعته وبالجملة لان فطر البشر تطلب دينا

وترتاد منه ماهو امس بمصالحها واقرب الى قلوبها ومشاعرها (١)

ولا داعى للافاضة فى هذه الحقيقة التاريخية فانها معلومة مشهورة ولكنى اقصد من ذلك الرد على مفتريات المبشرين ودعاتهم الذين يضللون عقول الجماهير ويقولون : ان الاسلام قام بالسيف ، وان الجنود المحاربين هم الذين حملوه الى جهات الدنيا وهذا افتراء على الحقائق ما بعده من افتراء ، فدعوة الاسلام هى التى كانت تدعو الى نفسها بنفسها والاسلام معناه السلام وهو حامى الحريات ومحرر الشعوب والجماعات والتاريخ الاسلامى شاهد صدق على ان مبادئه هى السر الاكبر فى انتشاره ، وان كان المسلمون حملوا السيف ليدافعوا به عن انفسهم وليحموا العقيدة من عدوان المشركين والوثنيين ولم تهاجم الجيوش الاسلامية امبراطوريتى الروم والفرس الا للقضاء على المناورات العسكرية الخفية التى كانت تريد ان تمهد للاطباق على الجزيرة العربية ووأد الدين الجديد فيها .

ان كثيرا من المذاهب الحديثة والقديمة على السواء قامت على الثورة والحرب والكفاح وصراع الطبقات ولكن الاسلام لم يكن فى حاجة الى شىء من هذا والمسلمون كانوا دعاة خير وعدل وانصاف ورحمة وبر وتعاون ولا شك فى انه لا سبيل الى التوفيق بين مؤمن بحرية الفكر والعقيدة وكافر بهما لا يؤمن مثله بمبادىء الخير والتكاتف والسلام ، بل يحنق عليهما ويبغضها .

واذا اردنا ان نوازن بين الاسلام والمذهب الشيوعى — مثل فى قيامهما وشأنهما هالنا الفرق بين دين شعاره الاخاء والوحدة والامان ومذهب يصطنع العداء بين الناس ويعتمد على التفاوت بين الطبقات ليثير الحقد والبغضاء فى نفوس بنى البشر وليقول لهذا انت غنى ولذاك انت فقير والغنى شر والفقر موت وليدفع الفقير الى أن يقاتل بالسيف اخاه الغنى ليستحوذ على ماله وثروته يدلك على ذلك التاريخ فقد بدأت الشيوعية فى روسيا لاول مرة عام ١٨٨٣ حين شكل بليخانوف الجماعات الماركسية ومنها جماعة تحرير العمل التى تعتنق اراء ماركس وانجلز الداعية الى ان تسير الطبقة العاملة الى اهدافها بالقوة والثورة وقد سبق ذلك صدور قانون تحرير رقيق الارض عام ١٨٦١ فى عهد القيصر اسكندر الثانى بتأثير كتابات المفكرين ودعوتهم الى الاصلاح من امثال تولستوى وجوركى وبوشكين .

وفى عام ١٨٩٨ نشأ حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى فى روسيا داعيا الى تعاليم ماركس وفى ١٩٠١ قام الحزب الاشتراكى الثورى وفى عام ١٩٠٣ أنشأ لينين الحزب الشيوعى

(١) رسالة التوحيد ص ٢١٧ — محمد عبده — طبع المنار ١٣٦٠ هـ بمصر .

البولشفى ومن ذلك الحين ظهرت البولشفية مدرسة فكرية وحزبا سياسيا ينادى باستخدام القوة والعنف لخدمة اغراضه .. وخلال الحرب العالمية الاولى — وكانت روسيا تقاسى اهوال الحرب وويلاتها — اخذت الشيوعية تستخدم السخط العام لاثارة حرب الطبقات فقامت فى اوائل مارس ١٩١٧ ثورات وحروب اهلية مدمرة بين الطبقات وفى منتصف مارس قبض الشيوعيون على القيصر نقولا الثانى . وفى اليوم الثانى اعلنوا الجمهورية واخذوا بعد ذلك فى ذبح الاغنياء ، واستصفاء اراضى كبار ملاك الارض وتسليم المصانع والمتاجر الى العمال وقامت الديكتاتورية الشيوعية الطاغية فى روسيا واخذوا يسلبون الملاك محاصيلهم ومتاجرهم ومصانعهم باسم الثورة حتى المنازل فى المدن ونفذوا مشاريعهم الاقتصادية بقوة السلاح والارهاب وعاملوا طبقة الفلاحين الاثرياء " الكولاك " بدون شفقة أو رحمة كما يقول المؤرخون الروسيون (١) فحكموا عليهم بالموت أو بالتشريد فى سيبيريا وغيرها وقامت المذابح الهائلة باسم الاصلاح فى كل مكان مما نبعت عن فكرة آمن بها الشيوعيون ايمانا عميقا فكرة صراع الطبقات واستخدام القوة المسلحة للقضاء على خصومهم فى الرأى ويصور هذه الفكرة زعماء الشيوعية الروحيون والسياسيون ويقول ماركس وانجلز : ان تاريخ كافة الجماعات الحاضرة هو تاريخ الصراع بين الطبقات (٢) ويقول ماركس : صراع الطبقات يقود بالضرورة الى ديكتاتورية الطبقة العاملة التى هى وسيلة لالغاء جميع الطبقات (٣) وهذه النظرية يحاربها الاسلام حربا شعواء لانها تفسد الامن والسلام وتقضى على الاخاء الانسانى وتجعل بعض الناس اعداء بعض وتدعو الى نهب بعضهم بعضا وتولد الشحناء والحقد فى المجتمع والنصوص على ذلك كثيرة من القرآن الكريم وكلام الرسول بل ان صراع الطبقات لم تؤمن به ايجماعة فى عصور الجاهلية الاولى ولا يدعو اليه اليوم اصلاح فهذا هو الاصلاح العام فى الديمقراطية يصير بتلك الامال المساواة والعدالة الاجتماعية دون وجود صراع طبقى على أن مصالح الجماعات الانسانية لاتعارض بينها على الحقيقة وانما بينها التعاون والانسجام والاسلام يوجب أن يعيش الفقراء والاغنياء بعضهم بجوار بعض اخوة متحابين وقد هدف الى التعاون التام بين الطبقات .

---

(١) ٢٤ ، ٢٥ الدستور السوفييتى لفؤاد محمد شبل — طبع القاهرة .

(٢) ٣٧ المرجع السابق

(٣) ص ٤٦ المرجع نفسه وصفحة ٧١ نقد النظرية الماركسية لاحمد جمال الدين طبع القاهرة ١٩٤٨ .

ولقد اعلن المؤتمر الشيوعي الاول الذى عقد فى موسكو فى ٧ مارس ١٩١٩ تأليف الدولة الشيوعية الثالثة (الكومنترن) لنشر الشيوعية فى العالم . وتحويل العمال فيه الى شيوعيين واثارة الاضطرابات وايجاد القلاقل فى المحيط السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى الدول تمهيدا لثورة الطبقة العاملة وسيادة الشيوعية بين الشعوب وقد الغت روسيا الدولية الشيوعية فى ٢٢ مايو ١٩٤٣ تقربا الى الحلفاء ولكن الدولية الشيوعية الثالثة استمادت نشاطها الان وهذا ما يبدو بعد انشاء مكتب الاستعلامات الشيوعى (الكومينفورم) فى اكتوبر ١٩٤٧ وآثار ذلك واضحة فى اثارة الطبقات فى الشرق والغرب.

وكتاب " مشاكل اللينينية " ظل المرشد الاعلى فى شئون المبادئ والافكار الشيوعية ولا يترك هذا الكتاب اثرا للشك فى اعتقاد مؤلفه فى أن من حق الكتلة العاملة المظفرة - الكتلة الشرقية - بل من واجبها المقدس ان تستخدم القوة فى اشعال نار الثورة فى البلاد الاجنبية اذا ما لاحت الفرصة لاشعالها وان تستخدم القوة العسكرية اذا لزم الامر ضد الطبقات المستقلة والدول التى تناصرها .

وحكم العقل والاديان عامة والاسلام خاصة على مبادئ ونظرية صراع الطبقات واستخدام القوة الثورية لارهاب الشعوب السالمة لايخفى على انسان.

ان الشيوعية لم تكن لتقوم لها قائمة فى بلادها لولا هذه المجازر الهائلة وعدد الضحايا الضخم لها فى بلادها ولولا سجون الاعتقال والنفى الى مجاهل سيبريا والبطش بخصومها فى الرأى والتنكيل بمعارضيها فى الفكرة ثم لولا الدعاية والاموال الضخمة التى تبذل لنشرها .

أما الاسلام فلا يمكن أن يشك عقل فى انه انما قام على السلام والمحبة والرحمة والخير والتعاون بين الناس وعلى الصدق فى المبادئ والاقناع بالحجة وسمو مبادئ الدعوة واهدافها واتجاه هذه الرسالة الالهية الى غرس بذور الوئام والوحدة بين جميع الامم والشعوب وعملها لنشر الرفاهية والسعادة بين بنى البشر كافة .

هذا ويستخدم لينين الاشتراكية والشيوعية بمعنى واحد اما ماركس فيطلق على نظام الانتاج الموزع مع توزيع حصيلته وفقا لنوع وكمية العمل المنجز - المرحلة الاولى للشيوعية ولم يسمه بالاشتراكية واطلق على النظام نفسه الذى توزع حصيلته وفقا لحاجات الافراد المرحلة العليا للشيوعية "

والاشتراكية — اقتصاديا — تنادى بالملكية المشتركة لادوات الانتاج مع احتراقها بسدور النقود والاجور ، شعارها : " من كل وفقا لمقدرته والى كل وفقا للعمل المنجز "

أما الشيوعية نظريا فمبدؤها " من كل وفقا لمقدرته والى كل وفقا لحاجاته " فالشيوعية تقول بحصول الفرد على نصيب فى الانتاج طبقا لحاجته والاشتراكية تجعل ما يخصه جزاء على الخدمات التى يؤديها (١) وينكر الاشتراكيون " صراع الطبقات وفكرة الثورة كوسيلة لتحقيق مبادئهم (٢) من حيث يؤمن بها الشيوعيون ومبدأ الغاء الملكية الفردية وتأميم جميع المؤسسات ووضع اموال الامة فى يد الحكومة والقضاء على التجارة الداخلية وقيام نظام السلع مقابل بطاقة يقدمها الفرد للحصول على حاجات معيشته وتطبيق نظام الاجور الذى وضعه لينين وحكر الدولة وحدها التجارة الخارجية وتهيمن على النظامين النقدى والمصرفى وتطبيق الملكية المشتركة بمنح الفلاحين الارض على سبيل الاعارة المؤبدة يستغلونها على اساس تعاونى والعامل وحده له حق الحصول على دخل ولما فشلت الشيوعية فى توزيع الاجور وفقا للحاجة اخذت توزعها وفقا للانتاج وهذا ولا شك جور اقتصادى لا مثيل له •

العدالة الاجتماعية فى الاسلام :—

ان العدالة الاجتماعية فى الاسلام هى العدل والتعاطف والتكافل الاجتماعى وهى الايثار والتضحية لخير الجماعة وهى من الناحية المعنوية تدعم الحرية الفردية وتؤمن بالضمير الانسانى ومن الجانب الاقتصادى تهدف الى مقاومة الاستغلال فى شتى صوره ومن الناحية السياسية تدعو الى الديمقراطية وتجعل الغنى وظيفة اجتماعية تتطلبها حقوق يجب أن تؤدى ويجب على الدولة ان تراقب اداءها ومن حيث الوسائل تنكر الثورة وصراع الطبقات وتحرص على الامن والسلام بين الناس ولا تجعل الملكية والمال وسيلة للتمييز بين الناس وتحمى حقوق العامل والفقير والرقيق والخادم والمرأة وتعمل للاصلاح العام والتعاون المثمر وتقرر التأمين الاجتماعى للفقراء والعاجز والعاجزين وتفرض الزكاة ضريبة لمحاربة الفقر وتحرم الربا والاستغلال والاحتكار فى شتى صوره والترف والاسراف وتحد من غلواء الرأسمالية وتكره التفاوت المادى بين الناس حتى لقد آخى الرسول بين الانصار والمهاجرين ووزع فىء بنى النضير على المهاجرين الفقراء وتوصى بالاحسان والصدقة وتفرض نفقة الاقارب المحتاجين على ذويهم الاثرياء القادرين على الكسب وتشرع نظام الوقف والوصية والقرض والهبة والنسيئة والاعارة وتقرر فريضة الميراث وتنهى عن الكسب الحرام

(١) ١٩٦ النظام الاشتراكى — البراوى ١٩٥١ (٢) ١٩٨ المرجع

وتجعل الزوج مسئولا عن زوجته والاب عن اولاده وتحض على العمل وعلى ايجاده وتحترم العامل وحقوقه وتسوى بين صاحب العمل وتحافظ على الملكية الخاصة وتقيم بجانبها ملكية عامة كما فى أرض الوقف والاراضى الخراجية وتوصى بالفقراء وبالتكافل الاجتماعى يقول الرسول " ايما اهل عرصة اصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى ٠ "

وقال ابن حزم : فرض على الاغنياء فى كل بلد ان يقوموا بفقرائها ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الزكوات بهم ولا فى سائر اموال المسلمين فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ومن اللباس فى الشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يكنهم ٠(١)

والجشع الاقتصادى بكل مظاهره شئ لا يعرفه الاسلام ونظام الربا الذى اصبح متغلغلا فى جميع فروع حياتنا نظام فاسد لا يليق بالانسانية فى القرن العشرين وجدير بالامم أن تفكر فيه من جديد وان تخطو خطوة حاسمة لانقاذ العالم من ويلاته والشركات التى تقوم على نظام الربا لابتزاز اموال الشعب شركات لا يقرها الاسلام الكريم ٠ ان روح الجماعة وتيسير سبيل الحياة لكل انسان لهما الينبوع الذى تخرج منه كل الافكار الاقتصادية السليمة فى الاسلام واساس النظرية الاقتصادية فى الاسلام اعط المال لغيرك ليهيء لنفسه الفرص الطيبة فى الحياة ثم استرده منه وعلى هذا الاساس كانت شتى المعاملات الاسلامية الكريمة وما اجل ما يقول الله تعالى : وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون٠

امثلة من العدالة الاجتماعية فى الاسلام :

١ — فى السنة الثانية من الهجرة فرضت شريعة الزكاة وهى جزء قليل يخرجه الغنى من ماله الكثير ٠ فيجبر به قلوبا كسيرة ويسد حاجة من ضعف عن القيام بحاجة نفسه ويرفه عن الفقراء والمحرومين ومقدار نسبتها فى الغالب لا يزيد عن اثنين ونصف فى المائة ٠

وما اجل قول الله تعالى : " وفى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم " وقوله فى وصف المؤمنين : " والذين هم للزكاة فاعلون " وقوله " أو لم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ؟ ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون — فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون وما اتيتم من ربا ليربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون " وقوله تعالى " وانفقوا مما

(١) راجع ١٧ الادارة الاسلامية — كرد على — ١٩٣٤ القاهرة ٠

جعلكم مستخلفين فيه " وفي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيض كثير من تأكيد شريعة الزكاة وتقريرها وايجابها على الاغنياء للفقراء .

وهذا الركن الكبير من اركان الاسلام هو رسول السلام وداعي المحبة والتعاون والعطف بين الناس والقوى للروابط بين الافراد والطبقات والمستل لاحقاد النفوس واضغانها والمقرب بين القلوب : لتصير الامة كتلة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى . الزكاة أجل اصلاح اجتماعي اتت به شريعة الهية واكبر دعوة الى التعاطف والتساعد والتماسك بين الناس وهي وما حبب فيه الاسلام من الصدقة والاحسان ورعاية الفقير واكرام الجار وقرى الضيف وابن السبيل اعظم حل عملي لاعظم مشكلة عالمية استفحلت اليوم وهي الشيوعية ودعوة الشيوعيين .

ولما مات رسول الله صلوات الله عليه كانت القبائل العربية لاتزال بحمقها وجاهليتها غاضبة ناقمة على الاسلام وشريعته في الزكاة فارتد الكثير منها عن الاسلام فصمم أبو بكر على محاربة هؤلاء المرتدين مهما كان وهو يقول : " والله لومنعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه "

ونهض بنفسه لحرب المرتدين حتى اصاخوا لدعوة الاسلام وادوا لابي بكر زكاة أموالهم التي كانوا يؤدونها لرسول الله .

رحمك الله يا عمر لقد سبقت العالم المتحضر الى ما يعملون فقد كنت تصرف للفقير من بيت مال المسلمين طعامه وكساءه وغطاءه وكنت تحمل على ظهرك القوت لتذهب الى من تستطيع الذهاب اليه من الفقراء .

ان الزكاة ركن كبير من اركان الاسلام وفيه علاج حاسم لامراض المجتمع وتقريب كبير بين طبقات الامة وتعاون مثمر بين الاغنياء والفقراء ورفع لمستوى الامة الاجتماعي ودواء لاهم مشكلة من مشاكلنا العامة ألا وهي الفقر .

واخراج الزكاة وتقديرها موكولان الى ضمير المسلمين ودينهم وهم المسئولون عن ذلك امام الله وامام المجتمع والناس .. ولكننا اصبحنا الان في زمن مادي يتحلل من شريعة الله ويعصى اوامر الله ويجد الزكاة مغرما بعد أن كان اسلافنا الاولون يعدونها مغنما كبيرا لما فيها من كسب رضاء الله وثوابه ومضاعفة الاجر عليها ولما فيها مع ذلك من حيازة رضاء الملائكة والناس — ودعوات الفقير واليتيم والمسكين ولما فيها من قضاء على الاجرام والنهب والسرقة والاعتداء على

اموال الاغنياء وصدق الله العظيم حين يقول : " وما اتيتم من ربا ليربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون "

وجباية الزكاة فرض على المسئولين اليوم بعد أن اصبح اغنياؤنا لا يعبأون بهذا الركن الخطير من اركان الاسلام ولنا فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه اسوة حسنة حين حارب الذين منعوا الزكاة حتى افاءوا الى دين الله وشريعته وادوها كما كانوا يؤدونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

اننا نرى أن تؤلف لجان فى كل قرية ومدينة بقرار وزارى من اعيان المسلمين ومن العلماء فى هذه الجهات وتتحرى هذه اللجان الحق والصدق فى عملها وتشرف على جمع الزكاة بشتى انواعها من الاغنياء وعلى صرفها على مستحقيها من فقراء المسلمين وعلى أن لا تخرج زكاة قرية أو مدينة منها بل تصرف فيها على فقرائها وتكون هذه اللجان مسئولة عن اعمالها امام القانون والحكومة .

وبهذا نضمن تحقيق غرضين شريفين :

الاول : التحقق من ان كل غنى دفع الزكاة الواجبة عليه كاملة غير منقوصة .

والثانى : التأكد من وصول الزكاة الى مستحقيها من الفقراء والمساكين .

٢ — ويحارب الاسلام عدوا لدودا للانسانية كافة هذا العدو هو الفقر الذى كثيرا ما يكون سببه سوء توزيع الثروة بين الناس أو الجهل باستنباط الثروة واستغلالها أو جدب الارض وقلة خيراتها .

ولقد نظر محمد صلوات الله عليه الى مشكلة الفقر باهتمام شديد وسعى بنجاح تام الى القضاء على هذه المشكلة بعقل المشرع وحكمة المصلح والهام الرسول مع صعوبة التغلب على الفقر فى بيئة كبيئة الصحراء وفى مجتمع لا يعرف الا العصبية والفروق الظالمة بين طبقات الاغنياء والفقراء .

كان الناس ينظرون الى المال على أنه هو الوسيلة لحياة الرفاهية والترف ولاستعباد الفقراء وتسخير الضعفاء فحارب محمد صلوات الله عليه هذه الفكرة الخاطئة واعلن ان المال هو سبب لعمل الخير والبر والرحمة والمعروف ومواساة المنكوب واغاثة الملهوف واطعام الجائع وكسوة العارى واسعاد الناس وهو وديعة الله فى ايدى الاغنياء ومال الله استخلفهم عليه وجعل من سنة الانسان المهذب فى الحياة الايثار لا الاثرة والاعطاء لا الاخذ والقناعة والرضا والشكر لا الجشع والطمع السخط والجحود .

وكان الاغنياء لا يعرفون في المال حقوق الله والفقراء والمساكين فطالبهم محمد صلوات الله عليه بما طالبهم به القرآن الكريم في قول الله تعالى : " فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، واولئك هم المفلحون ونهاهم عن البخل والامساك والشح والتقتير فقال صلوات الله عليه : " اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال الله تعالى : " ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، ومدح المؤمنين الذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم وفرض حق الضيف وابن السبيل وجعل صلوات الله عليه البر واجبا والاحسان فريضة والصدقة شريعة اجتماعية والزكاة امرا محتوما لمصلحة المجتمع كله . ونظم الوحدة الاجتماعية بين الناس وجعل اساسها الاسرة وفرض على الرجل حقوقا يؤديها من ماله لاسرته واقاربه واهله وطالبه بأن يرعى ابناءه حق الرعاية ويوفر لهم بعمله وجهده وسائل الحياة الكريمة وحث على القناعة والاقتصاد فقال صلوات الله عليه : طوبى لمن قنع بالاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال : " ما عال من اقتصد "

وشرع الله لنبيه الكريم شرائع الزكاة والصدقات فدعا اليها الرسول صلوات الله عليه وحض عليها ونادى بها وسن كذلك تشريعات العمل والاجارة والمزارعة والوصية والهبة والوقف والرهن والوديعة والقرض وعقود الشركات والمضاربة وسواها لكي تتداول الايدي المال .

ويعمل فيها الفقراء والاغنياء قصدا للربح والكسب الحلال ومن ثم حرم الاسلام ورسوله الكريم الربا والاحتكار والاستغلال واكل اموال الناس بالباطل وقرر محمد صلوات الله عليه كسب الاموال من طرقها المشروعة فقال من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله من اين ادخله النار " وعمل على حفظ كرامة الفقراء ففضل صدقة السر وحض على ترك المن والاذى وكره السؤال وحرمه من غير حاجة وجعل اليد العليا خيرا من اليد السفلى وحبس محمد صلوات الله عليه الاموال — التي تؤخذ من الفيء والخراج والجزية والغنائم والعشر والركاز وسواها على مصالح الفقراء والتمكين لهم في الحياة والمعيشة وحرر رقيق الارض من العبودية وطالب باحترام حقوق الرقيق الذي اسر في حرب مشروعة وبالعمل على تحريره كما حرر العامل والخادم والمرأة من القيود والاغلال .

ودعا الى توزيع الثروة توزيعا عادلا باخائه بين الانصار والمهاجرين وبما فرض من حقوق مشروعة للفقراء في اموال الاغنياء وبدعوته الى العمل وحضه عليه حتى يأخذ الفقير حقه الكامل في الحياة بمرور الايام وبتقسيمه العادل للميراث بين اولي الارحام وبغير ذلك من اسباب التمكين للفقير والمسكين والمحروم ونهى عن كنز المال دون اداء حقوقه وكره — الاستكثار منه والتكالب على

جمعه حتى قال رسول الله صلوات الله عليه لبلال : " الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا " .

وحث على الجود والبذل والسخاء وكان صلوات الله عليه كما وصفه على : اجود الناس كفا وكما وصف فى حديث البخارى " فلرسول الله اجود بالخير من الريح المرسلة وتقول عائشة رضى الله عنها : ما شبع رسول الله ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكننا كنا نؤثر على انفسنا " ودعا الناس الى التعاون على دفع الضر عن الفقراء فقال :
" ايما اهل عرصة اصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى . ونهى عن المحاباة فى كل شيء حتى فى اختيار الموظف فقال صلوات الله عليه : " من ولى من امر المسلمين شيئا فامر عليهم احدا بمحاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله النار " كما نهى عن الخيانة فى الاموال العامة فقال : من استعملناه على عمل ورزقناه فاخذ بعد ذلك فهو غلول " أى خيانة .

ولقد حبب محمد صلوات الله عليه الناس فى الكسب الحلال المشروع ودعاهم الى استنباط المجهول من وسائل الثروات وقال لهم : انتم اعلم بشئون دنياكم وجعل بيت المال فى خدمة الناس لا لفئة من بينهم خاصة ولم يكن لرسول الله بيت مال يضع فيه الاموال وانما كان يضعها فى بيته وبيوت اصحابه وكان الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت يكتبان له اموال الصدقات ومعيقب بن ابى فاطمة وكعب بن عمر يكتبان المغانم وكان حذيفة بن اليمان يكتب لرسول الله صلوات الله عليه خرص ثمر الحجاز . وكان يتخير ولاته وعماله ويقتصد فى رزقهم فاستعمل عتاب بن أسيد الاموى واليا على مكة وجعل رزقه كل يوم درهما وصالح صلوات الله عليه اهل فدك على نصف ثمارهم وصرفها على الفقراء وكان بعمله الشريف ودعوته الكريمة يقوى بذور الرحمة والخير والتعاون والمودة والاخاء بين الناس . حتى يستطيع المسلمون التغلب على آثار الجدب الذى كان غالبا على جزيرة العرب .

وقد دعا صلوات الله عليه الى اصطناع الايادى عند الفقراء : " اكثروا من معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادى فان لهم دولة قالوا : يا رسول الله وما دولتهم ؟ قال : " اذا كان يوم القيامة قيل لهم : انظروا من اطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الجنة " وجعل الرسول الاكرم فى كل معروف وكل عمل صدقة فقال :
" كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له به صدقة وما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة والدال على الخير كفاعله . والله يحب اغاثة اللهفان " ورفع الرسول صلوات الله عليه من منزلة الفقراء ولم يجعل المال اساسا للحكم على الاشخاص .

وقد قرر محمد صلوات الله عليه حقوق الانسان كاملة غير منقوصة وحارب الرق والاستعباد والاستغلال والفوارق الاجتماعية الظالمة بين الناس ورفع من شأن الفقراء والمستضعفين ذوى الكفايات والمواهب حتى بلغوا اعلى المنازل فى الدولة الاسلامية مما قلب الاوضاع فى توزيع الثروات بين الناس وانصاف الفقراء وفتح باب الامل الواسع على مصراعية امامهم يدخلونه بقوة وعزم وكرامة وتفاؤل بالحياة .

وهكذا كان محمد صلوات الله عليه الانسانية فى أروع صورها والمثل الاعلى فى امجد مظاهره والقائد المظفر الذى هدى الحياة واخرجها من الخوف والقلق والفوضى الى الامن والهدوء والاستقرار وكانت حياته كلها كفاحا مجيدا فى سبيل الله والحق والمعروف وتقرير حريات الفقراء وكرامتهم وكانت جهادا صادقا وجهته الخير واسعاد الناس ومن اجل ذلك توج هذا الجهاد بالنصر وهزت ذكرياته مشاعر الناس والجماعات والشعوب فى كل مكان وجيل ولا تزال هذه الذكريات حديث الدنيا ونشيد الحياة وفرقان البشرية الظامئة الى نبع هذا الوحى المقدس والناموس السماوى الحكيم .

لقد استطاع رسول الله صلوات الله عليه أن يجعل الفقراء والاغنياء اخوانا متحابين متآخين . متعاونين . وان يقيم فى المجتمع الاسلامى وحدة عاد لة تؤمن بالمبادئ الروحية والمثل العليا وتجعلها اساسا من اسس الاقتصاد التعاونى الجماعى فى الدولة الاسلامية الناشئة واستطاع بما بذره من بذور الخير فى الارض ان يقضى على الفرقة والخصومة والجريمة والثورة والاضطراب والقلق بين الطبقات وكانت ثورة محمد الكبرى من اهدافها تحرير الانسان من الفقر والعوز والحاجة والخوف وكفالة حريته وحقه فى الحياة الانسانية الكريمة وهدم كل الصروح التى اقيمت ظلما وبهتانا بأيدى الاقطاعية والاقطاعيين الجائرين .

٣ — والاشتراكية ترى تأميم المرافق المتصلة بالخدمات العامة (١) اما الشيوعية فلا تقر الملكية الفردية عامة بحال من الاحوال وكان ماركس يرى أنها اساس النزاع بين الطبقات وقد قام الشيوعيون بالغاء الملكيات الخاصة وتأميم مصادرة الثروة فى روسيا ونفذوا ذلك بالقوة والعسف وجميع موارد الانتاج والثروة فى يد الحكومة تنتج وتوزع فهى صاحبة المصانع والمزارع والمتاجر والمناجم ومنازل المدن (ويمنع القانون صاحبة المصانع والمزارع والمتاجر والمناجم ومنازل المدن) ويمنع القانون — الشيوعى امتلاك سيارة للاستغلال التجارى وفى المادة الخامسة من الدستور السوفييتى :
الملكية الاشتراكية اما ان تأخذ شكل تملك الدولة فتكون الثروة للشعب عامة أو شكل الملكية التعاونية

(١) ٢٠٠ النظام الاشتراكى .

أو الجماعة • ومحاربة الشيوعية للملكية الفردية استتبع محاربتها للارث وتحريمها له •

ان مبدأ الغاء الملكية الفردية الغاء تاما ينافي الفطرة الانسانية وغريزة التملك في الانسان ويدعو الى الخمول والكسل ويخالف تعاليم جميع الاديان وقد طبق ذلك في المجتمع الشيوعي في روسيا بقوة السلاح ثم اخذت الحكومة في التراجع فاباحت للمواطنين الامتلاك الشخصي للدخل الناتج عن عملهم ومدخراتهم ولاثاث البيوت والامتعة والادوات المخصصة للاستعمال الشخصي واجازت للفلاح في المزرعة المشتركة ان يملك حديقة حول منزله•

أما الاسلام فقد شرع وجمع الملكية الفردية واجاز لمن احيا ارضاء مواتا باذن الامام ولو ذميا ان يملكها اذا كانت بعيدة عن العامر على أن يعمرها خلال ثلاث سنين والا اخذت منه ودفعت لغيره •

ولا شك أن في حماية حرية الملكية امام الانسان تحريرا له من قيود الوصاية الاجتماعية واعترافا بشخصيته وكرامته الانسانية واثارة لمواهبه الخاصة ودفعا له على تحمل مسئوليات الحياة •

لقد بعث محمد صلوات الله عليه الى الناس كافة ومعه رسالة تقضي ظلمات الحياة وشريعة تقضي على الاغلال والعبودية وبين يديه دستور خالد يهدي الى النور والحق والحرية والمساواة والعدالة والاخاء•

ولقد حرر الاسلام وكتابه الحكيم ورسوله الكريم المستضعفين في الارض ومحا الاستعباد السياسي والاجتماعي •• وقرر مسئولية الحاكم وانه خادم الشعب وان لا طاعة له على احد اذا خرج عن طاعة الله •• وقرر أن أول واجب عليه كذلك حماية دماء المسلمين واعراضهم واموالهم والغى الالقاب ونظام الطبقات الجائر وهدم الفروق الواسعة الظالمة بين الناس فكلهم لادم وادم من تراب ولا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى والعمل الصالح وحرم الترف والفساد والاستغلال والاحتكار واكل اموال الناس بالباطل وجعل لكل فقير حقا في بيت المال فان لم يكن في بيت مال المسلمين ما يسد حاجات الفقراء فحقوقهم يجب أن تؤخذ من اموال الاغنياء التي كره الله كنزها وانذر من يكنزها لانفاقها في غير مرضاة الله بعذاب شديد والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون " وفرض الاسلام الخراج والجزية وزكاة الاموال لينفق منها على المساكين والفقراء ودعا الى الورع والزهد في مال الناس • والى ترك الاسراف في التملك لانه مدعاة للترف والهلاك والخروج عن حدود الفضيلة

والعفة والدين واعلن وحمى مبدأ تكافوء الفرص أمام الناس جميعا ٠

ويؤثر عن جابر بن عبد الله حديث نص بصراحة تامة على أن مالك الارض اما ان يزرعها بنفسه واما ان يتنازل عنها ولو بالهبة لغيره من الناس قال جابر : كان لرجال منا فضل أرض فقالوا نؤاجرها بالثلث أو الربع أو النصف فقال الرسول عليه السلام : "من كانت له ارض - فليزرعها أو يمنحها أخاه ولا يؤاجرها اياه" أى ليزرعها بنفسه أو ليتنازل عنها ولو بالهبة لاخيه المسلم ولا يعطيها اياه مؤاجرة لان ذلك مظهر التعاون بين المسلمين ٠

ان الاسلام يقر مبدأ تحديد الملكية ليعيش المجتمع كافة بنعمة الله اخوانا وليتعاون الفقراء والاغنياء على خير الامة وسعادتها ومجدها ولتتقارب الطبقات وتزول الفروق الواسعة بين الناس ويمحى من بيننا الفقر والجوع والعرى وليشعر الفلاح والعامل الزراعى بانهما كغيرهما من الناس لهما الكرامة والحرية والحياة الطيبة الرغيدة وان الحكومة التى تقوم على شئون الشعب تحرص على توزيع العدالة الاجتماعية بين المواطنين كافة دون تمييز أو استثناء وما اصدق ما يقول الرسول الكريم " ايما اهل عرصة - أى محلة - اصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى "

وتقول لجنة الفتوى بالازهر ان من مبادىء الدين الاسلامى احترام الملكية وذهب ابو ذر الى انه يجب على كل شخص أن يدفع ما فضل عن حاجته من مال مجموع عنده فى سبيل الله أى فى البر والخير وانه يحرم ادخار ما زاد عن حاجته ونفقة عياله ٠٠

ويقول المغفور له المشيخ الشناوى شيخ الازهر الاسبق (١) القرآن الكريم قد احترم الملكية الفردية وصانها ونظم انتقالها الى الابناء والمستحقين وفصل القول فى قواعد المواريث وتحديد الانصبة فيما تركه الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر وبيان الوصية التى للمالك فى ماله لمن شاء ٠٠ مما يدل الدلالة الواضحة على حق الملكية لكل مالك وانتقال هذا الحق من بعده الى ورثته من ابنائه واقربائه ولقد حمى الاسلام حرية التملك ودعا الى احترامها فلكل فرد ان يقتنى من المال ما تمكنه من اقتنائه السبل المشروعة وليس عليه وراء ذلك الا ان يؤدى الزكاة وله ان يتصرف فى هذه الاموال بما يراه وتبقى بعده تركته لورثته وحكم الاسلام فيمن يتأخر عن دفع الزكاة او يرفضها معلوم وهو اخذه بتأدية هذه الفريضة بالتبليغ والدعوة اليها والا صودرت اموالهم بمقدار هذا النصيب المفروض ٠

---

(١) من حديث له مع صحفى - مجلة الازهر المجلد العشرون ١٣٦٨

الديمقراطية بين الاسلام والمادية :–

تصريف شئون الدولة على اساس نظام صحيح او حكومة الشعب للشعب او تكافوء الفرص هو الديمقراطية التى لايتحقق لها وجود الا بالمساواة التامة بين الناس والاعتراف الكامل بحقوق الانسان ورعايتها والايمان بالحرية الفردية وبأن الدولة وجدت من اجل الفرد وضرورة انماء شخصية الانسان فى الحياة •

والديمقراطية لاوجود لها فى المجتمع الشيوعى فالحريات مصادرة والمساواة معدومة حتى فى الاقتصاد واجور العمال واستداد الدولة الجائر بالفرد لاحد لها والحكومة تسير على النظام الاستبدادى (١) ولستجد هناك " مجتمعا عماليا " حتى ولا ديمقراطية اقتصادية (٢)

أما فى الاسلام فالامر على النقيض : حرية ومساواة وعدل بين الناس والحكومة شورية دستورية اساسها مشيئة الشعوب والحاكم مسئول عن اعماله وحقوق الانسان فى الحياة والحرية والامن والتعليم والتأمين الاجتماعى وسوى ذلك مصونة ان الاسلام يؤمن بمبدأ حكم القانون وحكم الشعب للشعب وبأن الحكومة وجدت لخدمة الفرد وللعمل على رفاهيته وبالحرية الاقتصادية • روحه التسامح وحرية الرأى للافراد والجماعات ومحاربة شتى الوان التمييز بين الناس •• وذلك هو اساس – الديمقراطية الحقة •

والحرية – وهى دعامة الديمقراطية والحياة الانسانية المتحضرة ليس لها قيمة كبيرة عند الشيوعيين لانها فى رأيهم تلهى الجماعات عن الالتفات الى الظلم الاقتصادى (٣) الشيوعية تحاول تحقيق المساواة المزعومة بالغاء حرية الانسان فهى لكى تطعم الفرد تسلبه حريته•

حرية الفكر معدومة فالناس يفكرون على النمط الذى يعجب الحزب الشيوعى وليس هناك مجال لتفكير مستقل وحرية الصحافة والنشر مقيدة ولايباح دخول صحيفة أو كتاب اجنبى معاد فى فكرته للشيوعية (٤) والحرية السياسية مفقودة اذ ليس هناك الا حزب واحد وحاكم واحد وانتخابات صورية لاتنافس فيها والحرية الدينية معطلة •

---

(١) ٤٢٣ الدستور السوفيتى
(٢) ٤٨٠ آثرت الحرية
(٣) المذاهب السياسية المعاصرة
(٤) ٩٤ الشيوعية فى الميزان

والحرية الاقتصادية لا وجود لها فالمصانع والمزارع وادوات الانتاج ومرافق الثروة ملك للدولة والفرد اجبر عندها نظير اطعامه لا رأسمالية ولكن هناك الرأسمالي الاكبر الذى لا يقاوم وهو الدولة مما ينعدم معه التنافس الاقتصادى الذى هو اساس الحرية الاقتصادية ..

والحرية الشخصية محجور عليها لان الحزب الشيوعى يهيمن على حريات الناس وسلطان البوليس السرى لا حد له وللقاضى أن يحكم باعدام من يرى أنه خطر على الامن العام ولو لم تقم الادلة على ذلك والعامل فى المصنع لا يملك اية حرية وعليه أن يعمل لان من لا يعمل لا يأكل وفى عام ١٩٣٠ صدر قانون ربط العمال بمصانعهم ومنعهم من مغادرتها كان عملهم الا باذن خاص وبعد ذلك بعامين صدر قانون بطرد العمال الذين يتأخرون عن العمل ولو يوما واحدا دون سبب كاف (١) وجاء قانون ١٩٣٩ للعمل انه اذا تأخر العامل عن عمله اكثر من عشرين دقيقة فانه يقدم الى النيابة المحلية ويحاكم فاذا ادين حكم عليه بالسجن أو السخرة ونص على عقوبة الذين يتسترون على مجرمى التأخير ويجب على الفرد الحصول على اذن خاص لقضاء اجازة ولو يوما واحدا بعيدا عن بيته والرحلة خارج البلاد ممنوعة ولا يصرح بها الا للمبعوثين فى مهمة رسمية وفرض عام ١٩٣٢ نظام البطاقات الشخصية التى تتضمن شتى المعلومات عن كافة الشئون التى يهم البوليس السياسى معرفتها عن الفرد والستار الحديدى يطبق حول البلاد التى تدين بالشيوعية والشعب فى عزلة تامة وقد قام الشيوعيون فى روسيا بحركات تطهير عامة كثيرة لابادة خصومهم فى الرأى وذهبوا بزعماء ومفكرين وكتاب الى مجاهل سيبريا وسجون الاورال ومعتقلاتها ولكى تعرف كيف يعامل الشيوعيون معارضيهم فى الرأى اقرأ مايقول دافيد ك نيقوليفسكى فى كتابه لا شىء سوى سلاسلهم: ان فى روسيا اليوم ١٤ مليونا من العبيد فرضت عليهم السخرة ويعيشون فى حظائر تحيط بها حواجز تعلوها الاسلاك الشائكة ويحرسها رماة يرابطون فى ابراج مزودة بالانوار الكشافة القوية واسراب من الكلاب لمطاردة الفارين من الارقاء وهم يؤدون اشق الاعمال واخشنها وافدحها وهؤلاء من الذين يعارضون الشيوعية أو ينقدونها أو يشتبه فى امرهم ومن رجال الدين الذين يعرقلون دعوة الالحاد (٢) وما اصدق مايقول اندريه جيدا : ان الشيوعية لا تؤمن بشىء اسمه الحق .

فاين هذا من حماية الاسلام للحريات واطلاقه لها وتحريمه الحجر عليها فحرية الفكر والرأى وحرية التصرف والعمل والحرية الشخصية والحريات العامة وحرية الاجتماع والخطابة والحرية الثقافية والسياسية والدينية كل هذه الحريات قد قررها ودعا اليها وحماها الاسلام وكتابه الكريم وابطل

(١) ٩٨ الشيوعية فى الميزان
(٢) ٩٨ الشيوعية فى الميزان .

الاسلام الحكم الاستبدادى وان الحاكم أو الدولة ظل الله فى الارض وليس للحاكم فيه اكثر مما للمحكوم يقول عمر لعامل له : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ويقول : من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه أن رأيتمونى على باطل فقومونى ويقول الرسول : الامام راع ومسئول عن رعيته .

ولقد حرر الاسلام الانسان من الجهل والجمود والفاقة والرق ودعا الى تحرير الارقاء ورفعهم الى منزلة السادة وحرر الطبقات من طغيان المستبدين وحرر الروح الانسانى من الشهوات والترف والمادة .. انه بحق دين الحرية والكرامة الانسانية فى الحياة. والمساواة ركن من اركان الديمقراطية والشيوعية تزعم انها تؤمن بالمساواة وتطبقها وتتخذ من ذلك وسيلة لدعايتها الجوفاء وتسرف فتدعى انها تحقق للانسان المساواة الاقتصادية ولعل كلام ستالين فى خصومتعام ١٩٣٤ خير رد على ذلك قال : ان هؤلاء القوم يحسبون أن الشيوعية تستلزم المساواة فى مطالب العيش فكل فرد فى المجتمع ألا ما استخفمن رأى يخرج عن فكرة مشتت وان المساواة التى نادوا بها هى التى اضرت بصناعتنا اكبر الاضرار " - وبينما كانت الشيوعية تعمل لالغاء الطبقات والمساواة فى الاجور اذ نحن نرى اليوم فى روسيا عدة طبقات متفاوته الدخول وهى طبقة المفكرين وعددها نحو ١٣ ٪ من السكان ولها نحو ٣٢ ٪ من دخل الدولة وطبقة الصناع وعددها ٢٤ ٪ ولها من الدخول القومى ٣٢ ٪ وطبقة الزراع وعددها ٥٤ ٪ ولها ٣٣ ٪ من الدخول وطبقة المسخرين الذين لم يرضوا عن الشيوعية وعددها ٩ ٪ ولها فى الدخول ٣ ٪ اما المساواة الاجتماعية فتتلاشى هناك رويدا رويدا فقد فرضت التحية العسكرية واعيدت الرتب فى الجيش واعيد لقب وزير ومجلس وزراء وزادت القلب ستالين وخلفاؤه وسيطرة طبقة واحدة هى طبقة العمال على سائر طبقات المجتمع تفنيد لارائهم النظرية فى المساواة .

اما المساواة ففى الاسلام فحدث عنها ولا حرج مساواة كاملة بين الناس جميعا بين المرأة والرجل والصغير والكبير والمحكوم والحاكم بين جميع الطبقات والجماعات بين الاغنياء والفقراء مساواة يحميها الاسلام وكتابه ورسوله وخلفاؤه ولا تعرف اى لون من الوان التمييز بين الناس حتى لقد كان الخليفة عمر يمشى وبجده محمر اكبوولى رسول الله بلالا الحبشى على المدينة وفيها سادات الانصار والمهاجرين واسند الى مهران الفارسى ولاية اليمن وقال ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لاحمر على ابيض ولا لابيض على احمر فضل الا بالتقوى واذن الخليفة عمر لصهيب وبلال وسواهما من عامة الموالى بالدخول عليه قبل سادة قريش والغى الاسلام

الفوارق والامتيازات ووزع الحقوق والواجبات على الافراد على السواء وصار الحاكم والمحكوم جميعا على قدم المساواة فى المسئوليات والالتزامات . ويؤيد مبدأ المساواة فى الاسلام عدالة اجتماعية قوية أيدها ودعا اليها وتقوم على الاخوة والتكافل العام واساسها التحرر الوجدانى وتتخذ من الضمير البشرى والتشريع القانونى وسائل لتحقيقها واذاعتها بين الناس فاين هذا من الفلسفات الحديثة التى تتنكر لمبدأ المساواة ..؟

والشيوعية التى تنزل خصومها فى الرأى منازل العبيد وتحبذ الثورة وصراع الطبقات وتعمل على اثارة القلق والاضطرابات فى الجماعات والشعوب - لاتعرف معنى الاخاء فاين هذا من الاسلام الذى اكد الاخوة الانسانية والغى نظام الطبقات والعنصرية الكاذبة والعصبيات الحمقاء وجعل المؤمنين اخوة فى الدين والناس جميعا اخوة فى الانسانية حتى الخدم جعلهم الرسول اخوان المخدومين فقال " اخوانكم خولكم " كل هذا فى عصر كان يرى كما يرى ارسطو وافلاطون من قبل - حرمان الموالى والصناع من الحقوق المدنية لانحطاط مايمارسون من مهن وكما رأى ارسطو من أن الله أوجد البرابرة ليعيشوا ارقاء وسلبهم حريتهم من الاعمال الشريفة .

كل هذا دليل على أن الاسلام اشد تقدما فى الديمقراطية واصلح مذهبا واعدل رأيا فيها واقوم سبيلا الى الاصلاح العام وانه ما من دين أو مذهب يبلغ فى ذلك الباب مابلغه الاسلام .

حقوق الانسان فى الاسلام والمادية :

١ - حقوق الانسان عند الشيوعيين مستمدة من الجماعة وارادته جزء من ارادتها وليس للفرد كيان مستقل عنها .

تقر الشيوعية للانسان حق العمل ولكنها تحجر على العامل وتربطه بمصنعه وتمنعه من تغيير العمل والمصنع .. وقولهم نظام الاجور فى بلادها " الاجر بالقطعة " الذى تنفر منه نقابات العمال فى العالم .. والاسلام الذى شرع المضاربة والشركة والمساقاة والمزارعة والاجارة وسواها من ابواب العمل وحمى العامل ورعاه وحافظ على حريته واجره وحث الناس على العمل انما يهدف الى القضاء على البطالة والفقر بين الناس .

وتقرر الشيوعية حق الراحة الاسبوعية للمواطنين ونحن نعلم أن يوم الجمعة عيد اسبوعى للراحة والاستجمام فى الاسلام الذى يحترم ايام الراحة كذلك عند غير المسلمين .

وتقرر حق الضمان الاقتصادى بالحصول على تأمين مادى عند الشيخوخة أو المرض أو العجز عن العمل وقد سبق المسلمون الى تطبيقه فى بلادهم منذ عهد بعيد وكان عمر يصرف للفقراء مسلمين وغير مسلمين حاجتهم من بيت المال — وكان يعتبر الاطفال عاجزين عن العمل ويفرض لكل مولود مائة درهم فاذا ترعرع يبلغ به مائتى درهم فاذا بلغ زاده ويجعل اجرة رضاع الطفل ونفقته من بيت المال وكان يقسمها فى بيت المال على الناس بحسب بلائهم فى الاسلام حتى استغنى الناس وابوا اخذ الصدقات ولم يوجد فقراء فى عهد عمر بن عبد العزيز يأخذون الزكوات فاشتريت بها رقاب واعتقت ورأى بن الخطاب فى طريقه الى دمشق قوما مجذومين من النصارى فامر ان يجرى عليهم القوت من بيت المال . على ان نظام الضمان الاجتماعى لم يبلغ فى روسيا ما بلغه فى شمال اوربا وامريكا .

وتقرر الشيوعية للانسان حق التعليم وقد سبقها الاسلام الى ذلك منذ اجيال ويؤثر عن رسول الله : " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمه " وكان التعليم مجانيا فى شتى مراحله فى بلاد الاسلام مع صرف الغذاء والكساء للطلاب .

وتقرر حق المرأة فى التساوى مع الرجل وهو حق سبق به الاسلام أن الاسلام ليحمى حق الانسان فى الحياة والحرية والعدالة والانصاف والمساواة والامن وحقه فى التعليم وحقه فى الحكم الدستورى وفى كل جانب عادل من جوانب الحياة .

٢ — وحرية العقل والتفكير والرأى وحرية التصرف والعمل والحريات العامة والحرية الشخصية كل هذه الحريات قد كفلها ورعاها الاسلام وكتابه الكريم ولعلك قرأت كلمة عمر الخالدة لواليه عمرو بن العاص : " كيف تستعبدون الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟

لا يقيد الانسان أى قيد من القيود ولا يحجر عليه رجال الدين ولا يحول بينه وبين التصرف أى أحد ما دام قد بلغ سن الرشد ولا يمنعه من التصرف فى ماله أحد الا باسباب شرعية وفى ظروف خاصة لكل فرد أن يبدى رأيه فى سياسة الحاكم ويناقشه الحساب ولعلك ايها القارىء تذكر كلمات عمر المأثورة : ان رأيتمونى على حق فاعينونى وان رأيتمونى على باطل فقومونى اطيعونى ما اطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم وانى وليت عليكم ولست بخيركم " بل لعلك تعرف مناقشة أمرأة له فى فكرة تحديد المهور وردها عليه وقوله لها وقد ذكرته بالحق :
" اصابت امرأة واخطأ عمر " والصلة بين الرؤساء والمرؤسين صلة الاب بابنائه والراعى برعيته
" الامام راع ومسئول عن رعيته وامور الناس تحكم بالشورى : وشاورهم فى الامر وامرهم شورى

بينهم حتى حرية الدين الذى نص عليها القرآن الكريم بقوله : " لا اكراه فى الدين " ما دام هذا الدين الذى يؤمن به الانسان دينا سماويا صحيحا . أما الشرك والوثنية فلا يعترف بهما الاسلام لانهما انتكاس فى الانسانية وطمس للفطرة الالهية وقضاء على كرامة الانسان وعقله ووجوده الفكرى والروحى والادبى والاجتماعى .

اين هذه الحرية الان فى القرن العشرين عصر الكهرباء والذرة والعلم ؟ اين حريات الامم السياسية وحريات الرأى والفكر والحريات الشخصية انها اوهام وخيالات لا وجود لها فى كثير من الاحيان رغم ان المفكرين قد سئموا من الدعوة اليها ورغم حماية القوانين العامة للهيئات الدولية والامم المتمدينة لهذه الحريات .

ليست الحرية فى الاسلام حرية فى الهدم ولكن فى البناء انها الحرية التى لا يحدها شىء الا توجيه الضمير ورقابة الروح الدينى فى النفس ونزعات الفطرة الانسانية فى الانسان .

حرية عامة شاملة تعم الحاكم والمحكوم وتشمل الشعوب الصغيرة والكبيرة ويطلقها الاسلام لكل مسلم ومسلمة وتتناول الشعب الفاتح والشعوب المغلوبة على امرها على السواء فاين هذا من الحرية عند الغرب ، التى لا يتمتع بها الا السادة المستعمرون ، أما الشعوب المستعبدة فتعيش فى اشد استعباد وافظع ضغط على حريات الناس الخاصة والعامة فيها .

اما الاخاء فى الاسلام فهو اخاء عام شامل ، المؤمنون جميعا بل الناس كافة اخوة فى الله واخوة فى الانسانية انما المؤمنون اخوة حتى الخدم جعلهم رسول الله صلوات الله عليه اخوان المخدومين فقال : اخوانكم خولكم الغى الاسلام نظام الطبقات والغى العنصرية الكاذبة والعصبيات الحمقاء والغى نظام الالقاب " المسلم اخو المسلم لا يظلمه " والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " ومثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد " الناس من آدم وادم من تراب " .. الحسب والنسب والمال لا تغنى عن الانسان شيئا وهل فى ذلك ابلغ من قول رسول الله صلوات الله عليه لابنته : " يا فاطمة اعملى فانى لا اغنى عنك من الله شيئا " وقوله صلوات الله عليه : " ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء " لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه فاين هذا مما تعمله امريكا الديمقراطية فى رعاياها اليوم : البيض لهم كل شىء فى الدولة والزنوج السود لا حق لهم على الاطلاق بل ليسوا مثل اولئك فى البشرية وفى الكرامة الادبية فى الحياة ؟

واما المساواة فى الاسلام فهى مساواة كاملة بين المرأة والرجل والصغير والكبير والمحكوم والحاكم بين جميع الطبقات والجماعات بين الاغنياء والفقراء مساواة لاتعرف فيها ظلما ولا عنتا ولا اثاما فالقانون الاسلامى يشمل الجميع لا فرق بين انسان وانسان • والعدالة تطبق على الجميع بلا محسوبية ولا استثناف يقول رسول الله " والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " ووزعت الحقوق والواجبات على الافراد على حد سواء وفتح الاسلام آفاق الوصول الى اسمى الغايات امام المتنافسين من كل جنس ولون وامه حتى لقد ولى رسول الله بلالا على المدينة وفيها سادة المسلمين من الانصار والمهاجرين وبلال عبد حبشى اشتراه أبو بكر واعتقه واسند الى مهران الفارسى ولاية اليمن وهو من صميم الفرس فلما مات اسندها الى ابنه ويقول رسول الله فى سلمان الفارسى الاعجمى : سلمان منا اهل البيت •

وقد سار خلفاء محمد على نهجه فى المساواة التامة بين الناس والمسلمين كافة قال الحسن البصرى : حضر الى باب عمر سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام وابو سفيان بن حرب فى نفر من قريش من تلك الرؤس وصهيب وبلال من اولئك الموالى — اى الذين كانوا عبيدا قبل الاسلام وهم من عناصر غير عربية وقد شهدوا بدرا فخرج عمر لاولئك الموالى واخر السادة فقال ابو سفيان لم أر كاليوم قط يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لايلتفت الينا ؟ فقال سهل وكان رجلا حصيفا : ان كنت غضابا فاغضبوا على انفسكم دعى القوم ودعيتم فاسرعوا وأبطأتم فكيف بكم اذا دعوا يوم القيامه وتركتم ؟

والغى الاسلام الامتيازات الفردية والطائفية ومحى مابين الطبقات من الفروق والحقوق والواجبات ووحد الشريعة واخضع لها الكافة لافرق بين حاكم ومحكوم فى عصر كان الناس فيه يؤمنون بأن الحاكم ظل الله فى ارضه •• عدالة تامة بين الجميع حتى لقد شكا يهودى على بن ابى طالب فى خصومة فاحضرهما عمر امير المؤمنين وقال عمر لعلى قف يا (ابا الحسن) بجانب خصمك فبدا التأثر على وجه على فقال له عمر : اكرهت ياعلى ان تقف الى جانب خصمك فقال لا ياامير المؤمنين ولكنى رأيتك لم تسوينى وبينه اذ عظمتنى بالتكنية ولم تكنه ورأى عمر رجلا وامرأة على فاحشة فجمع الناس وخطبهم وقال : ماالرأى اذا رأى امير المؤمنين رجلا وامراة على فاحشة فنهض اليه على قائلا : يأتى على صحة قوله باربعة شهداء والا فيقام عليه حد القذف

ان المساواة تامة فى كل شئ بين الناس عامة فى الاسلام مساواة فى الحقوق والواجبات وفى الكرامة وامام القانون لان الناس خلقوا متساوين فى حكم الله لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى

والعمل الصالح " ان اكرمكم عند الله اتقاكم " ويقول عمر : اما والله ما ارسل عمالي اليكم ليضربوا ابشاركم ولا ليأخذوا اموالكم ولكن ارسلتهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه الى فوالذى نفسى بيده اذن لاقصنه وقد رأيت رسول الله صلوات الله عليه يقص من نفسه .

ويقول الشيخ محمد عرفه عضو جماعة كبار العلماء سابقا من كلمة له :
المساواة فى الاسلام مساواة بين البشر لا فرق عنده بين ابيضهم واسودهم وغنيهم وفقيرهم وخاصتهم وعامتهم فكلهم لآدم وآدم من تراب حتى العرب الذين هم حاملوه وناشرون له والذين كانت لهم ولاية الحكم لا امتياز لهم على غيرهم من الامم " لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى وقد قرر الاسلام مبدأ المساواة فى غير ما آية :-

" يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم " فهو يقول : انه جعلكم شعوبا وقبائل للتعارف فكيف تجعلونه سببا للتناكر والعصبية المقوتة الذميمة ؟ .

وقال : " يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا " فهو يذكرهم بانهم ابناء أب واحد وأم واحدة فهم مهما بعدت ديارهم واختلفت اجناسهم وتباينت الوانهم اخوة وذوو رحم ولعل وصايتها لارحام بعد ذلك وصاية ببنى الانسان جميعا اذ قد اثبت لهم قبل ذلك قرابة ورحما .

جعل الاسلام المساواة مبدأ واخذ يصدر عنها فى كثير من الوقائع والاحكام قال قتادة : كان اهل الجاهلية فيهم بغى وطاعة للشيطان "" فكان الحى اذا كان فيهم عزة ومنعة فقتل عبد قوم آخرين عبدا لهم قالوا لا نقتل به الا حرا تعززا لفضلهم على غيرهم فى انفسهم واذا قتلت لهم امرأة قوم آخرين قالوا لا نقتل بها الا رجلا فانزل الله : " يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى : الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى نهاهم عن البغى والعدوان والا يقتلوا غير القاتل والا يعتدوا على غيرهم فيقتلوا بعبدهم حرا وبالمرأة منهم رجلا وبالحر الواحد منهم احرارا كثيرا وانزل لتقرير هذا المبدأ " وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص " وفى هذه الآية تقرير للمساواة فى النفوس والاعضاء والجوارح .

لقد سوى الاسلام بين الناس فى الحقوق والواجبات وجعلهم سواء امام الشريعة فالشريعة ماضية عليهم جميعهم .

روى أن امرأة من بنى مخزوم سرقت فقالت قريش : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ اى ليضع عنها الحد ومن يجترئ عليه الا اسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلم رسول الله فقال الرسول اتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال " يا ايها الناس انما ضل من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف فيهم اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها " .

هذه مساواة بين الشرفاء والضعفاء فى الحدود فلا توضع عن شريف لشرفه اذا ارتكب موجبها وبين الرسول ان التفرقة بين الضعفاء والشرفاء فى الحدود كانت العلة فى ضلال الامم السابقة .

ويقول عبد الرحمن عزام يصف المساواة فى الاسلام من كلمة له :

" اشير الى معنى اساسى من معانى الاسلام هو من اعظم مبادئه فى مقاومة الشرور الاجتماعية ، ذلك هو مبدأ المساواة الذى يسيطر على تصرفات المسلمين فى عباداتهم ومعاملاتهم وآدابهم ، فالمسلمون جميعا عباد الله يسعى بذمتهم ادناهم وافضلهم عند الله اتقاهم .

ذلك المعنى متى رسخ فى اذهان الملوك والامراء والحكام والعامة والفقراء والاغنياء والملاك والعمال كما يريده الاسلام استحالت معه الفرقة الاجتماعية وما يترتب عليها من حسد وبغض وخلاف وشر ثم قتال وفساد للمجتمع يتسلط الاقوياء على المستضعفين واستذلالهم لمن كانوا اقوياء .

ان مبدأ المساواة شائع الآن بشرائع مصطنعة ومظاهر فى القول والقانون ولكنه لم يستقر فى النفوس والضمائر ولم يختلط اختلاطا كليا بجميع مصادر الحياة وموارده كما هو فى الاسلام .

فالمسلم يحس فى قرارة نفسه انه مساو لخادمه وان الخادم قد يكون افضل منه عند الله ويخشى ان يصيبه شك فى هذا مخافة غضب الله الذى خلق الناس من نفس واحدة متساوين احرارا .

فالمساواة بهذا المعنى العظيم هى اكبر الضمان ضد الشرور والآفات الاجتماعية التى زلزلت الامم والتى قد تكون اساسا لاكثر هذه الحروب المهلكة للبشر .

فالديمقراطية الاسلامية التى هى اساس الحكم الصالح والحياة السعيدة هى ديمقراطية لا شبيه لها وليست المظاهر الخادعة من اشكال الحكم على تنوعها بواحدة مثل الديمقراطية فان اساسها فى الضمير فلو انها استقرت فى الحياة الحالية واتخذت سبيلها الذى اراد ها الاسلام لكانت كفيلة بالقضاء على اعظم مصادر الشر وآفته الاجتماعية .

والفروق الطبيعية بين الناس من الذكاء والحسب والجاه والمال والعلم حاول الاسلام تخفيف اثرها بتقريب الطبقات بعضها الى بعض وباشتراكية الاسلام العادلة فى الزكاة والضرائب واموال المسلمين وردها على الفقراء وصرفها للمساكين وبما فرضه الاسلام على العالم أن يرشد الجاهل وعلى الصحيح أن يواسى المريض وعلى الغنى ان يعطف على الفقير وعلى الكبير أن يرحم الصغير .

حرية واخاء ومساواة لم يعرف للاسلام فيها نظير أو شبيه لانه دين الحق والبينة والاخلاص الدينى الذى جاء لانقاذ البشرية والنهوض بها من الذلة الى العزة ومن الجهل الى العلم ومن الفقر الى الرخاء ومن البداوة الى الحضارة حتى لقد قال برنارد شو : لابد ان تعتنق الامبراطورية البريطانية النظم الاسلامية قبل نهاية هذا القرن ولو ان محمدا بعث فى هذا العصر لقاد العالم الى السلام والسعادة المنشودة .

وقال توماس كارليل : " لقد اصبح من العار على أى فرد متمدين من ابناء هذا العصر ان يصغى الى مايقال من أن الدين الاسلامى باطل وان محمدا خداع ومزور وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل تلك الاقوال السخيفة المخجلة فان الرسالة التى اداها ذلك الرسول الكريم مازالت السراج المنير مدة ثلاثة عشر قرنا لنحو مائتى مليون من الناس امثالنا خلقهم الله الذى خلقنا " : وقال تولستوى " ان النبى محمدا من عظام الرجال المصلحين ويكفيه فخرا انه هدى امة برمتها الى الحق وجعلها تجنح الى السكينة والسلام "

ليست الثورة الفرنسية ولا مبادىء عصبة الامم ولا مواثيق هيئة الامم المتحدة ولا قرارات لجنة حقوق الانسان ، هى التى اذاعت هذه المبادىء ولكن الذى سبق فاذاعها ونشرها وطبقها تطبيقا سليما قويا عاما هو محمد وشريعته الاسلام ، الدين الخالد الكريم ومن نحو اربعة عشر قرنا من الزمان

هذا هو الاسلام " اننا نؤمن به دينا سماويا خالدا باقيا مابقيت الارض والسماء .

إعجاز القرآن

وصف الله عز وجل الذكر الحكيم فى كتابه الكريم فقال : " يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وانزلنا اليكم نورا مبينا " . البرهان دلائل صدق الرسول من المعجزات النيرات ، والنور المبين هو القرآن المعجز الهادى الى سواء السبيل وهو أظهر معجزات محمد صلوات الله عليه ، وأوضح البراهين على صدق رسالته .

وليس هناك أجمع ولا اشمل فى وصف كتاب الله من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان الله انزل هذا القرآن آمرا وزاجرا ، وسنة خالية ، ومثلا مضروبا ، ففيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ، ونبأ مابعدكم وحكم مابينكم ، لا يخلقه طول الرد ، ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج ، ومن قسم به اقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ، ومن حكم بغيره قصمه الله ، هو الذكر الحكيم ، والنور المبين والصراط المستقيم ، وحبل الله المتين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لاعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد " وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صدق فى كل ما جاء به وفيما وصف به كتاب الله الحكيم فليس هناك كتاب تفخر به الحياة وتعتز به الانسانية ، وتهتدى بهديه الدول والشعوب والجماعات والافراد ، غير كتاب الله الحكيم .

ولقد نزل القرآن المبين ، والكتاب المحكم العظيم ، على الرسول الاكرم ، محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلم فبهر العرب بلاغته واعجزتهم فصاحته وحكمته ورأوا النور مشرقا وضاء وسمعوا السحر يهز القلوب ويملأ الصدور وعجبوا أيما عجب لاسلوبه الفذ الفريد ، اسلوب جمع بين الجزالة والسلاسة والقوة والعذوبة . وتدفق البلاغة وحرارة الايمان ، وكانه السحر الساحر والنور المبين اسلوب لا هو سجع ولا هو مزاوجة ولا هو نثر مرسل . وليس من اساليب الكهانة ولا الخطابة ليس رجزا ولا قصيدا ولا وصفا ولا غزلا ولا مدحا ولا فخرا ولا هجاء أو لا رثاء اسلوب صبح من حكمة ومزج بالهداية . نظم رائع والفاظ عبقرية حسان ، ومعان مفضلة مسترقة كانها الجمان ، جزالة وروعة واداء خارج عن المعهود من نظام كلام العرب ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، فليس لهم كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعان

اللصيقة والفوائد الغزيرة والحكم الكثيرة ، والتناسب فى البلاغة والتشابه فى البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر انما تنسب الى حكيمهم كلمات موروده ، والفاظ محدودة والى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها احيانا الاختلال والاختلاف والتمحل والتكلف والتجوز والتعسف على حين جاء القرآن على كثرته و طوله متناسبا فى الفصاحة ، على ماوصفه الله تعالى به فقال : " الله نزل احسن الحديث ،كتابا متشابها مثانى ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله " وقال جلت حكمته ولو كان عند الله من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا . "

واذا يقول القائلون فى كتاب الله ، الذى تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك فى منظر بهيج ، ومعرض رشيق ونظم غير متعاص على الاسماع ، ولا ملتو على الافهام ،ولا مستكره من اللفظ ، يمر كما يمر السهم ، ويضئ كما يضئ الفجر ويزخر كما يزخر البحر ، طموح العباب ،جموع على المطرق المنتاب ، كالروح فى البدن والنور المسيطر فى الافق والغيث الشامل والضياء الباهر ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، وصدق الله العظيم " تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا "

نزل القرآن دليلا على صدق رسالة محمد صلوات الله عليه وصفحاته جامعة لاصول رسالته ودعوته ومع ذلك فقد كذب المشركون وكفروا وجحدوا وحين تحداهم الله بآياته البينات أخذوا يهذون ويستهزئون ويضحكون ويقولون مالا يعلمون ويهرفون بمالا يعرفون ملكتهم الحيرة واستبد بهم العجب واخذوا يفكرون ماذا يقولون روى أن اباجهل قال لملاء من قريش قد التبس علينا امر محمد ، فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبه : والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فاتاه فاسمعه رسول الله اوائل سورة (فصلت) فلما بلغ قوله : " فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود " امسك عتبة على فيه وناشد الرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا : مانرى عتبه الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا : يا عتبه ماحبسك عنا الا انك قد صبأت نغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال : والله لقد كلمته فاجابنى بشئ والله ماهو بشعر ولاكهانة ولا سحر ولما بلغ " صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود " امسكت بفيه وناشدته بالرحم وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب . "

ويروى أن الوليد بن المغيرة قال لبنى صخر وقد سمع آيات من القرآن يتلوها الرسول الاعظم صلوات الله عليه ، والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن

وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وبلغ قريشا مقال الوليد فقال : صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل : أنا اكفيكموه فذهب اليه وقعد حزينا لديه وكلمة بما احماه فغضب الوليد وخرج فاتى قريشا في مجلسها فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يهذي وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن ، وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب ؟ فقالوا في كل ذلك : اللهم لا ثم قالوا فما هو ؟ ففكر فقال : ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ؟ وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن مسلمة وعن أهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله ويروى انه لما اجتمعت قريش عند حضور الموسم قال لهم الوليد : ان وفود العرب ترد فاجمعوا في محمد رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا : نقول كاهن ، قال : والله ما هو بكاهن ولا هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال : ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا بوسوسته قالوا شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشعر قالوا فنقول : ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده ، قالوا فما نقول ؟ قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه لا يصدق وان اقرب القول انه ساحر وان القرآن سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجته والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون منه الناس فانزل الله تعالى فيه من سورة المدثر : ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ، ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر الآيات .

ومع هذا الانكار والاصرار والجحود والبهتان كانوا يذعنون لبلاغة القرآن ويعترفون بها ولا ينكرونها أو يجحدونها ، سمع اعرابي رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال : سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ " فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا " فقال : اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام . ويروى عن الوليد بن المغيرة هذا انه جاء الى النبي فقرأ عليه شيئا من القرآن فكانه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فاتاه فقال : ياعم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوك اياه لئلا تأتي محمدا التعرض لما قاله قال الوليد قد علمت قريش انى من اكثرها مالا فقال قل فيه قولا يبلغ انك كاره له قال : وماذا اقول فوالله ما فيكم رجل اعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا

والله ان لقوله الذى يقول لحلاوة وانه ليعلو ولا يعلى عليه وان ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعنى افكر ثم قال : هذا سحر يؤثر ..

يقول السيوطى فى الاتقان : كان العرب مرة بجهلهم يقولون : اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا معلمهم أن صاحبهم أمى وليس بحضرته من يملى أو يكتب فى نحو ذلك من الامور التى اوجبها الجهل والعناء والعجز .

ويروى أن القصائد الجاهلية كانت معلقة على الكعبة فانزلتها العرب لفصاحة القرآن.

وفى حديث اسلام ابى ذر وصف اخاه أنيسا فقال : والله ما سمعت باشعر من اخى انيس لقد ناقض اثنى عشر شاعرا فى الجاهلية أنا احدهم . وانه ذهب الى مكة وجائنى بخبر النبى قلت له فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ساحر كاهن ،ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على قصائد الشعر فلم يلتئم على لسان أحد يدعى انه شاعر ،انه لصادق وانهم لكاذبون.

وقد اسلم جماعة من العرب عند سماع آيات من القرآن كما وقع لجبير بن مطعم سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور قال جبير فلما بلغ هذه الايات " فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين أم تأمرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون " قال جبير فكاد قلبى حينذاك أن يطير وذلك أول ما وقر الاسلام فى قلبه .

واخرج ابن هشام عن ابن شهاب الزهرى أن ابا سفيان بن حرب وابا جهل بن هشام والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله وهو يصلى من الليل فى بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر [illegible] الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لا وقعتم فى نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد

الا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما اصبح الاخنس ابن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى آتى ابا سفيان فى بيته فقال : اخبرنى يا ابا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال يا ابا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء اعرفها واعرف مايراد بها وسمعت اشياء ماعرفت معناها ولا مايراد بها قال الاخنس : وانا والذى حلفت قال يا ابا الحكم مارأيك فيما سمعت من محمد فقال : ماذا سمعت : تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فاطعمنا وحملوا فحملنا واعطوا فاعطينا حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به ولا نصدقه .. فقام عنه الاخنس وتركه جحود وانكار كفر واصرار فكان لابد من ان يخذل الله قريشا ويخزيهم ، ليؤمنوا صاغرين حينئذ كان لابد من اقامة البرهان على صدق رسالة نبيه وحينئذ وقع التحدى بالقرآن هذا التحدى الذى دل على الاعجاز وانه فوق قدرة البشر أن يأتوا بمثله .

تحدى الله ورسوله العرب بهذه المعجزة الخالدة والكتاب المبين تحداهم أول الامر أن يأتوا بمثله فقال تعالى : وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وقال تعالى : ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين وقال : قال لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولم يفعلوا فكيف عجزوا وتراجعوا حين تحداهم الله بآياته البينات وهم أمة مفطورة على البلاغة والادب والشعر وكانوا اكثر مايكون خطيبا واديبا كيف عجزوا امام التحدى وباءوا بالخزى والهوان والذلة وصغرت انفسهم واقدارهم فلم يستطيعوا محاكاة القرآن ومعارضته والامر اغرب من ذلك فقد تحداهم الله عز وجل بعد ذلك ان يأتوا بعشر سور من امثال سور القرآن الكريم فقال : أم يقولون افتراه قال فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون " وعجزت قريش وعجز العرب وعاد محمد يتحداهم بسورة تمثل سور القرآن الكريم سورة واحدة يأتون بها تضارع فى نظمها وبلاغتها وجودتها سورة من سور كتاب الله فتلا عليهم قوله تعالى : ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وقال وان كنت فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ... ومع ذلك التحدى لم يفعلوا لم يجمعوا شعراءهم وخطباءهم وحكماءهم وكهانهم ورجازهم ليقبلوا التحدى لم يأت احد منهم بما يقف امام القرآن الكريم وسيلة الحذق لينفى عن نفسه وعن قومه عار الخذلان فى معركة التحدى بل فى معركتهم مع محمد صلوات الله عليه وسجلوا على انفسهم العجز بل لقد سجل القرآن الكريم ذلك على البشر عامة فقال : قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم

لبعض ظهيرا فبين أن البشر عامة بل الانس والجن لا يستطيعون ولو عاون بعضهم بعضا أن يقفوا امام هذا التحدى ولا يقدرون على مثل هذه البلاغة التى هى فوق طاقتهم لانها بلاغة الخالق الاعظم ففوق الانس والجن والملك القادر والمدبر الحكيم الله جل جلاله وعلت قدرته وعظمت حكمته .. ونفى الله عز وجل عن كتابه كلما كان يصفه بما لمشركون فقال :

" والنجم اذا هوى " .. " ان هو الا وحى يوحى " وقال انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم أن منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين. "

وهذا مسيلمة اخذ يهذى ويزعم انما نزل عليه قرآن فبان ضعفه وصغاره وخزيه وعاره وظهرت عليه الذلة والمسكنة والهوان وعرف الناس كذبه وبهتانه وباء بغضب من الله ويروى أن ابا بكر سأل قوما قدموا عليه من بنى حنيفة عن كلام مسيلمة وما كان يدعيه قرآنا فقصوا عليه بعض كلامه فقال أبو بكر : سبحان الله ويحكم ان هذا الكلام لم يخرج عن ربوبية فاين كان يذهب بكم.

ويصف حسان بن ثابت شاعر الرسول فى شعره نزول القرآن فيقول فيا يقول :

الله اكرمنا بنصر نبيه   وبنا اقام دعائم الاسلام

يتنابنا جبريل فى ابياتنا   بفرائض الاسلام والاحكام

يتلو علينا النور فيها محكما   قسما لعمرك ليس كالاقسام

فنكون أول مستحل حلاله   ومحرم لله كل حرام

ثم مضت الايام ولم يرو أن اديبا أو كاتبا أو شاعرا أو مفكرا أو حكيما أو مصلحا أو زعيما اتى بكتاب قال : انه قد عارض به القرآن الكريم بل لقد وقف المفكرون فى مختلف العصور من كل جنس ولون وامة حيال القرآن صاغرين عاجزين الا من اعماه الحقد والحسد والبغى واضلته الشياطين والعصبية الحمقاء .. كتب المنصفون عن القرآن فى كل عصر مبجلين مكرمين وكتب المنصفون من المستشرقين عنه معظمين مكبرين قال : الدكتور موريس الفرنسى أن القرآن افضل كتاب اخرجته العناية الالهية لبنى البشر — وقال جوستاف لوبون : ان القرآن وما اشتق منه هو الى الفطرة بحيث يلتئم مع حاجات الشعوب. وقال آخر يحتوى القرآن اسمى المبادئ واكثرها فائدة واخلاصا الى غير ذلك مما قالوه فى القرآن وما لا يمكن استيعابه وحصره.

فالاعجاز القرآني اذا حقيقة ثابتة ، ثبوت السماء لاريب فيها . العرب في كل عصر وغير العرب في كل جيل ، لم يعارضوا القرآن الكريم لم يقدروا على هذه المعارضة ، لم يأت احد منهم بشيء قليل أو كثير يقف في بلاغته امام بلاغة القرآن الحكيم .

هذا في اللغة العربية : ولست اقصر انا الاعجاز عليها وحدها فاقول : اقرأ ان شئت باللغة العربية بلاغات البلغاء وفصاحات الفصحاء ثم انظر بسكون القلب وخفض جناح وفراغ لب وجمع عقل وامعانه في ذلك فسيقع لك الفصل بين كلام الناس وكلام رب العالمين وستعلم أن القرآن يخالف كلام الادميين .

واين مثل كلام مسيلمة من الكتاب المبين ، ومن كلام رب العالمين ؟ .. اين مثل قوله والمبديات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا . والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما ، اهالة وسمنا ، ما سبقكم اهل المدر" ومثل قوله : " والليل الدامس ، والذئب الهامس ، ما قطعت اسيد من رطب ولا يابس"

أين مثل هذا من آيات القرآن وفصاحته ومن سحره ومثلا غموض عظمته وروعته ومن سموه وحكمته أين هو من ذلك النظم العجيب والسحر الغريب والاسلوب القرآني المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

لا اجعل الموازنة قاصرة على الاداب العربية وعلى ما كتب بلغة العرب وحدها ولكني اقول :
ان في الامم الكبيرة فلاسفة ومفكرين ومشرعين وادباء وكتابا وشعراء وخطباء ولكل منهم كتب واثار مدونة مطبوعة أو مخطوطة واني لاتساءل : هل هناك من هذه الاثار ما يعادل في اثره وخطره ومنزلته القرآن الكريم بما اشتمل عليه من توجيه صالح كامل للحياة وتحديد واضح للمثل الانسانية العليا ومن رسم لاهداف الافراد والجماعات والشعوب ودعوة الى الحق والعدل والحرية والمساواة والاخاء والمدنية والعلم وهل من بينها اثر قامت به شريعة ودين ونشأت عليه دولة وحضارة استظل العالم بظلها اجيالا طوالا مثل القرآن الكريم وهل وجدت بربك للقرآن شبيها من الكتب وحد لغة وحفظها واذاعها في العالم ورفع شأنها وهذب الفاظها واساليبها واحيا فنونا جديدة من الادب وتأثر الناس ببلاغته ووضعت بسببه شتى علوم الدين واللغة والادب والبلاغة يقتبس الادباء والعلماء والمفكرون منه شروتهم الادبية والفكرية .... هل تجد في ادب ما يسمونهم الادباء العالميين ما تجد في القرآن الكريم من سمو ورفعة ونبل وعمق وجلال غاية ، وعظمة

هدف ورسالة ومن دقة تحليل للعواطف والمشاعر والنفوس ومن توجيه رفيع للانسانية كافة ودعم قوى لمبادئ الحرية والمساواة فى الحياة .. كلا وربك بل ان خصائص هذا الفن الادبى الرائع الكامل لن تجد مايشبهها باللغات الاخرى فى كتاب غير كتاب الله .. بل ان الكتب السماوية المقدسة : التوراة والانجيل والزبور لا يمكن ان نوازن بينها وبين القرآن الكريم فلو كانت قد نزلت معجزة للانبياء الذين نزلت عليهم لما جعل الله لهم معجزات اخرى تدل على صدق رسالتهم وترشد قومهم الى انهم مرسلون من الله وهى انما نزلت للحكمة والهداية والنصح فلم تقم عليها اديان هؤلاء الانبياء كاملة ولم يقصد كذلك بها اعجازا بيانيا خاصا وهاك أروعها فى الكتب السماوية المقدسة بيانا وهو مزامير داود خذ آية قطعة منها ولكن المزمور الاول واقرأه بنصه كما فى الكتاب المقدس . " طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الاشرار وفى طريق الخطاة لم يقف وفى مجلس المستهزئين لم يجلس ولكن فى ناموس الرب مسرته وفى ناموسه يلهج نهارا وليلا فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه والتى تعطى ثمرها فى أوانه وورقها لا يذبل وكل ما يصنعه ينجح " .. ونحن مع تقديرنا لهذا النص الدينى ومع علمنا بأنه مترجم نقول انه ينحو السلوك الانسانى مسلك الخير ولكنا نعود بك الى ناحية اخرى فى الموازنة وهى انه شتان ما بين هذه الروح وروح القرآن الحكيم فى المجال الموازن بين ذلك وبين مثل قوله تعالى : قل أن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا أول المسلمين أو مثل قوله تعالى : " ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا " أو مثل قوله تعالى : " قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون " الى غير ذلك من روائع بلاغات القرآن الكريم .

اننا حين نحلل اثرا ادبيا أو فكريا أو دينيا يجب ان نعرف خصائصه وقيمته واثره وما يوجه اليه من اهداف وغايات ونضعه بعد الدراسة فى منزلته الصحيحة من البيان والادب والتفكير الانسانى والقرآن كلما تناولناه بالدراسة كان جديدا ابكرا يعطيك كل ما تطلبه منه من غذاء روحى وهداية دينية وحكمة انسانية وتفكير اصلاحى جليل مثمر كل الثمار الطيبة فى الارض والوجود والحياة .

وقد اختلف العلماء والباحثون والناقدون فى سر اعجاز القرآن الكريم .

١ - فذهب النظام الى أن الاعجاز حقيقة واقعة وان الله جلت قدرته هو الذى صرف العرب عن معارضته وسلبهم القدرة على مضاهاته ... ولو كان ذلك كذلك لم يكن هناك فائدة للتحدى ولا معنى للاعجاز ..

٢ — وقال آخرون : ان الاعجاز سببه ما اشتمل عليه القرآن من الاخبار بالمغيبات ، من مثل قوله تعالى : " لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين " وقوله " غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين " وقوله : " و ليظهره على الدين كله " وقوله : " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض " . وقوله اذا جاء نصر الله والفتح فكان جميع هذا كما ذكر القرآن الكريم .. ومن مثل هذا ايضا قوله تعالى " سيهزم الجمع ويولون الدبر " وقوله : " قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين " وقوله تعالى " لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون " . ومن ذلك ايضا ما اشتمل عليه القرآن من كشف اسرار المنافقين واليهود وكذبهم ودسائسهم ومكرهم ... ومنه قوله تعالى : " واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وقوله : " انا كفيناك المستهزئين " ولما نزلت بشر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله تعالى : " والله يعصمك من الناس " فكان ذلك على كثرة من رام ضره .

ومن الاخبار بالمغيبات فى رأيى ما ذكره القرآن الكريم من الامور الكونية والعلمية الدقيقة التى ادى اليها والى صدقها العلم الحديث ومن مثل ذلك هذه الامثلة :—

أ — قال تعالى : " فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق " فهذا يشير الى صعود الانسان الى الفضاء وركوبه طبقات الجو وقد وقع ذلك اخيرا كما اخبر القرآن الكريم .

ب — وقال تعالى : سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض " . وقد اثبت العلم الحديث ان النبات فيه ذكر وانثى ، يتم بينهما التلاقح .

ج — وقال تعالى " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب " وقد اثبت الطب الحديث ان الاحساس فى منطقة الجلد فاذا ذهب الجلد بالاحتراق بعذاب النار فى الاخرة اعاد الله الى المعذبين جلودهم ليعود ا مرة اخرى الى الاحساس بالعذاب .

وغير ذلك كثيرا من اشياء أمر الله بها أو نهى عنها ثم جاء العلم الحديث فاثبت صدق القرآن وحكمته من ذلك .

٣ - ويرى آخرون أن سبب اعجاز القرآن ما اشتمل عليه من قصص تاريخ العالم والشعوب والامم والانبياء والمرسلين ، والقرون السالفة والشرائع البائدة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب ومن قطع عمره في تعلم ذلك . فاورد القرآن جميع هذه القصص والتواريخ كلا على وجهه واتى به على نصه مما اعترف العلماء والباحثون بصدقه ومما ايدته الكتب السماوية الاخرى وكذلك بحوث العلماء وكشوف الاثريين فكيف وصل الى محمد علم ذلك ، وهو الامي البدوي الذي لم يتعلم في مدرسة ولم يختلف الى استاذ ولم يقرأ كتابا . وقد كان كثير من اهل الكتاب يسألونه عن اخبار النبيين والمرسلين فينزل عليه من الذكر الحكيم ما يتلوه عليهم منه ذكرا كقصة موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه ومثل حكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه ومثل سؤالهم عن الروح واشباه ذلك من الانباء وتدبير الكون وخلقهما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه البحث والعلم .

٤ - ويذهب القاضي أبو بكر الباقلاني صاحب كتاب " اعجاز القرآن " الى ان وجه الاعجاز ما في القرآن من النظم والتأليف مما هو خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب فهو يجعل سر الاعجاز فن في البلاغة والبيان في القرآن الكريم .

وذهب الزركشي وبعض المؤلفين الى أن كل ما ذكره العلماء من اسرار في ذلك هو وجوه للاعجاز واسباب له .

وقد الف في الاعجاز الكثيرون من مثل : ابي عبيدة والجاحظ والواسطي والرماني والخطابي والباقلاني والرازي وعبد القاهر وابن ابي الاصبع وسواهم . والف فيه كذلك في العصر الحديث : مصطفى صادق الرافعي وغيره .

ولا شك أننا حين نريد ان نتعرف الى اسرار الاعجاز ينبغي أن لا نغفل الجانب الادبي في قضية الاعجاز . ولا الجانب العلمي الدقيق الذي ورد في القرآن منذ اربعة عشر قرنا وايده العلم الحديث في كل ما ذكره . ولا الجانب الفكري والانساني الذي يرتفع

بمنزلة القرآن الكريم على كل كتاب وكل اثر ولا الجانب الروحي الذي انفرد بها القرآن في هداية الناس وارشادهم وانقاذهم من الحيرة والضلال .

ويجب أن نضيف الى ذلك أن اعجاز القرآن في هذه الشريعة الكاملة التي نزل بها والتي تصلح دائما وأبدا في كل زمان ومكان والتي وقف المفكرون والمشرعون والمصلحون حيال مبادئها السامية النبيلة موقف الاعجاب والتقدير ..

ان اعجاز القرآن ببلاغته وروعته وجدته وفي شرف معانيه ومقاصده ومراميه واغراضه وفي جلال دعوته وصدق شريعته وسمو حكمته وفي عظمة تصويره للحياة الانسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها وفي سمو روحه وجلال اثره وخلوده على مر الايام .

وان اعجازه لهو كذلك سر من الاسرار التي استأثر الله عز وجل بعلمها ولم نعلم منه الا القليل وكلما مرت الايام ابتدى لنا وجه جديد من وجوه الاعجاز واسراره .

واذا كان البحث في اعجاز القرآن قد ادى بالعلماء العرب قديما الى الكشف عن علمين جليلين . هما علم البلاغة العربية . وعلم النقد الادبي .. فاولى بنا اليوم أن ننطلق في ميادين البحث عن الاعجاز من جديد وان يقود ناذلك مرة اخرة الى الكثير من الكشوف العلمية والادبية .

وارى أن توافر العلماء والمختصين على البحوث القرآنية في كل ناحية اختصاصه قد يؤدي بنا الى جديد من القول ومن أسرار الاعجاز .

واذا كانت البلاغة العربية قد وقفت في أول طريق البحث عن الاعجاز ثم لم تمض بعد ذلك خطوة اخرى فاولى بنا أن نسير في الطريق لنصل الى غاياته البعيدة .

ومن الجلي في الامر أن القرآن قد أيد مرور الاجيال اعجازه وهو لا كتاب سماوي بعده وسوف يستمر القرآن وتستمر قضية اعجازه ما بقيت الارض والسماء ..

انك غلام معلم

قال عبد الله بن مسعود الهذلي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البعثة وكان ابن مسعود غلاما صغيرا :

يا رسول الله ، علمني من هذا الكلام ، من هذا القرآن . فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وقال له :

(انك غلام معلم) ..

قال ابن مسعود : فلقد أخذت من رسول الله سبعين سورة ، ما نازعني فيها بشر" .

وكان ابن مسعود الهذلي من بني هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، وكان حليف بني زهرة ، كان أبوه مسعود قد حالف في الجاهلية عبد بن الحارث بن زهرة .

وكانت أمه من هذيل أيضا ، وهي أم عبد بنت عبد ود الهذلي .

وكان ابن مسعود وهو غلام يافع يرعى في غنم عقبة بن أبي معيط .

وعاش ابن مسعود في مكة ، ثم كانت البعثة النبوية الشريفة ، فأسلم ، وكان من السابقين الأولين فقال ابن مسعود : لقد رأيتني سادس ستة ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا .

وكان أول من جهر بالقرآن في مكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول ابن هشام : اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهم ؟

فقال ابن مسعود : أنا

فقالوا : انا نخشاهم عليك ، أنما نريد رجلا له عشيرة تمنعه من القوم ان أرادوه ، فقال دعوني فان الله سيمنعني ، فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها حول الكعبة ، حتى قام عبد الله عند المقام ، فرفع صوته وهو يقول :

" بسم الله الرحمن الرحيم"

الرحمن

علم القرآن

خلق الانسان

علمه البيان

فاستقبلها ، فقرأ بها ، فتأملوا ، فجعلوا يقولون : ما يقول ابن أم عبد ؟ وهم يتعجبون ثم قالوا ، بعضهم لبعض ، انه ليتلو بعض ماجاء به محمد .

فقاموا فجعلوا يضربون فى وجهه وجعل يقرأ ، حتى بلغ من السورة ماشاء الله أن يبلغ

ثم أنصرف الى أصحابه ، وقد أثروا بوجهه فقالوا له : هذا الذى خشينا عليك ، فقال : ماكان أعداء الله قط أهون عليّ منهم الآن ، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غدا ، فقالوا : حسبك ، قد أسمعتهم بعض ما يكرهون .

وهناك رواية أخرى ذكرها ابن الأثير فى " أسد الغابة " (٤١٠:٤) وفيها أن المقداد بن عمرو (أو ابن الأسود) كان أول من أظهر الاسلام بمكة ، قال ابن مسعود : أول من أظهر الاسلام بمكة سبعة منهم المقداد ، ويلقب بصاحب رسول الله ومات فى خلافة عثمان عن سبعين عاما (٤١١:٥ أسد الغابة) .

على أنه لا تناقض كما يبدو بين هذه الرواية والرواية السابقة التى تقول : ان ابن مسعود كان أول من جهر بالقرآن فى مكة ، لأن تلك الرواية تقول كان المقداد أول من جهر بالاسلام فى مكة ، وهذه تقول : ان ابن مسعود كان أول من جهر بالقرآن فى مكة ، هذا من جانب ومن جانب آخر ففى الرواية التى تقول انه المقداد ، ورد عن ابن مسعود أن أول من أظهر الاسلام بمكة سبعة منهم المقداد ابن عمرو ، أو ابن الأسود ، نسبة الى الاسود بن عبد يغوث الزهرى ، لأن المقدار حالفه ، فتبناه الأسود ، فنسب اليه (٤٠٩:٤ أسد الغابة) .

اخذ رسول الله ابن مسعود بعد اسلامه ، فضمه اليه ، وكان ابن مسعود يخدم رسول الله ، فكان يلج عليه ، ويلبسه نعليه ، ويمشى أمامه ، ويستره اذا اغتسل ، ويوقظه اذا نام .

ويروى أن ابن مسعود هاجر الهجرة الأولى والثانية الى الحبشة .

ويروى أنه ماكان أحد من المسلمين من خارج مكة يرى ابن مسعود الا أنه رجل من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، لماكان يرى من دخوله ودخول أمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال : أتينا حذيفة ، فقلنا : حدثنا بأقرب الناس هديـــا

وسمتا برسول الله صلوات الله عليه فتأخذ عنه ، ونسمع منه ، قال : كان أقرب الناس هديا برسول الله صلوات الله عليه ابن مسعود ولقد علم المحظوظون من أصحاب محمد أن ابن أم عبد هو من أقربهم الى الله زلفى الى الله .

آمن ابن مسعود برسول الله ، وقال فيه الرسول الاكرم : لوكنت مؤمرا أحدا من غير مشورة لأمرت ابن أم عبد .

شهد ابن مسعود جميع معارك الاسلام فى عهد الرسول وأبى بكر وعمر .

وكان يلازم مجالس رسول الله يطلب العلم ويأخذه من صاحب الرسالة العظمى ، وهو يقول :

لقد علم أصحاب محمد أنى أعلمهم بكتاب الله ، وما أنا بخيرهم ، ولو أنى أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله منى ، تبلغنيه الابل ، لأتيته .

وما كان أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينكر على ابن مسعود ذلك وفى عهد الخليفة المسلم عمر بن الخطاب بعث عمر بن الخطاب الى الكوفة بعمار وابن مسعود .

وكتب اليهم :

انى قد بعثت اليكم عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ، ومن أهل بدر ، فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسى .

وكان الصحابة يقولون : ما رأينا رجلا أحسن خلقا ، ولا أرفق تعليما ، ولا أحسن مجالسة ، ولا أشد ورعا من ابن مسعود ، فقال لهم على بن أبى طالب : أنشدكم الله ، أهو الصدق فى قلوبكم ؟ قالوا : نعم قال : اللهم اشهد أنى أقول مثل ما قالوا وأفضل .

وكان عمر بن الخطاب يقول فيه : كنيف ملئ علما .

وكان ابن مسعود اذا نام الناس قام فقرأ بالقرآن ، فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح .

وعاش ابن مسعود فى الكوفة وفى عهد الخليفة عثمان بن عفان عاد الى المدينة : وكان يتجنب الخلفاء الراشدين وعطاءهم ، ورأى بعض الصحابة فى نومه رسول الله يقول لابن مسعود : يا ابن مسعود هلم الى فقد جفيت بعدى فأدرك انه قد حان أجله وفى مرضه عاده الخليفة عثمان ، فقال له :

- ماتشتكى ؟

ابن مسعود : ذنوبى

الخليفة : فما تشتهى ؟

ابن مسعود : رحمة ربى

الخليفة : ألا آمر لك بطبيب ؟

ابن مسعود : الطبيب أمرضنى

الخليفة : ألا آمر لك بعطاء ؟

ابن مسعود : لا حاجة لى فيه

الخليفة : يكون لبناتك

ابن مسعود : أتخشى على بناتى الفقر؟

انى أمرت بناتى أن يقرأن كل ليلة " سورة الواقعة" فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قرأ الواقعة كل ليلــة لم تصبه فاقــة أبدا .

وتوفى ابن مسعود عام اثنين وثلاثين للهجرة ودفن بالبقيع ، وصلى عليه الخليفة عثمــان ، ودفع الخليفة الى عبد الله بن الزبير عطاءه ، وكان قد امتنع من أخذ عامين ورعا وزهدا فدفعه ابن الزبير الى ورثتــه .

ولما مات ابن مسعود نعى الى أبى الدرداء بالشام فقال :

ما ترك بعده مثله .

وحقا ، ماترك ابن مسعود بعده مثله :

وتوفى ابن مسعود عن نحو ستين سنه ، وكان ميلاده بعد زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة بنحو أربع سنين ، أى فى العام التاسع والعشرين من ميلاد الرســـول الله صلى الله عليه وسلم .

رحمة الله وأجزل مثوبتــه .

عاصم بن ثابت

عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح " قيس" الانصارى الاوسى من أعلام الاسلام وأبطاله •

تزوج عمر بن الخطاب ابنتـه • ومنها كان ابنه عاصم بن عمر بن الخطاب •

وأبلى عاصم فى سبيل الاسلام خير البلاء فى بدر وأحد •

وبعد أحد قدم على رسول الله فى المدينة رهط من هذيل • وهم بنو لحيان • فقالوا :
يا رسول الله ان فينا اسلاما • فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الديـــن •
ويقرئوننا القرآن • ويعلموننا شرائع الاســلام •

فبعث رسول الله (ص) معهم ستة من أصحابـه :

١ـ عاصم بن ثابت •• وأمره رسول الله عليهم كما يقول ابن الاثير (٣ : ٧٣ أسد الغابة)
وهو الذى ذكر الحى من هذيل • ويقول ابن هشام فى السيرة ان الرهط من عضال والقـارة •
ويقول ابن الاثير : ان الرسول بعثهم سرية عينا (٣/ ٧٣ أسد الغابة) •

٢ـ مرثد الغنوى • ويقول ابن هشام : انه كان رئيس القـوم •
٣ـ خالد بن البكير الليثى •
٤ـ خبيب بن عدى •
٥ـ زيد بن الدثـنة •
٦ـ عبد الله بن طارق •

وخرجوا مع الرهط • فلما وصلوا " الرجيع" • وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز • بـين
عسفان ومكة • غدر الرهط بهم • وغشوا المسلمين بالسيوف • وهم ومن أنضم اليهم من قومهم •
وكانوا قريبا من مائة رجل من الرماة • فلما أحاطوا بالمسلمين الستة • قالوا لهم : لكم العهد
والميثاق ان نزلتم الينا • أن لا نقتل منكم رجلا •

فقال عاصم لأصحابه : أما أنا فلا أنزل فى جوار مشرك • اللهم فأخبر عنا رسولك • وقاتلهم
عاصم ومن معه فقاتلوهم ورموهم • وقتل عاصم فى آخر شوال من العام الثالث للهجرة النبويـة •
وقتل مرثد وخالد : واستسلم خبيب وزيد وابن طارق • فأسروهم •

وخرج بهم المشركون الى مكة ليبيعوهم فيها ، فلما كانوا بالظهران – وادى فاطمة – نزع عبد الله بن طارق يده من الحبل ، وأخذ سيفه ليقاتل المشركين فرموه بالحجارة فقتلوه ، وشدوا وثاق زيد وخبيب ، وقدموا بهما مكة ، فباعوهما لقريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

أما زيد فاشتراه صفوان بن أمية ، فقتله بأبيه أمية بن خلف الذى قتل فى بدر ، وحين قدم زيد ليقتل سأله أبو سفيان : أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الان فى مكانك تضرب عنقه ، وأنك فى أهلك ؟ فرد عليه زيد فى عزة المسلم وجلاله ويقينه : والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنى جالس فى أهلى ، فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا . وقتلوا زيدا .

وأما خبيب فحبسوه عند بنى الحارث لانه كان قتل أبا اهاب التميمى ، وقدموه ليقتل به ، فصلى ركعتين قبل أن يصلب ، ولما رفعوه على خشبة قال : اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا ، وقتلوه رحمه الله .

وأرسلت قريش رسلا لتحضر رأس عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح من الرجيع ، أو ليحضروا شيئا من جسده ، وكان عاصم فى بدر قتل عقبة بن أبى معيط الاموى ، كما قتل مسافع ابن طلحة وأخاه كلاب بن طلحة ، رمى كلا منهما بسهم ، فعاد كلاب الى مكة ، وقال لأمه سلافة : سمعت رجلا حين رمانى بسهم يقول : خذها وأنا ابن الاقلح . فنذرت أمه سلافة ان أمكنها الله من رأس عاصم لتشربن فيه الخمر ، فلما قتل عاصم يوم الرجيع أرادت قريش احضار رأسه لتشرب فيه " سلافة " خمرا .

بسارت الرسل حتى أتوا المكان فلما أرادوا أن يأخذوا رأس عاصم ليبيعوه من " سلافة " فبعث الله سبحانه وتعالى على جسد عاصم سحابة مثل الظلة من النحل تحمى جسده ، فلم يستطع المشركون الوصول اليه ، ولم يقدروا على شئ منه ، وعجزوا عن مقصودهم ، فقال بعضهم لبعض : أن النحل سيذهب اذا جاء الليل ، فبعث الله مطرا ، وجاء سيل عظيم حمل جثمانه فلم يوجد له أثر ، وسمى عاصم : حمى الدبر – النحل – وكان ذلك استجابة من الله عز وجل لدعاء عاصم ايساه ، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركا ، ولا يمسه مشرك ، فحماه الله تعالى بالدبر بعد وفاته .

هزت هذه الحادثة الشنيعة وجدان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يقنت ويدعو ويلعن رعلا وذكوان وبني لحيان[1] شهرا ، وقال في ذلك شعراء الرسول (ص) شعرا كثيرا ، بل كان رجز رسول الله يوم الخندق : اللهم العن عضلا والقارة .

وبعث رسول الله (ص) عمرو بن امية الضمري فدائيا من أكرم وأعظم الفدائيين في الاسلام (ـ٩٥هـ) فأنزل جثمان خبيب من حيث صلب ، ولما نزلت جثته على الارض لم يرها عمرو ولا أحد بعد ذلك ، فكأنما ابتلعتها الارض .

ويقول الطبري أن الرسول أمره بقتل أبي سفيان لكنه والانصاري الذي كان معه لم يستطيعا ذلك لان أهل مكة عرفوهما (٢: ٢١٦ـ٢١٨ الطبري ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة) .

وعمرو هذا هو الذي بعثه رسول الله سنة ست من الهجرة بكتاب الى النجاشي يدعوه فيه الى الاسلام ، وجعله وكيلا عنه ليعقد له على أم حبيبة بنت أبي سفيان (٤: ٨٦ أسد الغابة) وليكلف النجاشي بأن يبعث له في المدينة المسلمين الذين هاجروا الى الحبشة ، وقدم بهم عمرو بن أمية في السفينة التي حملهم النجاشي فيها (٢: ١٢٦ ـ أسد الغابة) .

جزى الله صحابة رسول الله عنه وعن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

---

(١) بسبب هذه الحادثة كانت غزوة بني لحيان في جمادى الاول سنة٦ هـ ـ راجع(٣/٤٤٦) سيرة رسول الله (ص) لخفاجي .

لست منك ولست مني

- يا أبت اليك عني لست منك ولست مني ،
- ولم يا بني ؟،
- اني أسلمت وجهي لله ، وآمنت برسالة محمد بن عبد الله ،
- اي بني ، وما رسالته ؟
- انها الطهر والتوحيد ، والعفة والبر والخير ، وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ، انها الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، انها شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ،
- أي بني ، فدينى دينك ، وأسلم الأب ،
- أي صاحبتي - زوجتي - اليك عني ، لست منك ولست مني ،
- ولم أيها الزوج ، أيها الرجل ، أيها الشريك ؟
- اني أسلمت وجهي لله ، وآمنت برسالة محمد بن عبد الله ،
- وما رسالة محمد ؟
- انها العفة والامانة والصدق والاحسان ، انها الخير وصلة الرحم والبر والايمان ، انها التوحيد خالصا لله رب العالمين ،
- اذا فديني دينك ، وأسلمت المرأة الزوجة والشريكة والصاحبة ، وعادت الزوجة تستدرك على زوجها وهي تقول :
- أعليّ خوف من ذي الشرى - صنم لهم - ؟
- لا ، أنا ضامن لذلك ،
- يا أمي اليك عني لست منك ولست مني ،
- ولم يابني ؟ أعقوقا واثما وطغيانا ؟
- لا ، ولكني أسلمت وجهي لله ، وآمنت برسالة نبي الاسلام ، آمنت بالله رب العالمين ؟
- وماذا أمرك محمد ؟
- انه يأمر بالصدقة والاحسان والزكاة والصيام والصلاة والحج ، والرفق والشفقة ، وبالايمان بالله والملائكة والكتب والرسل أجمعين ،
- اذا فديني دينك يا بني ، وأسلمت الأم - ام دوس - اليكم عني ، اني آمنت برسالة محمد
- وما رسالة محمد ؟
- هي ما يقوله القرآن الكريم : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله

وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) .

ــ اذا قد يننا دينك أن أحللت لنا الربا .

ــ قال : ما أملك لكم من الله من شئ . وما أحل لكم حراما ولا أحرم حلالا .

كان ذلك المتحدث هو الطفيل بن عمرو بن طريف الأزدى الدوسى . وكان يلقب ذا النون . وكان شريفا سيدا فى قومه الدوسيين يستمعون له . ويأتمرون بأمره .

وعاد الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقال :

ــ يا رسول الله . انه قد غلبنى على دوس الربا ، فادع الله عليهم .

ــ فقال صلوات الله عليه : " اللهم أهد دوسا الى الاسلام " . والتفت الى الطفيل ، وقال صلى الله عليه وسلم له : أرجع الى قومك فادعهم وأرفق بهم .

ــ ورجع الطفيل ، فلم يزل بأرض قومه دوس يدعوهم الى الاسلام ، حتى هاجروا الى رسول الله الى المدينة يبايعونه على الاسلام .

ويحدث الطفيل بقصته مع الاسلام والرسول فيقول :

قدمت مكة ورسول الله بها ، يدعو الناس الى الاسلام . وقريش تكفر به . وتصد عنه ، وتفتن أصحابه وتؤذيهم فى أنفسهم ، وأموالهم . وحرماتهم ..

ومشى الى رجال من قريش . فقالوا :

ــ يا طفيل . انك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل (محمد) بين أظهرنا . قد قطع الرحم . وفرق الجماعة . ومزق الشمل ، وانما قوله كالسحر . يفرق به بين الرجل وأبيه . وبين الرجل وأخيه . وبينه وبين زوجه : ونحن انما نخشى عليك وعلى قومك ، فلا تكلمه ولا تسمع منه ويقول طفيل : فوالله ما زالوا بى . حتى عزمت وأجمعت ألا أسمع منه شيئا ، ولا أكلمه . وذهبت فحشوت أذنى قطنا ، خوفا أن يصل كلامه الى . وأنا أريد الا أسمعه قال طفيل :

وغدوت الى المسجد الحرام ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة . قال الطفيل : فقمت قريبا منه ، فأبى الله الا أن يسمعنى قوله . فسمعت كلاما حسنا . فقلت فى نفسى : ثكلتنى أمى ، والله انى لرجل شاعر لبيب ، ما يخفى على الحسن من القبيح . فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول . فان كان الذى يقوله يأتى به حسنا قبلته ، وأن كان قبيحا تركته قال طفيل :

فمكثت بجواره حول الكعبة ، حتى أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته ، فاتبعته ، حتى اذا دخل بيته ، دخلت عليه ، فقلت : يا محمد ان قومك قالوا لى كذا وكذا ، ثم أن الله أبى الا أن أسمع قولك ، فسمعت قولا حسنا ، فاعرض على أمرك ، فعرض على رسول الله الاسلام ، وتلا على القرآن ، فوالله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه .. فأسلمت وقلت : ساعود الى قومى ، وأدعوهم الى الاسلام ، وتوجهت الى الله أساله أن يعيننى عليهم ، وأن يفتح قلوبهم لما أدعوهم اليه فلأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم .

ثم بعثت شطر قومى فاستقبلتنى الناس وأنا أهبط اليهم من الثنية المحيطة بمحلتهم ، فلما دخلت الحى دعوت أبى فأسلم ، ودعوت زوجتى ثم أمى فأسلمتا ، ودعوت دوسا ، فأبطأوا عن الاسلام ، وغلبنى عليهم الربا ، فلما دعا رسول الله لهم بالهداية ، عدت فدعوتهم الى الاسلام ولم أزل أدعوهم حتى آمنوا به وصدقوا برسوله صلى الله عليه وسلم ، وأعزهم الله بالدين والقرآن .

وهكذا كان الطفيل ، وهكذا علق فى ظلال الاسلام ..

شهد بدرا وأحدا وغزوة الخندق وقدم على رسول الله بمن أسلم معه من قومه ، ولحقوا جميعا برسول الله بخيبر ، فأسهم صلوات الله وسلامه عليه له ولهم مع المسلمين .

ولم يزل الطفيل مع رسول الله صلوات الله عليه حتى فتح الله عز وجل عليه مكة ، وبعد فتح مكة قال طفيل يا رسول الله ابعثنى الى ذى الكفين – صنم – حتى أحرقه ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ، فأوقد الطفيل نارا وألقاه فيها ، واحترق ذو الكفين وكان من خشب وأخذ طفيل يقول وهو يحرقه :

ياذا الكفين لست من عبادكا ،
ميلادنا أقدم من ميلادكا
أنا حشوت النار فى فؤادكا

ورجع الطفيل الى المدينة فكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد تروحه الى الرفيق الأعلى صلوات الله عليه وسلامه ، وارتدت العرب وقاتلهم أبو بكر قتال الأبطال ، وخرج الطفيل مع المسلمين يحارب المرتدين مجاهدا أهل الردة ، حتى فرغوا من المرتدين فى نجد واليمامه .

ثم خرج الى الشام لقتال الروم واشترك فى معركة اليرموك ، وصمد فيها صمود الأبطال ، وقتل فى موقعة اليرموك عام ١٣ هـ فى خلافة عمر بن الخطاب ، وبذلك مات الطفيل الأزدى الدوسى الشهيد فى سبيل الله ، واستحق بذلك البشرى ورضوان الله ورحمته ، فى الاولى ويوم الدين .

سلطان العلماء

الامام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام شيخ الاسلام وسلطان العلماء (٥٧٧ ـ ٦٦٠ هـ) من أشهر الاعلام المسلمين فى عصره ، عصر الدولة الايوبية وأول عصر المماليك .

نشأ فى دمشق ، وتعلم فى حلقاتها العلمية ، ودرس على كبار علمائها ومحدثيها وفقهائها وكان من أساتذته فخر الدين بن عساكر ، وسيف الدين الآمدى .

وعلت مكانته العلمية ، وارتفعت منزلته ، وعهد اليه بالتدريس والقضاء والفتيا والخطابة ، وكثرت حلقاته العلمية ، ومن تلامذته اعلام عصره . وفى مقدمتهم ابن دقيق العيد (٦٢٥ ـ ٧٠٢ هـ) وهو الذى لقب أستاذه بسلطان العلماء .

وصار العز بن عبد السلام امام عصره فى الشجاعة والجرأة والورع والقيام فى الحق .

وترك مؤلفات كثيرة منها : شرح الاسماء الحسنى ، وشجرة المعارف ، وتفسير مختصر ، ومختصر النهاية ، ومؤلفات أخرى عديدة قيمة .

ولما توفى الامام عز الدين بن عبد السلام فى التاسع من جمادى الاول عام ٦٦٠ هـ خرج السلطان بيبرس والامراء والشعب يشيعون جنازته ، وحزن عليه السلطان الملك الظاهر بيبرس حزنا شديدا ، وحمل نعشه على كتفه ، وهو يقول : لا اله الا الله ، ان العز بن عبد السلام لم يتفق موته الا فى دولتى .

مواقف خالدة :

وللامام العز مواقف خالدة فى تاريخ الاسلام .

ولقد عاش الامام العز بن عبد السلام فى عصر حافل بالأحداث ، عصر الدولة الايوبية أول عصر المماليك ، عصر الحروب الصليبية وغزو التتار للعالم الاسلامى ، عصر الجهاد الاسلامى من أجل حرية وتحرير التراب الوطنى الاسلامى ، ومن أجل مجد الاسلام ، وعزة المسلمين .

ويؤثر عن الامام العز بن عبد السلام قبل هجرته من دمشق أن سلطان بلده الصالح اسماعيل استنجد بالصليبيين ضد سلطان مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فغضب الشيخ

صيدا وأسقط اسم سلطان بلده من الخطبة ، وأعلن الخصومة له ، فعزله السلطان من جميع مناصبه .

ثم أرسل اليه يغريه باعادته الى ما كان عليه ، والى أكثر مما كان عليه ، أن اعتذر للسلطان وقبل يديه أمام الناس .

فقال الشيخ للرسول : يا مسكين ، أنا لا أرضى أن يقبل سلطانكم يدى ، أنتم فى واد وأنا فى واد .

وخرج الشيخ مهاجرا الى مصر عام ٦٣٩ هـ .. فاستقبله السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب استقبالا حافلا وولاه خطابة مصر وقضاءها .

بين سلطان وعالم :

وفى يوم عيد وكان السلطان فى القلعة صعد الشيخ الى القلعة ليهنئه بالعيد ، فشاهد السلطان وقد أبطرته النعمة ، والامراء تقبل الارض بين يديه ، كأنه اله يعبد من دون الله .

فصاح بالسلطان : يا أيوب ، ما حجتك عند الله اذا قال لك : ألم أبوىء لك ملك مصر ، والمعاصى ترتكب علنا بجوار قصرك ، وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة ؟

فوجم السلطان ولم ينبس ببنت شفة .

وعاد الامام الى تلاميذه ، فسأله أحدهم : كيف كان حالك مع السلطان؟ قال أردت أن أنصحه لئلا تكبر عليه نفسه ، فتؤذيه .

فقال له التلميذ : يا سيدى أما خفته ؟

فقال الشيخ : والله يا بنى لقد استحضرت عظمة الله تعالى ، فصار السلطان أمامى وكأنه ذرة صغيرة ..

ومن مواقفه الخالدة أيضا أن السلطان غضب عليه يوما ، فبعث اليه برسالة مضمونها : لا تفت فى الناس ولا تجتمع بأحد ، والزم بيتك .

ووصلت الرسالة مع رسول خاص الى الشيخ ، وقرأها ، ثم التفت الى الرسول قائلا :

الحمد لله ، ان ذلك من النعم الجزيلة على ، الموجبة للشكر لله عزوجل على الدوام ، أما الفتيا فانى والله كنت متبرما منها كارها لها ، أعتقد أن المفتى على شفير جهنم ، ولولا أنى

لاعتقد أن الله أوجبها على لما قمت بها . وأما ترك اجتماعى بالناس ولزوم بيتى فأمرهما الى الله تعالى ، ان شاء فعلت ، وان شاء لم أفعل ، وان من سعادتى لزوم بيتى وتفرغى لعبادة ربى ، والسعيد من لزم بيته ، وبكى على خطيئته ، واشتغل بعبادة الله تعالى ، وان هذا لهدية من الله تعالى الى أجراها على يدى السلطان وهو غضبان وأنا بها فرحان .

وفى عهد السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب زاد المماليك قوة ، وكثر نفوذهم فى الدولة واستبدادهم بالشعب .

فغضب الشيخ ، وقال : ان هؤلاء الامراء الاتراك أرقاء بحسب الشرع للشعب الذى هو سيدهم ، ومازال حكم الرق مستصحبا عليهم لبيت مال المسلمين ، ولابد من بيعهم وصرف ثمنهم فى وجوه الخير ومصالح المسلمين .

بيع الامراء :

وحاول السلطان والامراء استرضاء الشيخ فأبى وأصر على رأيه ، وأن ينادى عليهم بالبيع ويقبض ثمنهم والا فانه سيعزل نفسه من منصب القضاء .

ولما أغلظ السلطان عليه وأنكر صنيعه غضب الشيخ وخرج مهاجرا من مصر ، وسار قليلا والشعب من ورائه فركب السلطان بنفسه واسترضاه وطيب قلبه .

فعاد وعقد مجلسا حضره السلطان والامراء ، ونادى الشيخ عليهم بالبيع واحدا واحدا ، وغالى فى ثمنهم ، فدفعوا له كل ماقدره من مال ، فأخذه الشيخ وصرفه فى وجوه الخير ، وأعتق الامراء الارقاء ، ومنحهم حق الحرية .

وجاهد الشيخ ومعه أعلام عصره من العلماء ، وخاضوا غمار معركة المنصورة عام ٦٤٨ هـ ضد الصليبيين ، وانتصروا على الصليبيين انتصارا مؤزرا ، وأسر لويس التاسع وجيشه ، وحررت أرض مصر من دنس الاستعمار الصليبى .

هذا هو الامام العز بن عبد السلام ، صلابة فى الحق ، وكرها للباطل والمبطلين ، وعندما توفى الامام العز فى حكم الملك الظاهر " بيبرس " سلطان مصر قال السلطان لبعض خواصه : " اليوم استقر ملكى ، لان هذا الشيخ لو أمر الناس بالثورة لانتزع الملك منى " .

ومات الشيخ بعد أن ترك صفحات بيضاء من العزة والكرامة والوطنية والاباء والنضال من أجل حرية الوطن وعزته ومجده .

ابن قيم الجوزية

ابن القيم أو ابن قيم الجوزية شيخ الاسلام ، شمس الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن ابى بكر ابن سعد ، الزرعى ، ثم الدمشقى ، من اعلام الاسلام وائمته وكبار شيوخه .

كان أبوه قيم المدرسة الجوزية التى انشأها الامام ابن الجوزى - ٥٩٧ هـ - بسوق القمح بدمشق ، فقيل له ابن القيم أو ابن قيم الجوزيـة .

تخرج على والده وعلى شيوخ عصره ، ودرس العلوم الاسلامية والعربية ، ونبغ فيها ، أخذ الاصول والفقه على يد شيخه الصفى الهندى ، وعلى كمال الدين الزملكانى -٧٢٧هـ - ، وعلى شيخ الاسلام ابن تيمية -٧٢٨ هـ - الذى لقيه عام ٧١٢ هـ وهى السنة التى عاد فيها الامام ابن تيميـة من مصر الى دمشق ، فلازمه واتبع مذهبه وانتصر لـه .

وعلم ابن القيم فى الجوزية ، ودرس بالمدرسة الصدرية أيضا ، ونبغ فى الكلام والاصـول والتفسير ، وسار على المذهب الذى كان يسير عليه شيخه ابن تيمية وهو مذهب السلف من التمسك بالكتاب والسنة وعدم تأويل نصوصهما ، ويسمى مذهب أهل السنة والجماعة ، ويعتمد ابن القيم على الكتاب والسنة ، ويأخذ بظاهرهما دون تأويل أو مجاز .

حبس ابن القيم مرارا فى سبيل آرائه التى هى فى جملتها آراء أستاذه الامام ابن تيميـة ، وكان العصر - عصر المماليك - ضد مذهبه ومذهب شيخه ، وتوفى أستاذه عام ٧٢٨ هـ فظل من بعده ينتقل من حال الى حال ، حتى استأثرت به رحمه الله عام ٧٥١ هـ .

وفى تلخيص آراء ابن القيم يقول هو نفسه فى كتابه - مدارج السالكين[١] -

- ونحن ندين بالقدر وان سمى جبرا وندين باثبات الصفات وان سمى تجسيما ونديـن باثبات علو الله على عرشه فوق سماواته وان سمى تحيزا او جهة ، وندين باثبات وجهه الاعلى ويديـه المبسوطتين وان سمى تركيبـا ، وندين بأنه يرى بالابصار عيانا حقيقة يوم لقائه وان سمى ذلك تشبيها ، وندين بحب أصحاب محمد وان سمى نصبـا - ، وكان الامام ابن تيمية يقـول فى شعـره .

---

(١) ص ٢٥٨ جزء ٣

ان كان نصبا حب صحب محمد
فليشهد الثقلان انى ناصبى

ففى آيات الصفات نرى أن ابن القيم يطلقها على الله تعالى بمعناها الحقيقى من غير تشبيه ، بينما ذهب الصابونى فى كتابه - عقيدة السلف - وابن خلدون فى - المقدمة - والرازى فى كتابه - أساس التقديس - الى اطلاقها على الله تعالى بمعناها الذى يليق بذاته .

ويستدل على وجود الله تعالى بقدرته فى السماء والارض وفى أنفس الناس .

ويرى أن الله يجب أن يتصف بكل كمال ، ويتنزه عن كل نقص ، مستدلا على صفات الكمال بالعلم واتقان صنعه .

ويرى ان افعاله تعالى كلها خير لا شر فيها أصلا ، ويذهب الى القبح والحسن العقليين ، وأن التكليف لا يكون الا بعد البعثة .

وعلى الجملة فهو يذهب مذهب السلف ، مذهب شيخه ابن تيمية فى استدلاله على وجود الله ، وفى مسألة الصفات ، وفى مسألة وجود الشر فى العالم وحكمة وجوده فيه ، وفى مسألة الحسن والقبح ، وفى النفس الانسانية وفى أمر المعاد ، وفى مسألة ابدية الجنة والنار ، سالكا مذهب الانتخاب الفكرى فى كل آرائه ومذاهبه ، فهو يحرص ان يقدم بين يدى دراساته ومباحثه آراء العلماء السابقين ، مناقشا لها وموجها وناقدا ، ومختارا منها مذهبه الذى يعتقده الحق ، حيث يتخذه مذهبا له ويقيد يدافع عنها بكل ما يستطيع ويحبها ويقدمها على كل شىء .

وفى هذا يقول رحمه الله :

- شيخ الاسلام - الانصارى - حبيب الينا ، والحق أحب الينا منه ، وكل من عدا المعصوم فمأخوذ من كلامه ومتروك[1] ويقول : ولكن من عدا المعصوم فمأخوذ من كلامه ومتروك ومن ذا الذى لم تزل به القدم ، ولم يكب به الجواد[2] .

وكان الامام مالك رضى الله عنه يقول : كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك الا صاحب

---

(١) ٢ : ١٩ مدارج السالكين - مطبعة المنار ٣-١ : ١٢٥ المرجع نفسه

(٢) ١٤ : ١٤٠ البداية والنهاية لابن كثير - طبعة - مطبعة السعادة بالقاهرة .

هذا القبر[1] ، أى الرسول صلوات الله عليه .

كان فى ابن القيم رحمه الله شموخ وعزة نفس ، وسموهمة ، وقد انتفع به الناس والعلماء فى عصره وبعد عصره .

وقد نشر علم الامام ابن تيمية ، وكان ينتصر له فى أغلب آرائه ، وهو الذى هذب كتبه ، وورث علمه . وقد جمع الى العلم الزهد والورع والصلاح ، وقد ترك كتبا مشهورة ، منها : مدارج السالكين ، واعلام الموقعين عن رب العالمين ، والطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ، وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، وطريق الهجرتين وباب السعادتين وحادى الارواح الى بلاد الافراح وزاد المعاد فى هدى خير العباد ، وهو فى السيرة النبوية ويقع فى أربعة اجزاء .

وله كتب أخرى مشهورة ، مثل التبيان فى أقسام القرآن ، وتفسير المعوذتين ، وتفسير سورة الفاتحة ، ومفتاح دار السعادة والوابل الصيب من الكلم الطيب .

وكان من تلامذته ابن رجب الحنبلى ، والذهبى ، وابن كثير ، وغيرهم من جلة العلماء .

وكان ابن القيم يرى ان السلف هم أفضل الناس مذهبا ، وأهداهم طريقة[2] وكان هو واستاذه ابن تيمية يدعوان الى جمع الكلمة على مذهب واحد فى الاصول والفروع ، واختيار ما هو الاولى والاصوب من المذاهب المختلفة ، وما يوافق الكتاب والسنة منها[3] .

واعتزاز ابن القيم بالحق والصواب كان مضرب المثل بين الناس .

وكان ابن القيم يسلك مسلك أهل السلف فى الحجة والبرهان والاستدلال ، ويستدل على وجود الله تعالى بالطبيعة والكون ، وبدلائل قدرته فى السماء والارض ، والماء والهواء ، من حيث كان المتكلمون والفلاسفة ممن تبحروا المنطق الارسطاطاليسى يستدلون على وجوده تعالى بالاقيسة المنطقية والادلة العقلية .

---

(١) ١٤/١٤٠ البداية والنهاية لابن كثير - طبعة - مطبعة السعادة بالقاهرة .
(٢) ٦٤ ابن القيم تأليف د . عوض الله حجازى - طبعة القاهرة ١٩٦٠
(٣) ص٤٦ المرجع نفسه

ومن أجل ذلك كان ابن القيم كأستاذه ابن تيمية يعادى المنطق اليونانى ، ويرى أنه ليس علما صحيحا و بل هو علم باطل ، فساده أضعاف حقه .

ونظم قصيدة[1] فى ابطال المنطق الارسططاليسى وفى بيان فساده ، وفيها يقول :

واعجبا لمنطق اليونان
كم فيه من افك ومن بهتان

متضارب الاصول والمبانى
على شفا هار بناه البانى

وهو فى ذلك قريب الى العلماء المسلمين الاصلاء ، الذين رجعوا فى الاستدلال الى الكتاب والسنه ومذهب السلف، رضوان الله عليهم .

وعن ابن القيم ومذهبه وآرائه وافكاره كتب الاستاذ الجليل عوض الله حجازى الاستاذ بكلية أصول الدين بجامعة الازهر الشريف كتابه القيم الممتع - ابن القيم وموقفه من التفكير الاسلامى - الذى يعد أجمل دراسة عن ابن القيم وفلسفته ومذهبه والذى كان رسالته للدكتوراه ناقشه فيها جماعة من فحول الاساتذة فى مصر .

وقد درس فيه عصره وحياته وجملة مذهبه وحلل آرائه الاعتقادية ودرسها بالتفصيل ، فيما يتعلق بوجود الله وصفاته وصفاته الخبرية ، وحكمة وجود الشر فى العالم ، ومسألة الحسن والقبح ، والمعاد وحقيقة النفس الانسانية ، والنفس وهل هى قديمة او حادثة ، ومخلوقة قبل البدن أو بعده ، والنفس هل هى والروح شئ واحد أو شيئان مختلفان ، ومسألة أبدية الجنة والنار .

وكل ذلك فى تحليل واستقصاء ودقة وعمق وأمانه علمية نادرة .

وابن القيم جدير بأن يتصدر الدراسات الاسلامية، وبأن يكتب عنه البحوث الضافية الطويلة لعلمه وفضله ومكانته فى الفكر الاسلامى ، رحمه الله وأجزل له مثوبته .

---

(١) ١٧١ مفتاح دار السعادة لابن القيم

محمد عرفة (١٣٠٦ - ١٣٩٢ هـ : ١٨٩٠ - ١٩٧٢ م)

قلم من أرفع الاقلام الاسلامية في العصر الحديث ، وداعية من كبار الدعاة الى الله والى الدين الحق ، وشريعة خير الانبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وشيخ من اعلام شيوخ الازهر المعاصرين الذين دوت بمعارفهم حلقاته العلمية الرفيعة .

وكان الازهر في النصف الاول من القرن العشرين - بعد ان عمل المستعمرون الانجليز في مصر كل ما في طاقتهم لتحويله عن تياره الاسلامي ، وللحيلولة بينه وبين اداء رسالته الاسلامية ، ولاقامة الحواجز والسدود بين تياره الروحي وبين نفوس المسلمين كافة في مصر بلد الازهر وفي كل مكان من العالم الاسلامي - لا يزال هو المنارة الكبرى لعلوم الاسلام ، والقلعة الحصينة التي ترتد عليها سهام المبشرين والمستشرقين والصليبيين واعوانهم ، وحصن الوطنية المنيع الذي تجتمع فيه قلوب الملايين مملوءة بالعزم والتصميم على محاربة الاستعمار والمستعمرين ، وعلى رفع الروح المعنوية في كافة شعوب العرب لتنهض من جديد مطالبة بحقها في الحرية والاستقلال وسيادة التشريع الاسلامي في كل جانب من جوانب حياتها ، بعد أن اكره المستعمرون الشعوب العربية على السير وفق قوانين مدنية وضعية مستمدة من قوانين الغرب ونظمه .

وقد تصدر الحركات الاسلامية والدينية والثقافية في الازهر في هذه الفترة عدد من كبار علمائه ، كان من بينهم : الشيخ الاحمدي الظواهري ، والشيخ محمد مصطفى المراغي ، والشيخ يوسف الدجوي ، والشيخ ابراهيم الجبالي ، والشيخ عبد المجيد سليم ، والشيخ محمد مأمون الشناوي ، والشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ محمد سرور الزنكلوني ، والشيخ محمد عرفه الذي نترجم له في هذه الصفحات ، والشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، والشيخ ابراهيم حمروش واعلام كثير قل أن يوجد لها مثيل في فترة قصيرة كهذه الفترة ، في أية جامعة من جامعات الشرق والغرب ، على الرغم من أيدي المستعمرين والمبشرين والصليبيين والالحاديين وتلاميذ المستشرقين في الحيلولة بين الأزهر واداء رسالته الاسلامية بكل سبيل وكل حيلة ، وفي اقامة العقبات أمام علمائه بكل ما وسعهم المكر والخداع والتزوير والاباطيل .

ولقد قضى الشيخ محمد احمد عرفة اكثر من خمسين عاما في الازهر طالبا وعالما ومتصدرا

للافادة والتوجيه ، ثم احيل الى المعاش ـ التقاعد ـ عام ١٩٥٤ ، ومع ذلك ظل ممسكا بالقلم يكتب ويدافع عن الاسلام حتى سقط القلم من يده حين وافاه اجل ربه فى يوم الاربعاء السادس من ذى الحجة عام ١٣٩٢ هـ ـ العاشر من يناير عام ١٩٧٣م .

ولقد دخل الشيخ عرفة سلك التعليم الازهرى عام ١٩٠٤ حيث التحق بمسجد دسوق الدينى ، ثم اكمل تعليمه الثانوى فى معهد الاسكندرية الدينى ثم التحق بالقسم العالى فى الازهر الشريف ونال منه شهادة العالمية عام ١٩٢١ ، وعين أثر ذلك مدرسا فى الازهر فى معهد الاسكندرية الذى درس فيه ، وأفاد منه كثير من اجيال المتعلمين .

ولما انشئت عام ١٩٣١ كليات الازهر الشريف ، اختير ـ فيمن اختيروا من اساتذة الازهر الكبار ـ للتدريس فى كلية الشريعة الاسلامية ، وفيها ظهر نبوغه العلمى ، وعلت مكانته الدينية ، واختير وكيلا للكلية عام ١٩٣٣ ، ثم نقل أستاذا فى كلية اللغة العربية وظل فيها ثلاثة عشر عاما يجاهد ويكافح من اجل الدين والثقافة والعلم ، فكان عضوا فى مجلس ادارتها واستاذا فى اقسام الدراسات العليا فيها ، ومنح عام ١٩٤٣ عضوية جماعة كبار العلماء .

وفى عام ١٩٤٦ اختير مديرا للوعظ بالازهر الشريف ومديرا لمجلته وظل عامين فى هذا المنصب، ثم عين مديرا لمجلة الازهر ، ثم استاذا متفرغا فى كليات الازهر ، وموجها للثقافة فيه .

وفى اثناء هذه الحياة العلمية الحافلة اختير فى كثير من اللجان والمؤتمرات : كاللجنة العلمية التى الفت لنشر الدعوة فى سبيل الله ولمقاومة التبشير ، ومؤتمر الاحتفال بالعيد الالفى لذكرى ابى الطيب المتنبى الذى عقد فى دمشق ، وغير ذلك من اللجان والمؤتمرات ، ومنها مؤتمر الثقافة العربية الذى عقد فى لبنان عام ١٩٤٧م .

ولا نجد ترجمة لحياته الفكرية أصدق مما أرخ هو به لنفسه ، وذلك فى مقالة له نشرتها صحيفة المصرى بعنوان : " الدين والحياة والازهر " فى يونيو عام ١٩٥٢ ، وفى هذه المقالة :

١ـ يذكر رأيه فى طبيعة الاسلام الداعية الى الاخاء الانسانى والتعاون البشرى .
٢ـ ويذكر الأزهر ومواقفه الاسلامية والوطنية فى العصر الحديث .
٣ـ ويذكر رأيه فى يمين الطلاق التى يراد منها الحث على شيء أو النهى عنه موانها لاتقع .
٤ـ ويذكر رده على الداعين للبس القبعة من انصار المستعمرين ، وان الواجب على المسلمين

ان يحتفظوا بشخصيتهم ، وفند قول القائلين انهـا لباس المتقدمين في العلـــم والحضارة .

٥- ورد على انصار المرأة الذين دعوا الى اعطائها حقوقا لم تمنحها اياها الشريعـــة الاسلاميـة .

٦- ورد على دعوى بعض المخرفين بان المعز لدين الله الفاطمي تنصر في آخر حياته .

٧- ويذكر رده على الدكتور طه حسين بكتابه الذى نشر بعنوان " نقض مطاعن في القرآن الكريم " وقد نشرته له دار المنار بتقديم للشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله - فـــي ١٥٨ صفحـة .

٨- وكتب بعض اساتذة الجامعة المصرية ، وهو ابراهيم مصطفى كتابا سماه " احياء النحـو" دعا فيه الى طرح كثير من قواعده ، فرد عليه الشيخ عرفة بكتابه " النحو والنحاه" بـــين والجامعة " في ٢٤٠ صفحة - وقد طبع في مطبعة السعادة بالقاهرة .

٩- وكتب كتابه " السر في انتشار الاسلام " وهو رسالة كلفه بها جماعة كبار الاسلام - وقـد طبعها الأزهر ، وترجمت الى الفارسية والصينيه .

١٠- وكتب كتابه : " اللغة العربية - لماذا أخفقنا في تعليمها ؟ وكيف نعلمها ؟ " ، وضح فيه الطريق الطبيعى لتعليم اللغات عامة واللغة العربية خاصة ، وقد نشر قبل ذلـك مقالات في مجلة الرسالة ولخصه الشيخ عبد القادر المغربى ونشر الملخص في مجلـة الجمع العلمى العربي بدمشق .

١١- وحمل على الشعر الماجن في كلمته التى القاها في حفل تأبين شوقي ، وفي كلمته الـتي القاها كذلك في مؤتمر الثقافة العربية الذى عقد في لبنان عام ١٩٤٧ ، وفي محاضراته في الاذاعة ، ومقالاته في الاهرام التى حمل فيها كذلك على الاغاني الخليعة ، والروايات المفسدة للاخلاق ، وعلى الصور العارية في الصحف والمجلات ، وعلى (الموضات) الفاضحة التى تقلد فيها المسلمات المرأة الغربية ، ودعا الى التمسك بتعاليم الاسلام وفضائله وآدابه لتنهض الشعوب الاسلامية من كبوتها ، وتفيق من رقدتهـا .

١٢- وكتب " رسالة الازهر في القرن العشرين " ، مندداً بالسياسة الحزبية التى تريـــد أنصارا لها من بين طلابه وعلمائه - داعيا الى حرية الرأى والتواصى بالامر بالمعـــروف والنهى عن المنكـر .

الى غير ذلك من مواقفه الاسلامية والفكرية في مختلف المناسبات والمجالات .

وأزيد على ما قاله الأستاذ الشيخ محمد عرفه مجالات اخرى ظهر فيها فكره الاسلامى فى أروع صوره .

فلقد كانت مقالاته فى الصحف والمجلات ، ومحاضراته فى الاذاعة تحمل رمز الدعوة الى الاخاء بين طوائف المسلمين ، مع التمسك بجوهر العقيدة الاسلامية الصافية ، والتزام الحدود التى التزمها السلف الكريم من ائمة المسلمين ومجتهديهم .

وقد نشر كتابا قيما فى الدفاع عن الاسلام سماه : " الاسلام أم الشيوعية ؟" وطبع فى مطابع دار الكتاب العربى بالقاهرة فى مائه وعشرين صفحة حافلة بالكثير من مفاخر الاسلام وتعاليمه ... وذلك عام ١٩٦٠ .

ونشر عام ١٣٨٢ـ١٩٦٣ م كتابا سماه " انقاذ البشر من ان يفنوا بعضهم بعضا بالحرب الذرية ـ وقد طبع بمطابع دار الكتاب العربى فى ١٦٨ صفحه وفيه يحمل زعماء العالم مسئولية قيادة الانسانية الى مهاوى الهلاك تحت ضغط شعارات زائفة وأفكار مدمرة ، ودعا فيه الى نبذ العدوان وتدمير مخزون العالم من القنابل الذرية ، وجعل أول من رمى أول قنبلة ذرية أشأم من أظلته السماء ، وأقلته الغبراء .

على ان أغلب انتاجه العلمى والاسلامى لايزال مخطوطا لم يطبع بعد وفيه مجموعة آرائه وأفكاره واجتهاداته وخواطره ودعواته الاسلامية الصميمة .

ومن الجدير بالذكر ان نذكر ان المترجم له ظل متمسكا بالعروة الوثقى لم يمالئ دعاة التجديد ، ولم يتملق أصحاب السلطان ، ولم يخرج فى فتاويه وأحكامه وآرائه عن حدود تعاليم الاسلام وفتاوى أئمته ومجتهديه . فلا زلت به قدم فى تحليل ما حرم الله ، ولا هو دعا الى التقريب بين الدين وحضارة الغرب ، ولا هو هادن المبشرين وغير المبشرين فى موقف من مواقفه ولا فى فكرة من أفكاره .

وكان ـ رحمه الله ـ حاد الذهن ، قوى الذكاء ، قوى الحجة ـ والمنطق ، عميقا أشد ما يكون العمق فى فهم التراث واصطياد درره وكنوز شوارده ، وأوابده .

وكان بشخصيته الجليلة ، واخلاقه النبيلة ، وسمته السرى ، وابتسامته العذبة ، ووجهه المشرق ، وثغره المتلالئ ، ملاذا للحائرين ، ومرشدا للضالين ، وداعية من أجل الدعاة الى دين الله .

وكان رحمه الله عالما متضلعا ، وباحثا دقيقا ، ومفكرا واسع التفكير ، كثير الاحاطة بآثار القدامى والمحدثين والمعاصرين ، مع التواضع والنبل وعظمة الخلق ، وجلال العلماء ، ووقار المرشدين .

وكان أكثر شيوخ الازهر حرصا على المنطق ، والتزاما فى كتابته بالحجة والدليل . مع نصاعة البيان ، وحلاوة الاسلوب ، واشراقة التعبير ، ومع عفة القلم ، وقلة الشكوى والالم .

يقول فى مقدمة كتابه " نقض مطاعن فى القرآن الكريم :

" اللهم كما هديتنا الى الخير فأعنا على الدعوة اليه ، وكما عرفتنا الحق فوفقنا الى تعريفه للضالين عنه ، وكما أريتنا المعروف معروفا ، والمنكر منكرا ، فاجعلنا من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر " .

ويقول فى كتابه " الاسلام أو الشيوعية " : الاسلام عقيدة فى القلب وقانون فى الحكم ، وقواعد فى الاخلاق ، ونظام فى الاجتماع ، ودستور للحياة السعيدة ، ورباط بين المسلمين ، ويخطئ من يظن ان الاسلام تنظيم لصلة العبد بربه فقط ، وانه لتحصيل السعادة الأخروية ، وانه لم يعن بالدنيا ولا تنظيمها ولا بالسعادة فيها .. فان الواقع غير ذلك ، وانه لتحصيل السعادة الدنيوية والأخروية ، وانه اذا تأمله المتأمل قانون جمعية تعاونية يجعل المسلمين افراد هذه الجمعية ، ويفرض عليهم واجبات ، ويرتب لهم حقوقا ، لتكون هذه الجماعة سعيدة لا يطغى فيها حاكم على محكوم ، ولا قوى على ضعيف ، يبين الصفات التى يجب ان تتوافر فى الفرد ليكون مواطنا صالحا ، والتى يجب ان تتوفر فى الامة لتكون مجتمعا سعيدا قياميا "

هذا هو الشيخ محمد أحمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء فى الازهر الشريف سابقا ، فى مجمل حياته ، ومجمل آرائه ، وفى مؤلفاته وتراثه القوى الجليل .

رحمه الله وأجزل له الرحمة والمثوبة ، كفاء ما قدمه لدينه ولأمته الاسلامية من خير وهداية وارشاد ...

التيارات الكبرى فى الفكر الاسلامى

١ ـ جاء الاسلام فغير من مجرى الزمن ·

ونزل القرآن فحول من اتجاه الفكر ·· وكان منهج القرآن الكريم فى الحجاج والحوار ، وفى الاثارة والاقناع ، وفى التمثيل والتعليل وفى الحجة والبرهان ، وفى الظن والحدس ، وفى الشك والتجربة والامتحان ، وفى الصدق والحق واليقين ، وفى ضرب المثل للغائب بالشاهد ، وللبعيد بالقريب ، وللغامض بالواضح ، وفى غير ذلك كله ،كان هذا المنهج القرآنى الفريد الجديد المنقطع النظير ، هو منهج الحياة كلها ، ومنهج البشر اجمعين ·

وكان هو المعلم الاكبر الذى تخرج على يديه اعلام الثقافة الاسلامية فى شتى فروع الدين والعلم ، من الصحابة والتابعين ، وهو النور الذى حملته العقول المسلمة ، الواعية الامينة الى كل مكان فى العالم ، فأضاء دياجير الحياة ، وانار ظلمات الوجود ، وملأ الارض كلها امناً وعدلا وخيرا وسلاما ·

٢ ـ وسار الزمن سيرته ، ودارت الايام دورتها ومنهج القرآن فى المنطق والفكر والثقافة هو منهج المسلمين اجمعين ، ومنهج الدعاة من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ·· وهو المنهج القريب الى العقل ، الى الحياة ، الى طبيعة النفس الانسانية ، الى لغة الاقناع والاثارة والتأثير ·

حجج القرآن فى التوحيد ، وفى الدعوة الى اله واحد ، والى الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، هى حجج كل مسلم ، يتأملها ، ويرددها ، ويدعو بها مواليها ، فى كل لحظة وكل حين ، وأدلة القرآن وبراهينه ، فى الارض والسماء ، فى الهواء والماء فى الشمس والقمر والنجوم ، فى الليل والصبح والضحى والاصيل والعشى ، فى كل ما خلق الله من نار ونور ، وضياء ، ودجور ومن صفو وغم ، ومن سبات ويقظة ، ومن سكون وحركة ·· هى أدلة الاقناع عند كل مسلم يدعو الى الله والى الحق والى طريق مستقيم ، وبهذا اصبح المنهج الاسلامى يستند الى القرآن كما يستند الى السنة ، ويعبر عن روح الاسلام الحقيقية ·

٣ ـ وانتشر الاسلام ، ودخلت فيه الامم من الشرق والغرب ، وحملت كل امة معها زادا من ثقافاتها وعلومها ونقلت اليه اشياء من فكرها وثقافاتها ومعارفها وفنونها ·

وحمل المثقفون بفلسفة اليونان ومنطق ارسطو ، اشياء معهم من هذا المنطق ، ومن

تلك الفلسفة ٠

وكان ارسطو الفيلسوف اليوناني القديم ، الذى ظهر قبل الاسلام بقرون كثيرة قد وضع المنطق الارسطى فى قوانين عامة يحددها العقل ، ويرسمها منهجا للفكر الانسانى ، لتعصمه من الزلل فى التفكير ، واعتبر فلاسفة اليونان من بعده وحكماؤها هذه القوانين عامة صالحة للناس فى كل زمان ومكان ، لا يختص بها فريق منهم دون فريق ، ولا جماعة دون جماعة ، ولا امة دون امة ، وقوانين الفكر هى للفكر اينما كان ، وحيثما وجد ، وفى اية بيئة عاش ٠

حمل المثقفون بالثقافة اليونانية ممن دخلوا فى الاسلام معهم اذا فلسفة اليونان وحكمتها ومنطق ارسطو اكبر فلاسفتها ، وترجمت هذه الفلسفة وذلك المنطق الى اللغة العربية ترجمات عديدة ، منذ اوائل عصر الدولة العباسية ، واقبلت مدارس المسلمين العقلية ، تدرس هذه الفلسفة وتدرس ذلك المنطق فى اهتمام بالغ ، وعناية شديدة ، واقبل العلماء والمفكرون على تفسيرها وشرحها ، واقبلت جماعات اخرى على التوفيق بينهما وبين مبادئ الاسلام العظيم وأصوله ، وبدأ يظهر فى الثقافة الاسلامية تيار جديد بجوار التيار الاسلامى الخالص ، الذى وضع القرآن الكريم منهجه ، واقام دعائمه وشيد اصوله ، هذا التيار هو التيار الاسلامى الجديد الذى يلبس ثيابا زاهية من منطق ارسطو ، ومن فلسفة اليونان ٠

لقد اراد بعض من العلماء المسلمين ان يكتبوا عقيدة التوحيد الاسلامية فى صياغة جديدة على ضوء ما عرفوا من صياغة المنطق اليونانى لتصبح هذه العقيدة بصياغاتها الجديدة اقوى واقدر على اقناع العلماء والحكماء بها وعلى الزام الفلاسفة والمفكرين من غير المسلمين بمنطقها ٠

٤ــ وانتقلت هذه الصياغة الجديدة الى العقل الاسلامى عن طريق المدارس والمراكز المبثوثة فى الشرق والتى كانت لا تزال محافظة على صلاتها العقلية بالثقافة اليونانية كمدرسة حران وجند يسابور والاسكندرية ، ثم عن طريق المترجمين السريان والفرس ، وعن طريق الترجمات العربية العديدة لاصول الثقافة والفلسفة الاغريقية ، وشجع الرشيد ، وشجع المأمون ، حركة الترجمة من اليونانية الى العربية ، وآزروها بكل طاقاتهم ، وطلبوا كتب الفلسفة اليونانية من كل مكان ، ودعوا المترجمين لترجمتها وانشأوا دار الحكمة للعمل من اجل ذلك ٠

وكانت جماعات المعتزلة قد قامت فى البصرة وبغداد ، ودرسوا المنطق اليونانى ، وعنوا به عناية كبيرة ، واستمدوا منه ومن الفلسفة القوة على الحجاج والجدل والدفاع عن الاسلام وعلومه

وثقافاته . ومن بينهم بشر ابن المعتمر " ٢١٠ هـ " والنظام " ١٨٠-٢٢١هـ " وابو الهذيل العلاف " ١٣٤-٢٢٦ هـ " . والجاحظ " ١٥٠-٢٥٥ هـ " وسواهم ، كما أستخدموا المنطق الارسطى فى الدفاع عن مذهبهم فى الاعتزال ، واتصل العلاف بالفلسفة اليونانية وقرأها مترجمة ، حتى ليقول النظام : خيل الى انه لم يكن متشاغلا قط الا بها . وكان من أوائل المدرسة البصرية فى الاعتزال ، وكان قد تبحر فى الفلسفة واطلع على ما ترجم منها ، واستخدم المنطق اليونانى فى بحثه عن الحقائق ، ويقول فيه الشهرستانى انه طالع كثيرا من كتب الفلسفة وكان تأثر المعتزلة البغداديين بمنطق ارسطو اظهر من تأثر المعتزلة البصريين وأكثر ، وجاء الفلاسفة المسلمون من مثل الكندى والفارابى وغيرهما فاستخدموا المنطق والفلسفة فى كل شئ ودافعوا عنهما دفاعا حارا ..

٥- وهكذا دخلت الفلسفة اليونانية ، ودخل المنطق اليونانى الى العقل العربى وبهما تأثر واصطبغت بهما طريقة الجدل والبحث والتعبير والاقناع والدفاع عن الدين ، والكلام فى عقيدة الاسلام عند العلماء المتكلمين .

واصبح ذلك التيار الجديد يفرض نفسه على الفكر الاسلامى فرضا ، بحكم التجديد ، وبسبب ما اولاه اياه خلفاء بنى العباس من تأييد ، وبسبب ميل المعتزلة والفلاسفة المسلمين الى المنطق اليونانى هذا الميل الواضح المتميز والبعيد ، اذ ايدوه وكانوا شراحا له ، ومدافعين عنه ، واعتبروه قانون الفكر الخالد وحاولوا صياغة العلوم الاسلامية على ضوئه ، والتوفيق بينه وبين الاصول والقواعد الموروثة عن السلف .

٦- ولكن معظم مفكرى الاسلام رفضوا هذا المنطق ورفضوا هذه الفلسفة اليونانية ، ورفضوا أن يستعان بهما فى صياغة البراهين الاسلامية والادلة الاسلامية على توحيد الله ورسالاته وأصول الدين جملة .

وقد كان للاشعرى والماتريدى وتلاميذهما اثر كبير فى ترويج المنطق اليونانى والدعوة اليه وصياغة القضايا الاسلامية صياغة متفقة مع اسلوبه .

ومذاهب الاشاعرة والماتريدية لا يمثل العقيدة الاسلامية الاولى تمثيلا صحيحا ، فى نظر كثيرين من الفقهاء والعلماء المسلمين الاصلاء ومن بينهم ابن تيمية على الرغم مما اسبغ عليهما قدم العهد من جلالة وهالة ، وعلى الرغم من تلقى الناس لهما بالقبول .

---

(١) المنية والامل للمرتضى .

من اجل ذلك وضع الامام الشافعي منطقا جديدا بكتابته لاول مرة في رسالته في علم الاصول ، حتى ليقول الامام احمد بن حنبل : لم نكن نعرف العموم والخصوص حتى ورد الشافعي ويقول الجويني امام الحرمين : " لم يسبق الشافعي احد في تصنيف الاصول ومعرفتها " ، وفيه يرسم المناهج وينظمها لاستخراج الاحكام من ادلتها ، ويحرر طرق الاجتهاد والاستنباط.

والشافعي يعد بذلك في العالم الاسلامي وفي الدراسات والعلوم الاسلامية ، وفي الفكر الاسلامي ، ندا لارسطو الفيلسوف المتعمق في الدراسات اليونانية . ويقول فيه أحمد ابن حنبل ايضا : الشافعي فيلسوف في اربعة اشياء : في اللغة واختلاف الناس ، والمعاني ، والفقه .

واذا كان منطق القرآن والسنة يعبر عن روح الاسلام وجوهره في اصالة وعظمة وجلال فان المنطق اليوناني ــ الذي حاول فريق من علماء الاسلام الاستعانة به في الدفاع عن دين الله وفي الدراسات العربية الاسلامية ــ هذا المنطق انما يقوم ويعبر عن خصائص اللغة اليونانية التي تخالف لغة القرآن ولغة المسلمين . ولما طبق المنطق اليوناني على الدراسات الاسلامية ادى هذا المنطق الى تناقضات عدة(١) .

اذا كان منطق ارسطو متصلا باللغة اليونانية وقائما على خصائصها مع مخالفة هذا للمنطق الاسلامي ، وقد ردد ذلك ابو سعيد السيرافي "٣٦٨ هـ" في حواره مع متى بن يونس ، هذا الحوار الذي رواه ابو حيان في كتابه " الامتاع والمؤانسة " واصبح القياس الاصولي هو الحجة عند الشافعي وعلماء الاصول المسلمين ، الذين رفضوا الميتافيزيقيا اليونانية لانها مخالفة لالهيات المسلمين .

٧ــ واذا كان هذا الخلاف بين المنطق الاسلامي ومنطق اليونان قد ظهر واضحا في الثقافة الاسلامية وعلومها ، فقد ظهر كذلك بشكل أوضح في الادب وعلوم العربية .

فقد كان في المعتزلة وفي الفلاسفة المسلمين كتاب وادباء وشعراء اخذ منهم المنطق اليوناني مواطن الاعجاب في نفوسهم ، واحتل مكان القبول في افئدتهم وقلوبهم ، ووجدت طوائف اخرى في الكتاب والادباء والشعراء وصاروا حريصين على مطالعة الفلسفة والمنطق بالافادة منهما ، كابي نواس وابي تمام وابن الرومي وغيرهم ، واصبحت القصيدة العربية

---

(١) مناهج البحث عند مفكري الاسلام علي سامي النشار : ص٣٧٨ الطبعة الثانية ــ ١٩٦٧ ــ دار المعارف بمصر .

اما داخلة فى عمود الشعر كقصيدة البحترى ومسلم وابن المعتز ، واما خارجة عن عمـــود الشعر العربى عند النقاد كقصيدة ابى تمام والمتنبى .

وحمل ابن قتيبة فى مقدمة كتابه : " ادب الكاتب " على فلسفة اليونان ومنطقها ، كما حمل عليها البحترى فى شعره ، فقال :

كلفتمونا حدود منطقكم فى الشعر يغنى عن صدقه كذبه

ويقول ابن قتيبة :

" لقد شغفت بالنظر فى النجوم والمنطق والفلسفة طائفة من الكتاب ، وعرفت الكون والفساد والجوهر ، واهملوا النظر فى اللغة وما اليها ، فوضعت لهم كتابى هذا ".

والقياس الذى يشغل جزءا كبيرا من منطق ارسطو اصبح ذا دخل كبير فى كثير مـــن العلـوم .

فالقياس كما كان فى الفلسفة صار فى الفقه وفى اللغة وفى النحو ، ويقول بعض الباحثين أن قول ارسطو " الزمان والمكان كالوعاء للاشياء " اصل لتسمية النحويين المفعول فيه ظرفـا اى وعاء "١" ، واقسام البيان يذكرها الجاحظ فى كتابه " البيان والتبيين " كما ذكرها ارسطو من قبل "٢" .

وقد ثار الجدل حول ما اذا كانت اصطلاحات البلاغة العربية التى ذكرها الجاحظ فى كتابه " البيان والتبيين " قد اقتبسها من كتاب " الخطابة " لارسطو الذى ترجم الى اللغة العربية فى عصر الجاحظ نفسه ام لم يقتبسها منه .

وفى رأيى ان الجاحظ كان مبتكرا فى كل ما وصل اليه من قواعد واصول وضعها للبلاغة العربية فى كتابه " البيان والتبيين " .

٨ــ ولقد جاء فريق من العلماء المسلمين واعتمدوا على المنهج التجريبى وحده فى الحكم على الاشياء وتمييزها ، ومن بينهم جابر ابن حيان "١٩٠ هـ " والحسن بن الهيثم "٤٠٠هـ ١٠٢٠ م " الذى اعتمد على هذا المنطق الاستقرائى وهو المنهج الذى سارت عليه الحضارة

"١" ٨٥ محاضرات جهدى

"٢" ٧١:١ البيان ، ١ : ٣٣ ، ٤٤ الحيوان

الاوروبية الحديثة اليوم واعتمدت عليه اعتمادا كبيرا فى بحوثها وفى كشوفها واختراعاتها ٠

واعتمد ابن خلدون على المنهج التاريخى ، فكشف عن علم الاجتماع ووضع اصوله فى كتابه " المقدمة " ٠ واعتمد علماء الحديث المنهج الاستردادى " التكوينى " واقاموه على اسس علمية دقيقة ، تعرف بعلم مصطلح الحديث ٠ وطرق تحقيق الحديث رواية ودراية هى منهج البحث التاريخى الحديث اليوم ، الذى يتوصل به الى نقد النصوص نقدا داخليا ونقدا خارجيا ٠

وكل هذه المناهج عملت عملها فى مقاومة المنطق القياسى او الاستنباطى منطق ارسطو ومنهجه فى التفكير ٠

٩ـ وجاء فريق من الصوفية وانكروا على المنطق الارسطاليسى منحاه واتجاهه فى التفكير ، وهم الصوفيون الاشراقيون ، وفى مقدمتهم السهروردى الذى قام بمحاولة منطقية جديدة للاختصار منطق اليونان ٠

وان كنا لا نستطيع ان ندخل نقدهم فى المناهج التى تمثل نقد علماء المسلمين لمنطق ارسطو ، لان الصوفية انكرت العقل كأداة ، ولا يقبل العلماء المسلمون وفلاسفتهم طرائق المعرفة لدى الصوفية ، ويرون انها تجارب ذاتية لا تصلح قاعدة أو منهجا للحياة "١" ٠

وهكذا رفض العلماء والفلاسفة المسلمون فى كبرياء منطق أرسطو لانه يقوم على المنهج القياسى ولان هذا المنهج هو روح الحضارة اليونانية القائمة على النظر الفكرى والفلسفى ولم تترك الحضارة اليونانية للتجربة مكانا فى هذا المنهج ، وهى احدى ركائز الاسلام الكبرى ، فالمنهج التجريبى او الاستقرائى هو المعبر عن روح الاسلام ، والاسلام هو تناسق بين النظر والعمل ، ويقيم نظرية فلسفية فى الوجود ، ويرسم ايضا طريقا ناجحا للحياة العملية وهذا المنهج التجريبى الاستقرائى وضعه المسلمون بجميع عناصره ، وعبر من بلاد الشرق الى الاندلس، فاوربا التى بنت حضارتها اليوم عليه ٠

يقول اقبال فيلسوف الاسلام وشاعره فى العصر الحديث : ان آراء بيكون عن العالم اصدق واوضح من آراء سابقيه ٠٠ ومن اين استمد بيكون فى دراسته العلمية ؟ من الجامعات الاسلامية فى الاندلس " والمسلمون هم مصدر هذه الحضارة الاوروبية القائمة على المنهج التجريبى " ٠

---

(١) ٣٧٩ مناهج البحث ـ النشار

١٠ـ على ان الامام الغزالى يعتبر المفكر الاسلامى الكبير الذى مزج المنطق اليونان بعلوم المسلمين ، وكان الغزالى يقول : ان من لا يحيط بالمنطق فلا ثقة بعلومه اصلا .

وكان الغزالى موضع تقدير الامام ابن تيمية لانه عرض مبادئ الاخلاق الاسلامية وشرحها فى جلال وكمال ، وان كان موضع نقده الشديد فى بقية ماعرض له من علوم وابن تيمية غير راض عن طريقة الغزالى فى الاصول ، لانه خلطه بالمنطق والجدل ، واذا كان المنطق عند الغزالى تعصم مراعاته الذهن من الخطأ ، فهل معنى ذلك أن القدماء ممن كانوا قبل الغزالى لم يكونوا بمنجاة من الخطأ ان جميع عقلاء بنى آدم حرروا علومهم بدون المنطق اليونانى .

وممن هاجم الغزالى فى منهجه كل من الامام الطرطوشى "٥٢٠ هـ" والمازرى ، وابن الصلاح "٦٤٣ هـ" وابن تيمية "٧٢٨ هـ" والنواوى "٩٣١هـ" .

١١ـ وهنا نعرض للامام الكبير شيخ الاسلام ابن تيمية وموقفه العظيم من الدفاع عن الاسلام وعن المنهج الاسلامى القرآنى العظيم فى البرهان والاقناع .

لقد نقد الامام ابن تيمية " الاثنين ١٠ ربيع الاول ٦٦١ هـ : ٢٢ من يناير ١٢٦٣م ـ ٢٠ من شوال ٧٢٨ هـ ٢٩ من اغسطس ١٣٢٧ م "المنطق الارسطى وهدمه هدما قويا . فذهب الى ان من الخير للاسلام ان لا تستعمل فى علومه هذه المصطلحات فى الفلسفة والمنطق التى لم يعرفها السلف الصالح . وينكر الامام ابن تيمية استطاعة الحد فى المنطق الارسطى الوصول الى كنه الشئ او ماهيته ، ويرى ان عمل الحد ووظيفته التمييز بين المحدود وغيره ، اما تصور المحدود فلا يستطيع الحد القيام به ، فالحد عنده مجرد شرح للفظه وعلى ذلك سار جمع من مناطقة انجلترا اليوم . وكذلك نقد ابن تيمية القضايا الارسطالية ، وذهب الى التجربة والاستقراء وقياس التمثيل . ورأى ان القرآن ـ وهو كتاب الوجود عند المسلمين هو الذى يمدنا بصور الاستدلال ، او هو الذى يقدم لنا الميزان ، ويقدم لنا الاقيسة البرهانية كقياس الاولى ، وقياس الآية او العلامة .

وللامام ابن تيمية فى نقد المنطق الكتب الاتية :

١ـ الرد على المنطقيين طبع فى بومباى عام ١٣٦٨ : ١٩٤٧ ، وهو كتاب قيم من عيون التراث الفكرى الاسلامى .

٢ـ كتاب موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، وقد طبع فى القاهرة عام ١٣٢٢هـ .

٣ـ منهاج السنة ـ طبع فى القاهرة ايضا عام ١٣٢١ هـ .

٤ـ نقض المنطق وقد نشره حامد الفقي في القاهرة ٠

٥ـ مجموعة الرسائل الكبرى وقد طبعت في القاهرة ـ وفيها العديد من آرائـه فـي المنطـق ٠

هذا الى فتاوى ابن تيميـة وهي مشهورة ٠ ويتابع ابن تيمية في نقد المنطق الارسطـي تلميذه ابن القيم "٧٥١ هـ" والصنعاني "٨٤٠ هـ" والسيوطي ٩١١ هـ ٠

١٢ـ ومن هنا ندرك خطر المحاولة التي كانت تريد ان تفرض بالقوة او بالاقناع منطـق اليونان الارسطي على الثقافة الاسلامية والعربية ، وندرك جهود علمائنا الاصلاء الائمة فـي مقاومة هذا الخطر منذ العصور الاولى للاسلام حتى العصر الحديث ٠ ومن هنا كذلك ندرك مدى ما صنعه السكاكي حين اخذ جميع قضايا البلاغة العربية التي كشف عنها الامام عبد القاهـر الجرجاني "٤٧١ هـ" في كتابيه " اسرار البلاغة "و"دلائل الاعجاز" بذوقه العربي الاصيل ، فصاغها السكاكي في كتابه المفتاح صياغة منطقية بعيدة عن الاصالة والذوق العربي السليـم ، وندرك اخيرا خطر ما صنعه قدامة بن جعفر في كتابه " نقد الشعر" ٠ من الرجوع الى ارسطو في كتابه " فن الشعر" والى ما قرره من احكام نقديـة ٠

١٣ـ ويجيء العصر الحديث ويأخذ الادب الغربي يفرض نفسه على الادب العربي فـي اخيلته ومعانيه واغراضه واجناسه ومذاهبه الادبيه ٠

ثم يفرع النقد الغربي للادب الحديث، ويأخذ النقاد العرب المعاصرون عن النقـد الغربي الكثير من بحوثه وموضوعاته دون اصالة ودون تمييز وذكاء وفطنة كما فعل في آخر الشـوط سهير القلماوي ومحمد غنيمي هلال ٠

ويفرض المستشرقون على الادب العربي الحديث دراسة تاريخ اداب اللغة العربية دراسة تقوم على المنهج الذي وضعه لهذه الدراسة كارل بروكلمان في كتابه المشهور" تاريخ الادب العربي " "١" وتقطع كليات اللغة والاداب في العالم العربي والجامعات العربية صلاتهـا بالمنهج العربي القديم في دراسة الادب ، وهو منهج الجاحظ والمبرد وابن عبد ربه ، كمـا قطعت صلاتها بالمنهج العربي القديم في دراسات النقد ، وهو منهج ابي هلال العسكري في كتابـه الصناعتين وابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة ، ومنهج الآمدي في كتابـه

---

(١) وعلى هذا المنهج كتب أحمد امين كتابيه : فجر الاسلام وضحى الاسـلام ٠

الموازنه ، ومنهج القاضى الجرجانى فى كتابه " الوساطة " ، ومنهج ابن رشيق فى كتابه " العمدة " وابن الاثير فى كتابه " المثل السائر " .

يحاول المستشرقون ان يقولوا فى كتبهم وعلى ألسنه دعاتهم فى البلاد العربية للشباب العربى : ان علم التصوف الاسلامى اخذ من الافلاطونية الحديثة او من المذاهب المسيحية ، وان علم البلاغة العربية اخذ من كتاب الخطابة لأرسطو ، وان علم الفقة الاسلامى اخذ من القانون الرومانى الذى وضعه الامبراطور الرومانى جوستنيان .

وهكذا يريدون ان يحطموا الكبرياء العربى ، وشخصية الثقافة الاسلامية الرفيعة ، ومعنويات الشباب العربى المسلم ، وان يبعثوا فى البلاد العربية شعورا عميقا بان العالم الاسلامى مدين فى القديم للثقافة اليونانية ، ومدين فى الحديث للثقافات الغربية ، كما هو مدين للغرب اليوم فى مجال العلوم والصناعات والكشوف الحديثة .

لذا ونحن ننادى فى الشباب العربى المسلم بأن يرفضوا هذه الدعايات الغربية المقوتة وبان يرفضوا مناهج الغرب فى دراسة العلوم العربية والاسلامية ، وان يعود الى مناهج اسلافنا القدماء ، ففيها الاصالة والعمق والسمو والاحاطة والكبرياء والبقاء ..

غد الاسلام

تمهـــيد :

١ ـ لماذا نترك الأمس والحاضر ، ونتحدث عن الغد ؟

٢ـ الغد من نسج حاضرنا ، وسوف يكون صدى لماضينا ، الذى صنع مسيرة الاســـلام الكبـــرى •

٣ـ تخطيط أوربا وعملها الدائب فى القديم والحديث من أجل ايقاف الزحف الاسلامى ، والقضاء على الاسلام وعلى بقائه كقوة عالمية فعالة فى الحيــاة •

٤ـ انتصارات الاسلام على مرور الأيــام •

٥ـ حضارة الاسلام صنعها المسلمون ، وهى اضخم معجزات التاريخ الاسلامى والعالمى واكبر منجزاتـــه •

٦ ـ لن يطفئ الغرب نور اللــه •

٧ـ الاسلام عقيدتنا ووسيلتنــا الى صنع الغد ، عن طريق التربية الاسلامية الصالحة •

٨ـ الاسلام ليس بمعزل عن الحياة ، بل هو دين ودولة ، عقيدة وشريعة •

٩ـ غدنا سوف يحيا فى ظل الاســلام ويقوم على يد المسلم الحقيقى •

١٠ـ هل يعود الاسلام فى الغد قوة عالمية ثالثة ، خطأ هذه النظرية •

١١ـ عودة الاسلام فى الغد قوة وحيدة فى الحياة ، ا و لن يكون فيه صوت أعلى من صوته ، باذن اللــه •

١٢ـ حضارة الغرب فى طريقها الى الانهيار وسيكون الاسلام هو الوارث الوحيد لها •

١٣ـ عقبات فى وجه البعث الاسلامى الجديد :

أ) الحضارة الغربية •

ب) الغزو الفكرى المسيحى للشرق الاسلامى

جـ) الاستعمار القديم والجديد

د) نشاط مراكز التخريب فى بلادنـا :

١ـ الصهيونيـــه

٢ـ الماركسيـــه

٣ـ الاستشراق

٤ـ التبشـــير

ولماذا نتحدث عن الغد ، نتحدث عنه :

١ـ لانه التاريخ المفتوح الممتد ، فلم يعد الزمان مقسوما الى : ماض وحاضر ومستقبل ، بل هو تطور متصل ، يكمل غده حاضره وماضيه على مرور الأيام ، والحياة وحدة متصلة ، أصولها وفروعها من جذورها الضاربة فى أعماق الماضى البعيد .

٢ـ ونتحدث عنه لانه الزمن الذى سيحياه ابناؤنا وأحفادنا من بعدنا ممن نريد لهم حظا أسعد من حظنا .

٣ـ ولأن الانسان كلما ضاقت به الهموم ، وأحاطت به الأزمات ، وأدركه الملل من واقع سيئ ، تمنى الخروج منه الى غد افضل ، يتمناه ، ثقة بروح الله .

٤ـ ولأن تخطيط الانسان المفكر للغد ـ بقدر استطاعته ـ امر ممكن ، والأمم الكبيرة تخطط للمستقبل ، وترسم الصورة التى تريدها له ، وفى الحكمة المأثورة : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا "، ومن اجل ذلك قامت وزارات للتخطيط فى معظم الدول اليوم .. وعندما أصدرت الحكومة البريطانية وعد بلفور ، فى الثانى من نوفمبر عام ألف وتسعمائه وسبعة عشر ، بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين[1] كانت انذاك تعنى ما تقول وتريده ، وتعرف على وجه الاجمال الصورة التى سوف تؤول اليها حال الشرق العربى بعد صدور هذا الوعد ، وبدء العمل من أجل تنفيذه ، وهى الصورة التى نراها اليوم ، صورة العدوان والتشريد ، وحياة اللاجئين والخيام السود ، صورة اضطراب أمر المسلمين المعاصرين ، حتى لم يعودوا يعرفون شيئا غير حاضرهم الذى يعيشونه ، ولا يفكرون فى سواه ، ولا يتدبرون أمر غدهم المرتقب ، وهذه شخصية عربية كبيرة يسألها صحفى غربى[2] عن صورة الحياة التى سوف يكون عليها العرب فى نهايات القرن العشرين كما يتخيلها ، فكان الجواب : لا أعرف ، فلقد عشنا نحو العشرين عاما فى مشكلات وأزمات ، ومجابهه قاسية للأحداث ، مما لم نعد ننظر معه الى شئ آخر .

٥ـ ونتحدث عن الغد كذلك ، لأننا نحلم ، ولا نزال نحلم ، باليوم الذى نرى الاسلام

---

(١) ١٢ـ١٩ فلسطين فى ضوء الحق والعدل ـ هنرى كتن ـ ترجمة وديع فلسطين .
(٢) جريدة السياسة الكويتيه ـ عدد الخميس ٢٢ من أكتوبر ١٩٧٠ .

فيه يتولى القيادة في عالمنا المضطرب المشئوم ، ونرى المسلمين وقد عاد لهم ماضيهم المشرق العظيم ، ماضي أمة كانت تخفق أعلامها في الشرق والغرب وتسير جيوشها المظفرة من نصر الى نصر ، امة كانت لها السيادة والكلمة النافذة في الأرض ، فالشمس لا تغيب عن أرضها ، والسماء مملوءة بألويتها ، ويجلس أحد خلفائها ، هارون الرشيد في قصره في بغداد عاصمة الاسلام ، ودار السلام ، ويرنو الى الأفق ، فيرى غمامة تسير في السماء ، فيناجيها في عزة المؤمن ، وجلال المسلم : " أمطري أين شئت فسوق يأتيني خراجك " .

لذلك كله ، نتحدث عن الغد غد الاسلام ، وفي قلوبنا جلاله ، وحول أعيننا جماله .

والغد يمكن أن يكون شيئا أفضل من الحاضر ، لأن تبدل الحال ليس بالأمر البعيد عن حدود الامكان ، وليس بالشيء الذي تعجز عنه قدرة الانسان .

ان ذلك ممكن ، ممكن باذن الله .. وأمامنا المثل من التاريخ تاريخنا المجيد العريق .

كان جهاد الرسول الأعظم وأصحابه من أجل غد الاسلام حقيقة كبرى لم يحدث مثلها في التاريخ .. ومع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان فردا وكان أصحابه قلة صغيرة مؤمنة ، وعزلا من السلاح ، فلقد قاوموا غرور القوة ، وغطرسة السيطرة ، وجبروت الوثنية ، وانتصروا ، وأسسوا للاسلام دولة فتية ، دولة فتية دولة صغيرة لم تكن تملك السلطان ولا المال ولا السلاح ، ولا سببا من أسباب الحضارة ، ولكنها اخذت تنازل اعرق وأقوى امبراطوريتين في العالم آنذاك الفارسية في الشرق ، والرومانية في الشمال والغرب .

وانتصر المسلمون في معركتهم مع جيوش كسرى الكبيرة ، انتصارا ساحقا مذهلا .

وانتصروا كذلك في معاركهم الضخمة مع قيصر امبراطور الروم ، وهزموا جيوشه في كل مكان ، في الشام ومصر ، وأفريقية ، وجزر البحر الابيض المتوسط ، أرض الروم .. ثم نازلوها في سهول الأناضول ، ووقفوا في مواجهة عاصمتهم بيزنطة أو القسطنطينية على شواطئ البوسفور ، ولم يعقهم البحر ، فقاد قواد هم الأساطيل الى الدردنيل ، لتكمل حلقة الحصار على العاصمة الخالدة المنيعة ... وقفت أمامها قوة الروم البحرية العنيدة ، فكانت عاملا فعالا في تأخير الفتح وتعويق الزحف ، وإرجاء النصر ، وظلت بيزنطة تعيش دولة بلا امبراطورية ... وشعبا يتملكه القلق على مصيره قرونا طوالا ، يعتمد على أسطوله البحري ، ويجمع حوله أوروبا المسيحية المذعورة من الاسلام ، ويكيد للمسلمين ماشاء له الكيد والتعصب الذميم .

ويخطط للمؤامرات الجسام فى بلاده .. ونحن نعرف أنه كان أحد القوى الكبرى المحركة للأحداث فى الحروب الصليبية[1] ، وكان كذلك وراء التتار يهلل لهم ويؤازرهم ويزين لهم صنع ما صنعوا من تدمير فى العالم الاسلامى[2] ، وحسبنا دليلا على ذلك ما يرويه التاريخ من أن هيتون ملك أرمينية المسيحى كان العامل الرئيسى فى اقناع مانجوخان (٦٤٦ـ٦٥٥هـ ١٢٤٨ ـ ١٢٥٧م) بارسال تلك الحملة التى دمرت بغداد بقيادة هولاكو[2] (عام ٦٥٦ هـ : ١٢٥٨م) ، وأن هولاكو التترى زوج ابنه من ابنه امبراطور القسطنطينية المسيحى[3] . ومع ذلك كله فقد أكمل المسلمون الحلقة ، ودخلوا أوربا من الجنوب الغربى وعاشوا فى الأندلس ثمانية قرون ، وهى أطول مدة عاشها شعب فاتح فى بلاد بعيدة ، ثم مدوا هيمنتهم الى جنوبى ايطاليا حتى بلغوا ضواحى روما ، ولم يرجعوا عنها الا بعد أن تعهد لهم البابا يوحنا الثامن أن يدفع الجزية[4] . ومدوا كذلك سلطانهم الى جنوب وغرب فرنسا ، ووقفوا تجاه باريس ، وعند قرية " بواتييه " هزم القائد العربى المسلم ، عبد الرحمن الغافقى وجيشه ، فقتل فى أرض المعركة وتقهقر الجيش الفاتح عائدا الى معاقله فى أرض الاندلس ، وذلك فى السابع من شعبان عام مائة وأربعة عشر من الهجرة (الثانى من أكتوبر عام ٧٣٢ م) . وتأخر بهذه الهزيمة الفتح الاسلامى لأوربا من الغرب ، كما [illegible] من الشرق أيضا .. ويعلق مفكر فرنسى معاصر على نتائج هذه المعركة ، معركة بواتييه ، أو بلاط الشهداء ، وهو مسيو كلود فارير فيقول : " كانت فاجعة من أشأم الاحداث التى نكبت بها الانسانية فى القرون الوسطى وكان من آثارها أن غمرت العالم الغربى موجة من التوحش ، لم تبدأ بالتبدد الا فى عهد النهضة ، هذه الفاجعة التى أريد أن أبقت ذكراها ـ هى هذا الانتصار البغيض ، الذى ظفر به أولئك البرابرة من الافرنج ، بقيادة شارل مارتل .. ففى ذلك اليوم المشئوم تراجعت المدنية ثمانية قرون الى الوراء . ويكفى المرء أن يطوف بفكره فى الاندلس وحضارتها الخالدة ، ليعرف : ماذا عسى تكون قد بلغته فرانسا منذ ذلك العهد

---

(١) راجع : الحركة الصليبية ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ـ فى جزءين .

(٢) ٢٥٢ الدعوة الى الاسلام ـ ارنولد وتوماس ـ ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وراجع : المغول بين المسيحية والاسلام ، ومغول ايران وهما لمصطفى بدر .

(٣) ٢٦٠ المرجع نفسه .

(٤) حضارة العرب غوستاف لوبون ، وكتاب المسلمون فى صقلية وجنوبى ايطاليا لأحمد توفيق المدنى ، والمسلمون فى صقلية تأليف ماريو مورينو طبع بيروت .

السحيق ، لو أنقذها الاسلام ٠٠٠"

ويقول الفيلسوف الالماني نيتشة : "حرمتنا المسيحية من ميراث العبقرية القديمة ، ثم حرمتنا بعد ذلك من الاسلام ، لقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة ، مدنية الأندلس العربية ، ولماذا ؟ لأنها نشأت من أصول رفيعة ، ان تلك المدنية الاسلامية لم تنكر الحياة ، ولقد قاتلها الصليبيون ، وكان أولى بهم أن يسجدوا لها ، وما مدنيتنا في هذا القرن الا واهية بجانب مدنية الاسلام" ٠

ولم يستأنف الاسلام بعد ذلك مسيرته الكبرى في قلب أوربا الا على يدي السلطان المسلم محمد الفاتح العثماني ، الذي احتل القسطنطينية ، ودك حصونها في اليوم الثلاثين من مايو عام ألف واربعمائة وثلاثة وخمسين للميلاد (٨٥٧ هـ) ٠ ودخلها من باب القديس رومانوس ، ممتطيا صهوة جواده ، في موكب جليل ، وسار الى كنيسة سانت صوفيا فأذن من فوق قبابها للصلاة ، وصارت مسجدا جامعا من أعظم مساجد الاسلام ، وقتل يومئذ الامبراطور قسطنطين ، وحاول البابا بيوس الثاني أن يجمع شمل أوربا ، لقتال المسلمين وطردهم من المدينة ، ولكنه فشل في ذلك ، وساد الذعر يومئذ شعوب المسيحية جميعها ، ووقفت أمام الاسلام وجها لوجه ، تعمل بكل طاقاتها ، لتحسر موجته العالية عنها دون جدوى ٠٠

لم يكن اذا من المحال تبدل الحال ، حال العرب بالاسلام ، على يدي صاحب الرسالة الأعظم وأيدي خلفائه من بعده ٠

وكذلك لن يكون تبدل حال المسلمين المعاصرين بالاسلام أمرا عسيرا الامكان مرة أخرى ٠

ولقد يهيمن علينا اليأس ، ونسرف في القنوط والتشاؤم ، وتخلد الى الكسل والراحة ، قائلين ومرددين :ان ماحدث بالأمس لا يمكن أن يحدث مثله في يوم من الايام ٠

وأقول : كلا ، سوف يعلمون ثم كلا سوف يعلمون ، فما حدث كان معجزة للاسلام، والاسلام باق أبدا الى قيام الساعة ، وليس من المحال أن ينتفض ويستيقظ المؤمنون به مرة أخرى ، غدا أو بعد غد باذن الله ٠

يقول سارتون[1] المستشرق الامريكي ان شعوب الشرق الأوسط ـ وهو اصطلاح للاوربيين ،

---

(١) ٦٩ الثقافة الغربية في رعاية الشرق الاوسط لسارتون ، ترجمة عمر فروخ ، بيروت ١٩٥٢ ٠

يريدون بهم الشعوب العربية المسلمة ، ويغفلونه ، حتى لا يجرى ذكر الاسلام ولا المسلمين على السنتهم ، لأنهم لا يحبون ذكرهما ابدا - قد قادت (هذه الشعوب) العالم فى حقبتين طويلتين : أولاهما قبل أيام اليونان ، وذلك طيلة ألفى سنه ، وثانيتهما فى العصور الوسطى - وهو كذلك أصطلاح غربى يريدون به عصر حضارة الاسلام وسيادة المسلمين - مدة أربعة قرون على الأقل ، وانظروا الى سارتون يقلل ما أمكن من هذا الزمن ، وهو على الحقيقة نحو تسعة قرون ، ويتابع سارتون كلامه فيقول : وليس ثمة ما يمنع تلك الشعوب من أن تقود العالم مرة ثانية ، فى المستقبل القريب أو البعيد .

على أنه لا يصح لنا بحال من الأحوال أن نتناسى أهداف أوربا التى تعمل لها فى كل وقت ، وكل مكان ، وتتركز هذه الأهداف فى أمر واحد ، هو العمل من أجل القضاء على الاسلام والمسلمين فى العالم ما أمكنها العمل من أجل ذلك الهدف .

ان بقاء الاسلام والمسلمين أمر تكرهه أوربا كل الكراهيه ، وكذلك قيام بعث اسلامى جديد ، لانه شىء ترهبه كل الرهبة ، شرقها وغربها ، وامتداد الشرق والغرب ، فى ذلك سواء .

انها تقدم الخوف من الاسلام ، والحذر من انطلاقه ، على كل خوف وكل حذر .

وهى - كما يقول العقاد[1] - مشغولة بأمر الاسلام مشغولة من يشعر بيقظته ، ويترقب ماوراء هذه اليقظة ، فلا يخرجها لحظة من حسابه .

ومن أجل ذلك تجمعت أوربا فى الماضى ، كما تتجمع اليوم ، وتحالفت شعوبها المتناقضة المختلفة ، كما تتحالف اليوم ، فى سبيل ايقاف هذه اليقظة ، ومقاومتها بكل ماتستطيع .

ومن هنا نرى الشرق والغرب الأوربى ، وامتداد الشرق والغرب فى كل مكان ، يخططون للمستقبل القريب والبعيد ، تخطيطا يحول دون قيام تلك اليقظة مرة أخرى ..

وهذه سلسلة التاريخ القديم والحديث ، مما هو معروف لنا جميعا ..

الحروب الصليبية التى امتدت نحو قرنين من الزمان .

التخطيط لغزو التتار للعالم الاسلامى ، ولتدمير مراكز الحضارة الاسلامية فى العالم بأيدى التتار ، مما نجم عنه سقوط بغداد فى يوم الأحد الرابع من صفر عام ستة وخمسين وستمائه من الهجرة (العاشر من فبراير عام ١٢٥٨ م) بتحريض العالم

(١) ١٧٠ الاسلام فى القرن العشرين - العقاد - طبعة ١٩٥٤ .

المسيحى[1] .

سقوط الأندلس فى الحادى والعشرين من المحرم عام سبعة وتسعين وثمانمائة (١٤٩٢ م) .

كشف البرتغال لطريق رأس الرجاء الصالح عام تسعمائه وأربعة من الهجرة (١٤٩٨ م) بارشاد ابن ماجد الربان البحرى العربى المسلم ، وتحول التجارة العالمية مع الهند الى هذا الطريق ، وافتقار شعوب العالم العربى ، وهى شعوب الشرق الأوسط التى كانوا يجبونها من هذه التجارة أثناء مرورها من قبل بلدانهم من أيديهم .

ثم الحملة الفرنسية على الشرق العربى (١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م) .

ظهور المسألة الشرقية ، وتخطيط الغرب لنهاية الخلافة العثمانية والامبراطورية العثمانية التركية .

قيام عصر الاستعمار الأوربى ، هذا الاستعمار الذى دمر العالم الاسلامى ، واحتل أراضيه ، واستولى على ملاكيه وثرواته الممتدة فى كل مكان ، ووضع يديه على كنوزه وثرواته وتراثه وحضارته ، وفرض عليه الحضارة الغربية فرضا ، وأجبره على اتباعها اجبارا بحكم القوة والسيادة ، واخذ يزيل معالم الحضارة الاسلامية ومنهجها وأسلوبها من كل بلاد الاسلام شيئا فشيئا .

وما قيام اسرائيل فى قلب العالم العربى ، وعلى رقعة جليلة من أعز بلاد المسلمين الا على آخر ، من هذه السلسلة الضخمة من سلسلة لأحداث والمؤامرات التى صنعها الغرب وأحلافه من أجل القضاء على الاسلام والمسلمين - على امتداد التاريخ .. وهى محاولات جديدة قديمة ، محاولات مستمرة من أجل الوقوف فى وجه التيار الاسلامى ، وفى وجه شعوبه والمؤمنين به .

ولكن ربك لهم بالمرصاد ، فعلى مرور الأيام والأجيال لم يخلد الاسلام وأهله الى الهوان ، ولا الى مشيئة الوثنية والوثنيين وحلفائهم أبدا ، لقد سار شامخ الرأس ، وضاح الجبين يبنى الحياة ويصنعها ، يبدل الهزيمة نصرا ، يطلع من ظلام الليل البهيم فجرا وفجرا ..

---

(١) ٢٤٢٠ الدعوة الى الاسلام - ارنولد وتوماس ترجمة حسن ابراهيم وعبد المجيد عابدين .

انتصر فى معركة حطين الخالدة على جيوش الصليبيين القوية العتيدة (فى السبت الخامس والعشرين من ربيع الثانى ٥٣٨ هـ ـ الخامس من يوليو ١١٨٧م) ، واستعاد بعدها بيت المقدس من أيديهم ، بعد احتلالهم الغاشم لها ، احتلالا دام نحو نصف قرن من الزمان (٤٩٢ ـ ٥٣٨هـ : ١٠٩٩ـ١١٤٤م) .

وانتصر فى معركة المنصورة الكبيرة (٦٤٨ هـ ـ ١٢٥٠ م) ، وهى التى أسر فيها لويس التاسع ملك فرانسا ، وهزم جيشه هزيمة مروعة .

وانتصر فى معركة عين جالوت العظيمة على التتار (فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ٦٥٩ هـ ـ ١٢٦٠ م) .

وفتحت القسطنطينية فى الثلاثين من مايو عام ثلاثة وخمسين واربعمائه وألف للميلاد (٨٥٧ هـ) .

وانتشر الاسلام فى كل مكان ، فى الهند والصين ، وجزر المحيط الهادى ، وفى افريقية وأوربا نفسها ، انتشارا هائلا كبيرا .. واخذت الشعوب تدخل فيه بطريقة جماعية غير مألوفه .

ففى عام ٣٠٩ هـ (ثلاثمائه وتسع للهجرة) :٩٢١ م اتصل ملك الفولجا بالخليفة العباسى المعتذر بالله ، وبعث اليه المقتدر من يرشده الى الاسلام ، وأسلم هو وشعبه .

وفى عام ثمانية وثمانين وثلاثمائه للهجرة (٩٩٨م) عرض أهل البلغار على الخلافة العباسية رغبتهم فى دراسة الاسلام ليدخلوا فيه ، ولكن باباوات أوربا سبقوا المسلمين اليهم ، فاعتنقوا المسيحية .

وفى عام ستمائه وواحد وثمانين (١٢٨٢ م) اسلم أحد سلاطين المغول بأرض فارس ، وهو تكودار خان (٦٨١ ـ ٦٨٣ هـ : ١٢٨٢ ـ ١٢٨٤ م) وذلك فى عهد السلطان قلاوون بمصر (٦٧٨ ـ ٦٨٩ هـ : ١٢٩٠ م) ، كما ذكر القلقشندى[1] .

وفى الرابع من شعبان من عام ستمائة وأربعة وتسعين (التاسع عشر من يونيو ١٢٩٥ م) اعتنقت الاسلام شعوب المغول فى عهد ملكهم غازان خان ، وصار هو الدين الرسمى لدولتهم ، ودخل فيه يوم واحد من وجوههم مائة الف او يزيدون ، وباسلامهم أخذ العالم الاسلامى يسترد

---

(١) ٦٥،١ ـ ٦٨ ، ٧ : ٢٣٧ ـ ٢٤٢ صبح الاعشى ، وراجع : المغول بين المسيحية والاسلام والمغول فى ايران وهما لمصطفى طه بدر .

جانبا من أمنه وطمأنينته على حاضره ، وبدأ العلماء المسلمون يبنون من جديد مراكز الحضارة الاسلامية التى سبق تدميرها ، وأخذ ملوك المغول يرفعون المظالم عن كاهل الرعية ، يكفرون بذلك عما قدموا من سيئات فى حق الاسلام وشعوبه ، وباسم الاسلام ضم تيمور لنك بعد ذلك البلاد الاسلامية الى ملكه ، وان كانت حروبه قد دمرت مرة اخرى المراكز الجديدة للثقافة الاسلامية ، كما دمر الاتراك فى فتوحاتهم ما نشأ من مراكز اخرى ، ولكنهم حملوا مشاعل الاسلام الى قلب أوربا ، وبلغوا رسالته الى العالم المسيحى كما حملها الغزنويون من قبل الى الهند والصين ، وفى عام ألف وثمانمائه وثلاثة وستين كانت معركة تركيا الفاصلة مع الغرب أمام أسوار فينا ، حيث أرتدت جيوشها مهزومة بعد الحصار الطويل الذى كانت قد فرضته على المدينة .

ومع ما أصابها من قبل ويصيبها بعد من هزائم ، فقد بقيت حصنا للاسلام ، ودرعا يحمى حوزة المسلمين ، وما موقف السلطان عبد الحميد من الصهيونية ، وحسبه ذلك فخرا عنا ببعيد ..

ذهب اليه وفد يهودى من جمعية احباء صهيون وعرضوا عليه بواسطة رئيس وزرائه تحسين باشا - عروضا كثيرة مغرية ، هى :

١ - يتعهدون بسداد جميع ديون الخلافة ، البالغة مائه وثلاثة وثلاثين مليون ليرة انكليزية .

٢ - وبتأسيس أسطول بحرى تجارى للدولة بتكلف مائه وعشرين مليون فرنك فرنسى .

٣ - وبتقديم قرض للخلافة بمبلغ خمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فائدة ! .

على أن تسمح الخليفة لليهود بانشاء مستعمرة لهم بالقرب من بيت المقدس ويدخول فلسطين فى أى يوم يشاءون ايام السنة -

وكان جواب الخليفة المسلم هو ما نصه يا تحسين ، قل لهؤلاء اليهود الوقحين ما يلى :

١ - ديون الدولة ليست عارا عليها ، فغيرها من الدول مثل فرانسا مدينة ، وذلك لا يضيرها .

٢ - ليحتفظ اليهود بأموالهم فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمى وراء حصون بنيت بأموال اعداء الاسلام .

٣ — بيت المقدس افتتحها للاسلام عمر بن الخطاب ، ولست مستعدا لان أتحمل في التاريخ وصمة بيعها لليهود ، ولا لخيانة الأمانة التى كلفنى المسلمون بحملها .

٤ — وأخيرا ، مرهم فليخرجوا من عندى ولا يحاولوا بعدها مقابلتى ، أو الدخول الى هذا المكان أبدا ، وخرج اليهود ليأتمروا مع الاستعمار على السلطان عبد الحميد ، فقامت الثورة عليه ، وأقصى عن عرش الخلافة ، وكانت الأموال التى أنفقوها فى هذا المضمار هى السبب الرئيسى لكل ماحدث ، ولكنه لقى ربه راضيا مرضيا .

وما أكثر ما صادف الاسلام من انتصارات وهزائم ممن آمال وآلام ، من أفراح وأحزان ومع المحن التى نزلت بشعوب الاسلام ، فلا تزل أوربا خائفة من يقظة المسلمين ، ومن قيام انطلاقة جديدة فى بلاد الاسلام ، يقول غوستاف لوبون : " الحق أن اتباع محمد ظلوا اشد من عرفتهم أوربا من الاعداء ارهابا عدة قرون ، وعندما كانوا لا يرهبوننا بأسلحتهم كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العربية السامقة ، ونحن لم نتحرر من نفوذهم الا بالأمس" .

وهذا بترارك الشاعر الايطالى فى القرن الرابع عشر الميلادى يصيح فى قومه قائلا : يا عجبا " !! لقد استطاع شيشرون أن يكون خطيبا بعد ديموستين (٣٨١ـ ٣٢٥ ق م) واستطاع فرجيل أن يكون شاعرا بعد هوميروس (عاش فى القرن التاسع ق م) ، فهل قدر علينا الا نؤلف بعد العرب لقد تساوينا نحن والاغريق وجميع الشعوب بل سبقناها أحيانا ، الا العرب .. فيالعبقرية ايطاليا الخاملة الخامدة .. " .

وهذا بروتز مؤرخ الحروب الصليبيه يقول :
ليس فى وسع الأدب الأوربى لذلك العهد — عهد حضارة الاسلام — أن يقدم مثالا يفضل مؤلفات العرب ، ويكفى فى هذا تصفح ما خلفه المؤرخون العرب ، ومقارنة ذلك بأحسن ما انتجه فن التاريخ فى أوربا [1] .

وهذا فيكتور هوجو شاعر فرنسا فى القرن التاسع عشر الميلادى يقف مذهولا مبهورا أمام حضارة الاسلام فى الاندلس ، ممثلة فى أثر من آثارها ، وهو قصر الحمراء ، الذى ظل مأخوذا بعظمته ، مما صوره فى احدى قصائده الخالدة .

ويقف اقبال شاعر الاسلام على اطلال الحضارة الاسلامية فى جزيرة صقلية ، ويغلبه

---

(١) ٢١ تاريخ الادب الجغرافى العربى لكراتشكوفسكى — ترجمة ونشر جامعة الدولة العربية .

التأثر ، فيبكى ويقول من قصيدة له :

" .. ابك أيها الشاعر دما لا دمعا فهذا هو مدفن الحضارة العربية " .

وتدمير أوربا لمعالم الحضارة الاسلامية فى داخل وخارج بلادها ، رغبة منها فى القضاء على التراث الاسلامى العريق ، أمر واضح معروف .

وهذه هى نفسية أوربا وحقدها على الاسلام وشعوبه ، وفزعها وقلقها الدائم خوفا من قيام بعث جديد فى العالم الاسلامى .

انها ترهب الأسد مكبلا بالاغلال ، ومع ذلك تعمل بكل طاقاتها لمنع يقظته ، وليبقى راضيا باغلاله التى صنعتها هى بيديها له ..

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ، ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[(١)] .

وأعجب العجب أن يمد الغرب المسيحى يديه الى الوثنية المادية ، والى الوثنيات الاخرى ، يستعين بها فى محاربة الاسلام ، وفى القضاء عليه فى بلاد ، وفى بلاد كانت اسلامية آمنة ، مثل القرم ، والقوقاز ، وبخارى ، وسمرقند ، وخوارزم ، ومثل الفلبين ، وزنجبار وموزمبيق ، وغيرها ، ثم يمد يديه كذلك الى الصهيونية يوازرها ، ويؤازرها معه ، كل معاد للعرب وحاقد على الاسلام[(٢)] ، من اليساريين وغير اليساريين على السواء . وهذا كاستيرو ينصح لسفير الاسرائيلى فى بلاده ، كما ذكرته صحف كوبا وأذاعتها ، وترجمته عنها صحفنا العربية ، فيقول له :

" .. على اسرائيل الا تترك الحركة الفدائية تتخذ طابعا اسلاميا دينيا ، حتى لا يجعل من حركتهم شعلة من نار الحماس الدينى ، مما يجعل من المستحيل على اسرائيل أن

---

(١) ٣٢ و ٣٣ سورة التوبة .

(٢) غرض الصهيونية العالمية هو تمييع التراث العربى والاسلامى فى منطقة الشرق الاوسط على الرغم من تمسكها هى بتراثها الدينى الاسرائيلى (الصفحة الثالثة من جريدة الحياة البيروتية عدد ١٥/١١/١٩٧٠) .
وليس فى العالم كله دولة تخشى التحولات الاسلامية بمثل ما تخشاه روسيا لانها بدون المناطق الاسلامية فيها لا تستطيع اقتصاديا ان تظل دولة كبرى (٣ الحياة ١٥/١١/١٩٧٠) .. وغرض أمريكا من نشاطها السياسى والثقافى والعلمى فى منطقة الشرق الاوسط طيلة الخمسة عشر عاما الاخيرة هو تمييع المبادئ والعقائد الروحية والدينية التى يؤمن بها سكان المنطقة (٣ الحياة ٢٥/١١/١٩٧٠) ويقول ايدن فى مذكراته ص ٣٤٤ الطبعة الانجليزية : ان أمريكا راحت تنفق أموالها بسخاء فى الخمسينات على نطاق مسرف لاعانة الشيوعية فى منطقة الشرق الاوسط .

تصوغ كيانها ، لان الغداء اذا تملكته عقيدة دينية ، وخاصة في المجتمعات الاسلامية تلاشى أمامه كل العقائد الاخرى ، بما فيها الماركسية ..."

وسيعلم الناصح غير الامين كاسترو انه هو ومن ينصحهم سوف يبوء ان بالخسران والذل المقيم باذن الله .

وهكذا تقف جميع القوى العالمية في مواجهة الاسلام ، ترصد حركاته ، وتتعرف خطواته وتتسمع همساته ، خوفا وقرقا ، وجبنا وحذرا . وتحرص جميع وسائل الاعلام الصهيونية وغير الصهيونية ، على تسقط أخباره وعلى تجسيم خطواته وكل خطوة يخطوها المسلمون ، ليلفتوا الانظار في العالم الصليبي والشيوعي والصهيوني الى حركاته وخطواته . ويجتمع القادة بين الحين والحين للتخطيط لمستقبل الشرق الاوسط في غياب الاسد المهصور عن عرينه ، ولكنهم سوف يفاجأون في يوم من الايام باذن الله بما لم يكن لهم في الحسبان ، وبما لم يدر في خلدهم وتفكيرهم على طول الزمان . وصدق الله العظيم .

ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين ، كتب الله لاغلبن انا ورسلي ، ان الله قوي عزيز (1) – قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب ، قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد (2) .

اذن كيف نصل الى الغد الذي نريده ، ونحلم به ؟

نقول :

كان ماضي الاسلام يتركز في العقيدة الالهية المحمدية ، التي حملها في جوانحهم مسلمون يصنعون المعجزات بايمانهم .

اما حاضره اليوم فلا يعتمد على أساس ، مسلمون ولكن أين العقيدة ، وعرب ولكن اين الايمان ؟

حاضرنا كحاضر العرب حين بدء نزول الرسالة ، مما ينطق به قول الله عز وجل (3) : "قالت الاعراب : آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا : اسلمنا ، ولما يدخل الايمان في قلوبكم .." وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء" .

---

(1) ٢٠ و ٢١ المجادلة

(2) ١٤ سورة الحجرات .

(3) ٤٨ و ٤٩ سورة سبأ

ان الغد الذى نريده ، لن يكون لنا الا بالاسلام ، ولن نصل اليه الا اذا كنا مؤمنين ، بعد أن نكون مسلمين ، انه لا يمكن ان يكون غدا آخر مقطوع الصلة بماضينا ، لأن ذلك محال ، بإباء ديننا وتراثنا وتاريخنا وفكرنا من جانب ، ومحال الوصول به الى غاياتنا وأهدافنا من جانب آخر وفيه ما فيه من تفريق جهود المسلمين ودخولهم فى دائرة التهديد بالصراع الطبقى والحرب الاجتماعية بين الناس من جانب ثالث . وقد فشلت وتفشل كل المحاولات لبناء غد للاسلام يرتكز على أصول غير اسلامية من وثنية ومادية الحادية ووجودية وعلمانية وغيرها من المذاهب السائدة اليوم ..

ولا يرى مفكرو الاسلام وعلماؤه شعوبهم اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم الا بشىء واحد فى مقدورهم ، وفى مقدورهم أن يفعلوه ، وهو سبيلهم الوحيد الى النجاح والنجاة لو فعلوه ، ذلك هو عودة اليقظة الاسلامية من جديد ، نسير بها على ضوء البعث الاسلامى الكبير ، الذى صنعناه من قبل ، صنعنا به أعظم حضارة فى أعظم حقب التاريخ ، الى ما ننشده من غايات كريمة فى الحياة .

وذلك كان محور دعوات ائمة الاسلام وأعلامه فى العصر الحديث فى كل مكان ، وهو يكمن فى اساسه فى القيام بتربية اسلامية حقة ، يقوم عليها جيل جديد ، يسير على بصيرة من الامر الى فجر النور ، الى كبد الحقيقة ، الى سنا الامل الى مشرق البعث الذى يود نحو سبعمائة مليون مسلم فى شتى أنحاء العالم ، أن يبصروا فى شوئه طريقهم الى السلام والرفاهية والمجد والعزة والسيادة فى الارض ، فالبعث الروحى هو منطقنا الى الجد والمجد ، ولن يصلح آخر هذه الامة الا ما صلح به أولها

كان الامام محمد عبده ، فى ظلمات اليأس القاتلة ، وهو يرى بلاده المسلمة تحتلها أعظم دولة فى عصره يقول لجمال الدين الافغانى :

أيها السيد ، أرى أن نترك السياسة ، ونذهب الى جهل من مجاهل الارض لا يعرفنا فيه أحد ، ونختار من هذه الامة عشرة غلمان – اى فتيان أو طلاب فنربيهم على منهجنا ونوجه وجوههم مقصدنا : فاذا اتيح لكل واحد منهم تربية عشرة آخرين ، لا يمضى بضع سنين الا ولدينا مائة قائد من قواد الجهاد فى سبيل الاصلاح ، ومن هؤلاء يرجى الفلاح ..

ومغزى كلامه أن للتربية الاسلامية طاقتها الكبرى على العمل ، من أجل استعادة هذا المجد العريق ، ومن أجل الغد المشرق ، والمستقبل المأمول ، وهو ما كرر الدعوة اليه

كاتب اسلامى مشهور ، هو محمد فريد وجدى فى كتابه " الاسلام فى عصر العلم ؟

عن طريق التربية الاسلامية الحقة يصبح بلوغ هذا الهدف ممكنا ، ويصير تبدل الحال حالنا اليوم ، الى حال افضل ، أمرا جائزا ، ولن يتم ذلك الا بالاسلام الاسلام وحده ، وتقرير اليقين بامكان الوصول الى ذلك فى نفس كل مسلم واجب شرط ، واليأس من بلوغ هذه الغاية قنوط من رحمة اللـه .

وما أحب الى نفس كل مسلم أن يعود المسلمون بالاسلام الى قيادة العالم ، والى استعادة مجدهم القديم ، والى الحياة فى ظلال حضارة اسلامية جديدة .

والاسلام تلقيناه عن الرسول عن الروح الامين ، عن رب العزة والخالق المهيمن على ملكوت السموات والأرض ، ولقد نطق به كتاب كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد " .

وهو فى أصوله الكبرى دين الانبياء من قبل ، وشريعة التوحيد التى وصى الله بها انبياءه ورسله " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه[2] " .. ووصى[3] بها ابراهيم بنيه ، ويعقوب ، يا بنى : ان الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن الا وانتم مسلمون ، أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ، اذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ، قالوا : نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق ، الها واحدا ، ونحن له مسلمون "

الاسلام شريعة الله التى ارتضاها لخلقه ، واصطفاها لعباده .

- ان الدين عند الله الاسلام[4] .
- ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين[5] .
- افغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها ، واليه يرجعون[6] .

---

(١) ٤٢ فصلت .
(٢) ١٣ الجاثية .
(٣) ١٣٢ و١٣٣ البقرة .
(٤) ١٩ آل عمران
(٥) ٨٥ آل عمران
(٦) ٨٣ آل عمران

هذه الشريعة هي أساس سعادة العباد ، وسبب أمنهم وطمأنينتهم في الدنيا والاخرة ، " .. (١) ان الذين قالوا : ربنا الله ، ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا ، وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون " ـ واستقاموا : اى على الطريق وهو دين الاسلام .

والشريعة في الأصل : مورد الماء العذب النمير ، وهي كذلك الطريق اللاحب ، والدين الحق الذي يجب التزامه والعمل به ، والسير عليه ، بالقلب أو بالجوارح ، وهو شامل لكل ما يتصل بالعقيدة أو بالسلوك أو بالعمل ، فلا يعد الانسان مسلما الا اذا امتثل أمر الله في هذه الجوانب جميعا ، لأن شرع الله وكتابه الحكيم شامل لكل توجيه الهي كريم ، في هذه النواحي الثلاث ، فهو الدين والدولة ، والاخرة والدنيا ، والعقيدة والشريعة جميعا .

ويخطئ المبطلون المدفوعون بأيدى الاستعمار والتبشير والعلمانية الغربية ، ممن يزعمون أن الشريعة قاصرة على العقيدة وحدها ، أو انها الأحكام التي تنظم العلاقة بين العبد وربه فحسب ، وهم يقولون زورا وافكا ان الأحكام التي شرعت لبيان علاقة الانسان بالانسان ليست من الشريعة في شئ ، ويردها الى ولى الأمر الشرعي ، ويريدون بذلك عزل الاسلام عن الحياة ، وتحويله الى دين رهبنة كالمسيحية حتى لا يبقى عليهم منه خوف .

وهم في ذلك ، وفي ضلالهم العجيب ، يهرفون بما لا يعرفون .. ولو عقلوا لعرفوا أن الاسلام يجمع كل شئ : يدخل في باب العقيدة ، وفي باب السلوك ، وفي باب العقل ، مما يؤديه المسلم تقربا الى الله كالصلاة والصيام ، أو تبادلا للمنافع بينه وبين الناس ، كالبيع والشراء والشركة والرهن والمزارعة والمضاربة .

ان هؤلاء الذين يدعون الى عزلة الاسلام عن الحياة والدولة وواقع الناس ، انما يعبرون عن رأى الغرب ، وعما يتمنى الغربيون أن يصير اليه الاسلام ، وهم يريدون أن يؤول أمره الى ما آلت اليه المسيحية ، اذ أصبحت أمرا يخص الانسان وحده ، ولا صلة لها بشئون المجتمع او الدولة او الحياة .

انهم ـ ولا ريب ـ مدفوعون الى شعاراتهم الباطلة بأيدى أعداء الاسلام من الصليبيين والصهيونيين والشيوعيين ، ولهم الخسران ، والضلال المبين .. وبئس شعارهم

---

(١) ٣٠ فصلت

الذى يرددونه ، والذى نقلوه من خصوم الاسلام نقلا ، وهو وصية المسيح المشهورة " دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله " لأنه أكثر الشعارات بهتانا وزورا وافتراء وتآمرا على الاسلام ..

ليس الاسلام كالمسيحية ولا غيرها من الأديان ، دين رهبنة وأديرة فحسب ، انه حركة اجتماعية دائبة تشمل الاعتقاد والأخلاق والدولة والنظم الاجتماعية ، يقول العقاد(1) : " لم يذهب الاسلام مذهب التفرقة بين ما لله وما لقيصر ، لان الامر كله فى الاسلام لله " بل لله الأمر جميعا .. " .

وأقــول :

انه على شعارهم الباطل لايكون هناك معنى لان يأمر الله عباده بالأمانة وتحمل المسئولية وأداء الواجب ، وبالصدق فى المعاملة ، وبالحفاظ على أعراض الناس وأموالهم ودمائهـم ، ولا لأن يبيح الله البيع ويحرم الربـا ، ولا لأن يلزمنا بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغـى " ..

وأن كانت العقيدة والتوحيد هى الدعامة الكبرى للاسلام .

وكيف يصح قولهم والله عزوجـل يقول (2) :

" ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء انما أمرهم الى الله ، ثـم ينبئهم بما كانوا يفعلون .. من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجـزى الا مثلها ، وهم لا يظلمون .. قل : انى هدانى ربى الى صراط مستقيم ، دينا قيما ، ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين .. قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين .. لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .. " وفى حقيقة التوحيد يقول محمد فريد وجدى (3) : " الاسلام أن تسلم وجهك لله ، مجردا نفسك عن علمك وعقلــك وحولـك وقوتك وتقاليدك كلهـا ، الفقر شعارك ، والخشوع دثارك ، والتقوى والرجــاء والضراعة صفاتك ، متجردا له كيوم ولدتك أمك على الفطرة ، لتتحقق عبوديتك " ، ويقــول باحث : معنى الاسلام ان تستسلم للـه سبحانه ، أن توطد نفسك على أن تكون فى اطـار

---

(1) ٢٧ الاسلام فى القرن العشرين .
(2) ١٥٩ - ١٦٢ الأنعـام .
(3) ٢ : ٣٥٦ الاسـلام فى عصر العلـم .

التربية الالهية[1] .

هذه هي حقائق الاسلام ، الدين الذي عاش في ظلاله أجدادنا ، وسارت تحت لوائه أيامنا وأجيالنا وشهدت حضاراته وانتصاراته أرضنا وسماؤنا . وكان منه ماضينا ، ومن خيوطه نسج حاضرنا ، وفي ظلاله سوف يعيش غدنا ، ولا غد لنا الا في ظله ، ولن نحيا الا بالعودة كل العودة اليه ، ويصبغ حياتنا في كل جوانبها بصبغته[2] .

ولسوف يصنع هذا الغد الوضاء المسلم الحقيقي ، المسلم الذي وصفه اقبال بأنه مطلع فجر السعادة في العالم ، ومؤذن الصباح في الليل المظلم ، ومصدر التطور الصالح في التاريخ ، حتى يشرق العالم بالنور ، ويستيقظ الكون من سباته بالبعث .

المسلم الحقيقي الذي هو معجزة الله في الكون ، وصورة الكمال في الوجود والذي وعده الله بأن يستخلفه في الأرض ، لأنه زكى نفسه وقلبه وروحه بالايمان ، وطهر جوارحه وبدنه بالعمل الصالح .. "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا[3] - قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد " .

والمسلم الحقيقي هو وحده الذي سينتصر في الحياة ، وسيملك وحده زمام القيادة في العالم ، وصدق الله العظيم : فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض[4]" .. يقول اقبال : " انك أيها المسلم في العالم كله حق وحدك ، وما عداك سراب خادع ، ووهم باطل . ان ايمان المسلم هو نقطة دائرة الحق ، وكل ما سواه في هذا العالم المادي وهم وطلسم ومجاز .. " .

ويقول العقاد[5] : اذا بقي للاسلام ايمانه والمؤمنون به فلا خطر عليه من أقوياء اليوم ، ولا من أقوياء الغد المجهول .

---

(١) ٢٠ مجلة الوعي الاسلامي - رمضان ١٣٩٠ - عبد الحليم محمود .
(٢) يقول شكسبير في مسرحية العاصفة : اذا عشت في ماضيك جعلت منه مقدمة لمستقبلك ويقول الفيلسوف الامريكي سانتايانا في كتابه " حياة العقل " لقد حكم على الذين ينسون الماضي أن يتابعوا العيش بين أحضانه .
(٣) ٥٥ النور . (٤) ١٧ الرعد
(٥) ١٧٩ الاسلام في القرن العشرين ، ط ١٩٥٤

وأقول له : لن يكون هناك فى يوم من الأيام خطر على الاسلام ، حتى فى عصر سيطرة الغرب ، وسيادة حضارته فى العالم .

وأقول له كذلك : انه اذا بقى للاسلام ايمانه والمؤمنون به فان الصورة التى سوف نراها فى الحياة يومئذ لن تكون هى انتفاء الخطر عنه ، بل هى عودة الاسلام الى قيادة العالم وتسلمه زمام البشرية والحضارة مرة أخرى . لأنه حينئذ لن يكون هناك صوت أعلى من صوته ، ولا قوة أشد بأسا من قوته . وهذا مرهون بعودة المؤمن الحقيقى الى ساحة النضال من أجل رسالة الاسلام ، المؤمن الذى سوف ينهض ويتقدم ويحيا العالم على يديه

ولا علاج الا فى الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله ، وأن يقوم كل مسلم بما يستطيع لتحقيق هذه الغاية[١] .

ولن ينهض الاسلام الا برسالته والايمان بها ، والاستماتة فى سبيلها ، وهى رسالة واضحة ، لم يعرف العالم رسالة أعدل منها ، ولا أفضل ولا أيمن للبشرية[٢] .

ان الذى وقف فى معارك الاسلام الكبرى مؤمنا صامدا صابرا صادقا ، مناضلا من أجل الحق ودين القيمة ورسالة السماء ، انما هو هذا المسلم الحقيقى الذى كان هو ومن ماثله النماذج البشرية الرفيعة فى تاريخ الاسلام والحضارة ، فهم الذين روعوا هرقل وفزعوه فى حروبهم فى الشام ، فلما خرج منها مهزوما مدحورا ووصل أنطاكية ، وأقبلت فلول جيشه الجريحة الذليلة المحطمة اليه بكى ، وأمر بعقد مجلس حربى أعلى ، وصاح فى كبار قواده :

– ويلكم ، أخبرونى عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشرا مثلكم ؟
– وردوا جميعا عليه : بلى نحن أكثر منهم أضعافا مضاعفة فى كل موطن .
– وهنا سألهم : فما بالكم تنهزمون ؟
– فسكتوا ، ولكن قائدا كبيرا قال له : أيها الملك ، لقد انتصروا وهزمنا ، من أجل أنهم يقومون الليل ، ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم .

ومن أجل أنا نشرب الخمر ، ونزنى ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغضب ، ونظلم ونأمر بالسخط ، وننهى عما يرضى الله ، ونفسد فى الارض .

---

(١) ٩ واجب المسلمين فى نشر الاسلام للعلامة زيد بن فياض .
(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟

هكذا روى ابن الأثير ، وبالحق نطق هذا القائد المحنك الحكيم .. وفى غزو المسلمين لبلاد فارس ، جلس رسول المسلمين فى مجلس امبراطور الفرس يزدجرد ، وأقبل عليه الامبراطور يسأله : من تكونون وماذا تريدون ؟ وجاء الجواب واضحا قويا جليلا :

" ان الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل السماء " .

هذه هى عظمته وسموه وانسانيته ونبل مقصده وشرف غاياته : ومن أجل ذلك كان دين الحياة ، وعقيدة الزمن وشريعة البشرية فى كل زمان ومكان ، وكان معتنقوه أقدر على أن يصنعوا للعالم مستقبله المتألق النبيل المنشود .

وفلاح الانسانية وصلاحها فى المستقبل يتوقفان على أن نؤمن بالاسلام ، ونكفر بكل ما اخترعت من نظريات باطلة[1] ومن وثنيات كافرة جاحدة ، وكان الافغانى يردد : الدين قوام الأمم ، وفيه سعادتها وفلاحها .

انه لو قدر لهذا الكون أن يشهد قيام أمة انسانية على الأرض ، فلن تكون هذه الأمة الا مسلمة ، ولن يكون قائدها الا القرآن الكريم الذى يطبع كل مؤمن به على أخلاق سماوية شريفة طاهرة مثلى ، لأنها اخلاق القرآن .

وقد سئلت عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن[2] .

وانى لأعجب أشد العجب حين أرى الكثير من المفكرين والكتاب الاسلاميين يقفون حائرين فى أمر غد الاسلام ، وفيما سوف يكون عليه هذا الغد المرتقب ، وفيما يشهده فجر المستقبل المنشود .. وموقفهم يدل على عدم وضوح الرؤية أمامهم وعلى سذاجة تفكيرهم وسطحيته ، وهم ومن ينحون منحاهم واقعون فى خطأ جسيم .

كتابنا الاسلاميون المعاصرون :

١ ـ اما جاهلون بالاسلام ، ولا أقول : متجاهلين له .

---

(١) حاجة الانسانية الى نظرية صالحة .

(٢) سأل سعيد بن هشام أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله (ص) ، فقالت : كان خلقه القرآن ، ألست تقرأ القرآن ، قد أفلح المؤمنون الى آخر هذه الآيات الشريفة .. وقد اخرج هذا الحديث مسلم عن رواية زرارة بن أبى أوفى عن سعيد ابن هشام .. وأخرجه الحاكم . والقرآن ـ كما يقول الشاطبى فى الموافقات ـ اصل الأصول ، وكلية الشريعة ، وعمدة الملة ، وينبوع الحكمة ، ونور الابصار ، والبصائر وانه لا طريق الى الله سواه .

٢- واما جازمون بأن الاسلام اليوم فى غربة ، وغدا سيكون فى أشد منها ، وما أشد خطأهم هذا ، لأن غربة الاسلام التى جاء بها الحديث الشريف هى غربته اليوم بيننا ، التى يعقبها انطلاق وبعث ، وهى كغربته الأولى يوم نزلت الرسالة من السماء الى الأرض ، وقد أعقبها مد البعث الأكبر ، والانطلاقة العظمى ، التى لم يشهد التاريخ ولا الحياة ولا العالم لها مثيلا .

٣- وفريق منهم حائرون مترددون لا يدرون عن الغد شيئا ، ولا يوقنون بأمر فى شأنه ، وحيرتهم كما قلت دليل عدم وضوح الرؤية أمامهم .

٤- وهناك من يقولون : ان الاسلام سوف يعود فى الغد الى الظهور على مسرح الحياة ، قوة عالمية ثالثة بين قوتى الشرق والغرب ، قوة بين العديد من القوى التى تسيطر على اقدار الناس والحياة .

وكنت أنا أذهب الى ذلك الرأى منذ نحو ربع قرن ، فى مقالات نشرتها فى مجلة الأزهر عام ١٩٤٦ وما بعده ، وفى كتب لى من أمثال الاسلام وحقوق الانسان ، الاسلام دين الانسانية الخالد ، الاسلام رسالة الاصلاح والحرية ، الاسلام ومبادئه الخالدة ، من ماضى الاسلام وحاضره .

ويردد العقاد ذلك الرأى أيضا فى كتابه : "الاسلام فى القرن العشرين " المطبوع منذ ستة عشر عاما ، فيقول[1] : " ان الاسلام مجموعة من مجاميع الأمم الكبرى فى القرن العشرين" .

ولذلك أيضا : ذهب الدكتور محمد البهى فى كتابه " الفكر الاسلامى ، مشكلات الاسرة والتكافل " المطبوعه منذ سنوات قلائل .

وأشهد بخطأ هذا الرأى ، وبأنى كنت به على ضلال من الأمر ، وقد خضعت فيه لواقع حياة المسلمين المعاصرين .

ولو كنت قد جئت الى هنا لأقول لكم اليوم ما قلته بالأمس البعيد ولأردد امامكم ما رددته يومئذ من ظهور الاسلام فى الغد قوة عالمية ثالثة ، لما جئت الى هذا المكان ولما تحدثت اليكم من فوق هذا المنبر .

---

(١) ١٨١ الاسلام فى القرن العشرين .

ولكنى أقول لكم اليوم الحقيقة ناصعة .

أقول لكم فى يقين قوى ، ان الغد وحده للاسلام ، وان الغد للاسلام وحده .

لن يكون الاسلام القوة الثالثة بين قوتى الشرق والغرب ، لأنه لن يكون هناك شرق وغرب ، ولا قوة للشرق ولا للغرب ، بل سيكون الاسلام فى الغد القوة الوحيدة فى العالم ، ولسوف تندثر حضارة الشرق والغرب جميعا .

ومن هذا المنطلق أرفض فلسفة الامام محمد عبده ومدرسته ، وهى فلسفة مهدت السبيل للالتقاء الفكرى بين الاسلام وحضارة الغرب ، وأرى أن الترويج والدعم لفكرة هذا الالتقاء خطأ جسيم ، لأنه لاهدف يقصد من وراء هذا الالتقاء الا خضوع الاسلام لقوة الغرب ولحضارته ، وهذا أحد الاهداف الرئيسية للاستعمار والتبشير والصهيونية ، وهو ما يحمل له اذنابهم من دعاة التبعية والهزيمة بيننا ..

ان الاسلام هو النموذج الكامل الشامل ، ولابد أن تعود جميع النماذج اليه ، القريبة منه والبعيدة عنه على السواء ، أما أن الاسلام هو الذى رجع او يرجع اليها ، فهو ولاريب خطأ " وأى خطأ ..

وأعود فأسائل نفسى ..

وما العقبات التى تقف فى وجه البعث الذى ننتظره ، وما الحواجز التى وضعت لتحول دون بلوغ المسلمين غاياتهم الجسام[1] .

وأجيب على هذا السؤال ..

انها عقبات كثيرة ، أقامتها الصليبية والاستعمار والماركسية والصهيونية ، بعضها ظاهرة ، وبعضها خفية ، وهى تعمل متعاونة على اضعاف الايمان من أنفسنا بأنفسنا وبديننا ومقوماتنا ، وعلى ترك اليأس يدب الى قلوبنا ، وعلى الاستسلام الكامل لمدية عدونا وهو يجهز علينا ، فلا نتحرك ولا نتململ ، ولاندع سمعه يتأذى بأنين المذبوح : بل يجب أن نقول له : فديناك فديناك بالنفس والروح .

عقبات ما أشدها وأشد صلابتها وشراستها وضخامة امكانياتها وقدرتها على محاربتنا ، بل ما أشد استسلامنا لها ، ومعاونتنا اياها فيما تصنعه بنا .. ومع ذلك كله فمن الايمان

(١) راجع : الاسلام والتيارات المعاصرة للاسيوى .



ألا يحسب لها مسلم قوى العقيدة حسابا ، والا يفتح لها ولا للقنوط فى أعماق نفسه وعقلـــه بابا أما غير المؤمن بنفسه ودينه وكتابه وماضيه ، وبحتمية انتصار هذا الدين فى معـــارك الحياة، فشأنه وما يريد ، وان كنا نتمنى أن يعود الايمان والأمل والثقـة الى روحه من جديد .

وأولـى تلـك العقبـات :

هذه الحضارة الغربية بكل طاقاتها وماديا تها ووسائلها وابتكاراتها ، وبكل فلسفاتهـا وأيديولوجيتها ومذاهبها ، من الرصاصة الى القنبلـة الذرية والهيدروجينيـة والفلكية أخـيرا، الى الصواريخ الجبارة التى تنتظر التحليق فى السماء ، ثم بكل ما ينشأ من أجل نموهـا وبقائها ، من جامعات ومصانع وشركات ومؤسسات ، وما يرصد لها من أموال واستثمارات ـ وثروات وكنوز منهوبـة .

هذه الحضارة هى أمر هائل ضخم مفزع ، يحسب حسابه فى لغة الأعداد ولغة القـوة، ولكنها مع ذلك ، وكما نؤكد ، أو هى من بيت العسل ، وأوهن من نسج العنكبوت .

ذلك أنها بناء بلا أساس ، وجسم من غير روح ، ومادة دون عقل ، وسلوك خـاص بلا عقيدة هى لا تنطوى على نزعة انسانية أو خلقية ، حتى لنراها يدمر بعضها بعضـا ، ويحطم جانب منها جانبا آخر ، وهى تقف كل لحظة على أبوب الفناء الذرى الذى لا يطمأن معه الى شيء ، فلقد أصبحت الحرب النووية تهدد هذه الحضارة وما يسند ها من قوة بالفناء ، وتهديد ها قائم مستمر لا ينقطع أبدا ، ولو أرادت الدول العظمى اليوم السلام ما وجدت السبيل اليه ، ومع ذلك فان حضارة اليوم تقوم على دعائم منهارة ، واذا كانت هذه الحضارة قد يسـرت الحياة أمام الانسان فانها قد رجعت به القهقرى الى حياة الغاب والوحشية ، وأحدث صـورة لها هى صورة الصهيونيين التى تعد ولا ريب انتكاسة فى حياة الانسانية .

وهكذا عادت حضارة الغرب بالانسان الى ساحة الرق ، وألقت به فى هوة الظلـم والظلام والخضوع المطلق لحكم الاستغلال والقـوة .

وعلى أن رأس المال الضخم الذى يدعم هذه الحضارة لا يرهبنا ، ففى الامكان أن يكـون لنا مثله ، وخيرات بلادنا وكنوزها تمثل قسما منه ، وقسم آخر هو ثمرة العقل واستغلال نعـم الله فى الأرض ، ولا يعجز نا السير مع الغرب فى هذا الميدان ، فلنا من العقل مثل ما لغيرنا ، سواء بسواء ، أما القسم الثالث من رأس المال هذا فهو من صنع الربا والاحتكار ، وبسببـه يسلط الله الحروب على الأرض لتبتلع هذه الاموال الحرام ، ويرسل عليها شواظا من الخوف

فهى فى السلام فى خوف من الحرب كخوفها من الحرب ذاتها ، وما ينفق فى صنع مركبة قمرية مثلا من أموال طائلة كان يمكن أن تكون وسيلة سعادة ورفاهية للملايين المحرومة .

ومع ذلك كله فنحن لا يغيب عن تفكيرنا أن هذه الحضارة الغربية قد نال منها الهرم ودبت اليها الشيخوخة وأخذت تقترب من حافة الفناء .

يقول[1] بول فاليرى الشاعر الفرنسى الكبير : فرنسا ، انجلترا ، روسيا ، المانيا يالها من أسماء كانت جميلة ، كما كانت اسماء عيلام ونينوى وبابل جد جميلة ، ولحاق هذه الأسماء الراهنة بأسماء الأمس الغابر ، لم يعد شيئا مستعصيا على الادراك .

ويقول فولنى من كبار رجال الفكر الأوربى :

ماذا : أصاب تلك البدائع الراهنة التى حققتها يد الانسان ؟ أين هى حصون نينوى ، وجدران بابل ؟ ومن يدرى ؟ لعل مسافرا فى المستقبل يجد نفسه عند شواطئ السين والتاميز يجلس باكيا فوق بقايا الفتات الذى تحولت اليه معالم الحضارة الكبيرة حول هذه الأنهار .

ويعجب دنيس دورجمون من العدد الذى يتضاعف بصورة مستمرة ، من الأوربيين القائلين بانهيار الحضارة الغربية ، ومن المتنبئين الذين يفضلون الحديث عن كسوفها .

ويقول اقبال :

مثلت حضارة الغرب دورها ، وقد شاخت وهرمت ، أينعت كالفاكهة وحان قطافها ، وسوف ينهار العالم الذى حوله مقامرو الغرب الى حانة للفساد عما قريب ، ولقد رأت أوربا بعينيها النتائج المخيفة لمثلها الاقتصادية والاخلاقية والعلمية ، ولسوف تتمخض الانسانية عن عالم جديد ، وهذا العالم لا يحسن تصميمه الا من بنى للبشرية البيت الحرام ، وورث محمدا وابراهيم قيادة العالم .

ورأى اقبال هذا يكاد يكون تفسيرا للآية الكريمة " حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أونهارا ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس[2] ، فالمعنى على هذا هو فناء حضارة عجيبة من حضارات الحياة

---

(١) المتنبئون بالسقوط - مقال لرضوان لاوندى - البلاغ الكويتيه عدد ٢٧ رمضان ١٩٧٠/١١/٢٥

(٢) ٢٤ يونس

الدنيا كا نت قد بلغت ذ روة نمائها وازدهارها ، بأمر الله وقدرته فى لحظة من ليل أو نهار .

وما يقوله اقبال وغيره يقوله كذلك مفكرو العالم وفلاسفته كل يوم فى كل مكان . ونحن نعلم أن ميزان القوة فى العالم متغير أبدا وعلى امتداد التاريخ . ومن ذا الذى كان يتصور امكان تصفيه قوة ألمانيا العسكرية أو الامبراطورية البريطانية المتحدة ؟ .

وأقول كذلك : انى لا أعتقد أن نسبة ما يملكه العالم الاسلامى اليوم الى حضارة الغرب الراهنة أقل من نسبة ما كان فى أيدى أسلافنا الى ما كانت تملكه الحضارتان الفارسية والرومية بعد ظهور الاسلام [1] .

وتعالوا معى الى هذه الحضارة الغربية ، أليست هى حضارة القمار والربا والمكيافيلية الشريرة والايديولوجيات العفنة ، والتفرقة العنصرية البغيضة ، والاستعمار المتخلف الوحشى ؟ أليست هى حضارة الاباحية والشهوات والجنس والمادية الملحدة ، والعلمانية الكافرة ، والصهيونية الخبيثة ؟

وأين هذا كله من القيم الروحية والانسانية الرفيعة التى قامت ونادت بها حضارة الاسلام ، التى حررت الانسان من العبودية والخضوع للفرد وللمجتمع [2] ، ولن تجد الانسانية يوم تتهاوى حضارة الغرب عقيدة تؤمن بها ، وتؤمن بها مصيرها الا الاسلام فالاسلام وحده ، والايمان به سوف يكون ضرورة بشرية ، لأن ذلك هو مسيرة التاريخ وحتمية انتصار الحضارة ، وهو العلاج الوحيد لكل مشكلات الحياة وهو النتيجة الاخيرة لقدرة الانسان على مواجهة التحديات التى يتحداه بها عصره وقدره .

على أن حضارة الغرب التى تباهى فى أصولها العلمية والفكرية صدى كبير لحضارة الاسلام ، وللفكر الاسلامى ، فلقد سرقت أوربا على غفلة منا كنوزنا ومواريثنا العلمية والفكرية والحضارية مثلما سرقت كذلك أمبراطورية المسلمين الكبرى الممتدة فى كل مكان ، وأقامت على كل هذه الأسس حضارتها الماثلة اليوم [3] .

يقول غوستاف لوبون فى كتابه " حضارة العرب " :

---

(١) راجع : الحضارة الاسلامية ، والاسلام والمدنية الغربية ، وهما للمودودى .

(٢) راجع المثل الاعلى للحضارة العربية لمحمد البهى .

(٣) راجع : شمس العرب تسطع على الغرب ، ونحن والحضارة الغربية للمودودى ، والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين .

" أوربا مدينة للعرب بحضارتهم ، فالعرب هم الذين فتحوا لها ما كانت تجهلـــه من المعارف الفلسفية والعلمية والادبية ،فكانوا ممدنين للغرب ، وأئمة له فى ستة قرون ، وعن طريقهم اهتدى الغرب الى تراث الاغريق ، وكشف ما ضيعه ، فأخذ يبحث عنه ..

وتقول المستشرقة الالمانية : كل موجة لعلم أو معرفة قدمت لاوربا كان مصدرهـــا البلدان الاسلاميـــة(١) .

ويجب أن تلحظ ان الغرب لا يطيق ذكر كلمة الاسلام أبدا ، فهى لا تجرى له علـــى لسان ، حقدا وحسدا ، وكأن كلمة الاسلام ثقيلة على فمه ، يقولون : حضارة العرب ، وثقافة العرب ، والتراث العلمى للعرب ، ولا يقولون : الاسلام ولا المسلمين بحال من الأحوال. ونحن لا نؤاخذهم ، بل نكشف طويتهم ، أما المؤاخذة فهى لكتابنا العرب الذيـــــن يتابعونهم فى كل شئ .

فهذا هو كتاب حضارة العرب لمحمد كرد على ، وكتاب الحضارة العربية للكعاك ، واثر العرب فى الحضارة الاوربية للعقاد ، والعلوم عند العرب لطوقان ، وسوى ذلك .

وما أكثر ما نسمع كلمتى " الحضارة العربية " ، يقول أحد كتابنا المعاصريـــن ، وهو محمود عزمى : " الثقافة العربية اسلامية فى أصلها ، ولم توجد الا بالاسلام والمخلصون من مسيحى العرب يعلمون حق العلم أن ثقافتهم فى أصولها اسلامية " وكذلك الحضـــارة العربية " .. ان الاسلام هو الذى منح حضارته طابعها الأصيل من الجمع بين العلـــم والدين الاول مرة فى التاريخ .

ونذكرهنا تقرير سريا رفعـه الى جونسون منذ ستة أعوام مستشاره الاول روستو ، وجـاء فيـــه :

" لقد كان الحوار بين المسيحية والاسلام محتدما على الدوام ، منذ القرون الوسطى. ومنذ قرن ونصف خضع الاسلام لسيطرة الغرب ، أى خضعت الحضارة الاسلامية للحضـــارة الغربية ، والتراث الاسلامى للتراث المسيحى ، وتركت هذه السيطرة آثارها البعيدة فـــى المجتمعات الاسلامية ، حتى بعد انتهاء أشكالها السياسية ، بحيث جعلت المواطن العربى يواجه معضلات ومشكلات هائلة وخطيرة ، فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والعلم ، لايـدرى كيف يتفاعل معها فى علاقاتها الداخلية والخارجية على السواء فقد تحرر من سيطرة الغــرب

---

(١) ٥٤١ شمس العرب تسطع على الغرب .

السياسية لكنه لم يستطع التحرر من سيطرته الحضارية ، وغلبة الحضارة الغربية فى الشرق ، وهى هى العدو القديم للحضارة الاسلامية ، قد أورثت العربى المسلم الشعور بالضعة والمهانة والصغار أمام طغيان تلك الحضارة ، ولقد استطاعت تركيا وايران تطوير علاقاتها بالغرب ، على أساس مصالحها القومية ، لكن السياسات العربية ماتزال تعيش على أحلام وأمجاد الامبراطورية الاسلامية ... "

وخطورة التقرير واضحة وفى مضمونه تصوير لخوف الانسان الأمريكى أو الغربى وذعره من أن تقوم انبعاثة " جديدة " للاسلام والمسلمين .

وثانية هذه المغالطات :

الغزو الفكرى (١) الصليبى للشرق الاسلامى العربى ، ونشوء طبقات جديدة من أبنائها أصبحت لا ترى الحياة الا بمنظار الغرب وثقافاته وفلسفاته وفكره . وترى أن فكر بلادها وتراثها بل دينها ، عبء ثقيل يجب طرحه والتحرر منه ، ومن هذا المنطلق الغريب ، وهو خضوعنا الكامل للثقافة الغربية وغزوها الفكرى لنا ، أصبحنا نجد من يقول : انه لا يقرأ كتابا عربيا ، أو مقالا لكاتب عربى ، وكان طه حسين يقول : "انني افكر بالفرنسية واكتب بالعربية ، وأصبحنا نجد كذلك من يصف - مع أعداء الدين - الاسلام العظيم بأنه دين رجعى ، ومن يتحدث عن قطع يد السارق بأنه عمل " بربرى " ومن يقول من المبعوثين العرب الى جامعات العالم : انه لم يستطع الدفاع عن قضية الحدود الاسلامية وعدالة تشريعها أمام الشباب فى الغرب وفى أمريكا ، ممن يتصورون ذلك عملا منافيا للانسانية ، كأن الانسانية وحدها عندهم انما هى فى مثل فلسفة التفرقة العنصرية وفلسفة الجنس ، وفلسفة التهديد الذرى للحضارة والحياة .

ما أكثر الكتاب العرب اليوم الذين يرددون كالببغاوات أن الثقافة الاسلامية تراث متخلف ، وفكر غريب يجب أن ترمى كتبه الصفراء فى النار ، ومن يقترح للتخلص من هذا التراث الكتابة بالحروف اللاتينية مثل صنع تركيا ، أو اتخاذ العامية لغة لنا .. وهدفهم وهدف من يوحون اليهم بذلك هو قطع صلتنا بماضينا وحاضرنا جملة ، والارتماء فى أحضان أعدائنا ليكملوا الاجهاز علينا ، وقطع صلتنا بالاسلام جملة .

---

(١) راجع : تجديد الفكر الاسلامى لاقبال ، والغزو الفكرى

ومن ينادى بأن العرب تلاميذ الاغريق ، وعلمهم امتداد للعلم الافريقى ، وأن الثقافة الاسلامية لا يمكن تصورها بغير الثقافة اليونانية الرومانية .

ان الذين يزعمون بالباطل من المستعمرين والمستغربين أن الاسلام خصم للعلم والعقل وأنه دين الغيبيات وأنه سبب ضعف المسلمين اليوم ، هم طوائف كثيرة من أعداء الاسلام من صليبيين وماركسيين وصهيونيين ومن أذنابهم من أبنائنا وشبابنا الذين ألقينا بهم في أحضان خصومنا باسم العلم والثقافة وفاتنا أن العلم فى الغرب موجه ، وأنه فى كل مجالاته يقف نفسه أولا لحرب الاسلام وشعوبه .

ونود أن نسأل مع العقاد : هل يؤمن عقل الانسان بالدين فى هذا العصر ، ويرى دينا أحق بالايمان به من الاسلام ؟

طوائف وطبقات كثيرة من كتابنا تنطق اليوم بيننا بلسان الثقافة الغربية ، وتعبر عنها تعبيرا كاملا ، وهى لذلك تعادى الاسلام والفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية التى تقف فى مواجهة طغيان الغزو الفكرى المسيحى لعقولنا ، وصارت هذه الطبقات تؤمن مع الأوربيين بأن بدء النهضة الحديثة فى العالم العربى بالحملة الفرنسية الى مصر والشرق العربى ، كأن العرب لم يعرفوا التقدم الا فى ظلال الغرب وبعد اتصالهم بثقافته وحضارته .

ويضاعف من خطر هذا الغزو الفكرى عمل الجامعات والكليات والمدارس الاجنبية فى بلادنا وتأثر المبعوثين من شبابنا الى الغرب بالفكر الاوربى المسيحى المعادى للاسلام وللعرب ، وذلك طيلة قرن ونصف من الزمان ، ثم جهل شبابنا بالثقافة الاسلامية ومصادرها وتراثها جهلا تاما ، الا ما يعرفونه عنها من مطالعاتهم لكتب المستشرقين .

ونجد مثل هذه الآراء الغريبة مبثوثة فى كتابات كتابنا المعاصرين وفى مؤلفاتهم .. ودع عنك كتابات الشعوبيين المنتسبين الى العرب بالباطل ، ومن بينهم أمين الريحانى وجبران وكذلك سلامة موسى وساطع الحصرى ، ولويس عوض والقصيمى وسواهم ممن تذيع بعثات والمبشرين آراءهم فى كل مكان وبكل قدراتها .

ولقد صارت مذاهبنا الاوربية والنقدية والفنية والفكرية والعلمية صدى للعقل الغربى وحده ، وصقلت جامعاتنا هذه المناهج الاوربية الفكر بالاسلوب العربى ، واحتفظت بها وتبعتها فى الاحتفاء جامعاتنا الاسلامية كذلك ، وخضعت مناهجنا التربوية والتعليمية لهذا الطابع الاوربى خضوعا تاما ، وأصبحت محتاجة الى الترقيع يوما بعد يوم ، حتى قرأنا

مؤخرا ، على لسان عربي كبير ، أنها صارت مستعصية على الترقيع ، ومن عجب أن صحفنا ومجلاتنا العربية اليوم لا تختص برأى أو فكر أو كاتب الا اذا كان تعبيرا كاملا عن الثقافة الغربية .

والمنصفون من المستشرقين يعدون ذلك منا طرحا لشخصيتنا الفكرية ذات الطابع العربي . وحينما زار المستشرق شارل بيلا الفرنسي هذه البلاد سأله صحفي عربي :

— ماذا تقرأ ؟ الادب العربي القديم أم الحديث

— فأجابه : القديم وحده

— فقال له الصحفي : ولماذا لا تقرأ الأدب العربي الحديث ؟

— فأجابه : لأنه أدب غربي مكتوب بحروف عربية .. وصدق حقا في ذكر الحقيقة ، وما أقل من يذكر الحقيقة وحدها من المستشرقين . فان كثيرا من أدبنا المعاصر ما هو الا ترجمة حرفية لآداب غربية منشورة في كتب أو مجلات مختلفة ، وفي العام الماضي ثارت قضية أدبية هنا ، فقد اتهم كاتب كتب مقالا في النقد بأن مقاله ترجمة حرفية لفكرة من كتاب غربي .

وألفت النظر هنا الى أن أكثر كتابنا الكبار ممن تأثروا بالثقافة الغربية بدأوا حياتهم خصوما للاسلام والثقافة الاسلامية ، ولما قرأوا ما قرأوا عنهما في كتب المستشرقين عجبوا ، وعادوا الى المصادر الاسلامية يقرأونها ويتأثرونها ، وكتبوا بعد ذلك عن الاسلام والسيرة كتبا خوالد ، ومن هؤلاء : هيكل والعقاد وطه حسين ومنصور فهمي وسواهم .

وفي هذا المقام أذكر أن المؤتمرات الاسلامية التي تعقد في بلادنا كثيرة اليوم ، كروسيا ، وكندا ، والولايات المتحدة ، وكينيا ، واليابان ، وسواها ، ليس لها من هدف الا تزييف المفاهيم الاسلامية ، وتضليل الفكر الاسلامي المعاصر ، وتفسير الاسلام تفسيرا خاطئا يجنح به الى الخضوع التام للفكر الغربي ، وللمذاهب الغربية .

وأمامي الآن صحيفة عربية يومية ، تخصص صفحة كاملة لمؤتمر سمته مؤتمر الدين الاسلامي ، المعقود في اليابان ، وقد بحث هذا المؤتمر — كما تقول الصحيفة — في تعاون الأديان لخدمة السلام ، ومثل المسلمين فيه لبناني ، لعله أحد أساتذة الجامعة الامريكية في بيروت ، وهو الدكتور حسن صعب ، حسن حسن ، ولكن اسمعوا ما يقوله ممثلنا

صعب أو الدكتور حسن ..

لقد ركزت الجهد على التوعية ، وربطتها بحقائق الوضع الحضاري الانساني ، وتفادى التعويل على تفوق الشرق الروحي ، كبديل للتفوق المادى ، والسعى لتطوير القيم الروحية .

وهذا كلام واضح فى مغزاه كل الوضوح ، فهناك توعية ، وهى مربوطة بحقائق الوضع الحضارى الانسانى ، وهناك تطوير للقيم الروحية ، أى قيم الاسلام الذى يمثله الدكتور صعب وهناك كذلك انكار لنظرية تفوق الشرق الروحى ؟ أى ليس الشرق اليوم استاذا فى مسائل الدين وفهمه ، بل ان الغرب صار هو معلمنا فى هذا الجانب من جوانب حياتنا أيضا ، فله أن يفسر وأن يوجه الأديان ، كما يشاء ، وعلينا الامتثال والطاعة والخضوع ، اذ أن الهدف من ذلك سام ونبيل ، وهو خدمة السلام .. ويقول بيان الدكتور صعب أيضا ، وهو البيان الذى تشرته صحفنا العربية بحسن نية : " لقد أوجد المؤتمر فرصة انفتاح جديد بين أديان الشرق الأوسط وأديان الشرق الأقصى الحلولية ، ومعنى ذلك أن الاسلام يجب أن يصافح البوذية مثلا ويقربها دينا من الأديان ، وان كانت دين وثنية ، أى أن يقترب الاسلام فى مفهومه التوحيدى من البوذية فى مفهومها الوثنى الحلولى ، باسم التعاون بين الأديان ، ويمثل هذا الروح أيضا دارت مناقشات مؤتمر النهضة العربية الذى دعت اليه جامعة لوفان البلجيكية حول مستلزمات التكيف مع العصر الحديث ، ودارت كذلك مناقشات المؤتمر الاسلامى المعقود فى روسيا ، والمؤتمر الذى عقد فى كينيا وكندا وغيرها .

ومن المعجب أن هذه المؤتمرات يدعى اليها أناس معروفون : يستخدمون بين الحين والحين لمثل هذا التوجيه الروحى الجديد ، ولكن الله من ورائهم محيط ان علينا التبصير بالمحتوى الفكرى والتشريعى للرسالة الاسلامية — على صعيد الفرد والجماعة ، واستعادة وجودنا الحضارى مرة أخرى .

أما ثالثة العقبات التى يظن انها تقف فى سبيل بعث اسلامى جديد فهى الاستعمار القديم والجديد ، وما صنعه ، بنفسه وبوساطة أذنابه بيننا ، من تدمير لكل جوانب الحياة الاسلامية النقية فى مختلف بلاد الاسلام .

فلقد اخضعنا لماديته ، ولا لحاده ولفلسفاته فى السلوك والاخلاق والعادات والطعام

والشراب واللباس ، وذاعت فينا أفكار الجنس ، وخرجت المرأة المسلمة من البيت ، وقبل لها ان لك حقوقا سياسية وكثر الاختلاط والرقص ، والأزياء الفاضحة ، والاصطياف على الشواطئ الخليعة ، والتحلل من أعباء الأسرة والتردد على النوادى الليلية ، والانطلاق مع الشهوات العارمة ، وفتحت بيوت للبغاء ، وحانات للخمور ، وشاعت المخدرات بكل أنواعها ، ولسان الحال مع ابى نواس ببيته المشهور .

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى بى الحال حتى صار ابليس من جندى ..وذاع وباء الجنس والعرى فى السينما والمسرح العالميين وفى الاعلانات الصحفية .

وقد انتقل الينا الاقتصاد الغربى الربوى وطبق وحده فى بلادنا بدلا من المذاهب الاسلامية فى الاقتصاد ، وأصبح متغلغلا فى جميع نواحى حياتنا ، وتردد الناس فى موقف الدين من ذلك كله ، وأخذ بعض علمائنا يفتون بحل الاقتصاد الربوى بحجة الضرورة والمصالح المرسلة ، وهذا خطأ وأى خطأ ، فالاسلام كل لا يتجزأ ، ولابد أن يتمسك المسلم بنصوص دينه كلها كاملة غير منقوصة ، وهذا عالم فرنسى : جاك اوسترو ى ، يقول فى كتابه " الاسلام أمام التطور الاقتصادى " المنشور فى باريس عام ١٩٦١ ، وذلك فى الصفحة الثانية عشرة بعد المائة : " ان الاسلام يتمتع بامكانيات هائلة ، واذا ماوجد الطريق الصحيح فان كثيرا من الصعوبات الاقتصادية سوف يحلها هو وحده ، فهو أقدر على ذلك من غيره من مذاهب الاقتصاد الروسية والغربية .

واننا نقف فى جهل تام بعظمة الأفكار الاقتصادية فى الاسلام ، وياليتنا ندرس ونبدأ مرة جديدة فى تطبيقها ، ليتنا نجد ولا نهزل ، فالحياة للجادين المثابرين .

مفاسد الغرب فى بلادنا اليوم أكبر من أن تحصى ، أو تعالج على أساس من التلفيق والترقيع .. لابد من الرجوع الى الاسلام جملة وتفصيلا لنبدأ صفحة جديدة فى حياتنا .فى سبيل بعث اسلامى أكبر ... ينقذنا من الغرب ومن أفكار الغرب ومن اساليبه ومناهجه التى دخلت فى كل شئ ، وطبقناها فى كل جانب من حياتنا ، وصار لها أثرها فى اضعاف قدرة الجيل الجديد المسلم على العمل وتحمل المسئولية ، ولقد تغيرت الموازين التى يوزن بها الانسان العربى ، وبعد أن كان التزامنا بالدين هو المقياس الاول ، أصبح هذا المقياس الان هو الالتزام بالحياة والحضارة الغربية ، وقد كان اللورد كرومر الحاكم الانجليزى فى مصر فى أوائل العشرين يردد ذلك ويقول " ان المسلم غير المتخلق بالاخلاق الأوربية لايصلح

لحكم بلاده " ، ومعنى ذلك أنه لابد أن يفكر بأفكار الانجليز ، وينتقل الى أسلوبهم فى كل شيء وأن يصبح مسلما بالاسم ، وغربيا أوربيا بالفكر والسلوك والعمل ، ليمنحه هؤلاء الغربيون الاستقلال والحرية ، ولذلك عمد كرومر آنذاك الى ابعاد علماء الأزهر عن جميع وظائف الدولة ، وقصر مجالهم على التدريس فى الازهر ، والامامة فى المساجد .

ولقد فرض الاستعمار الغربى حكما مسيحيا محيضا على شعوب اسلامية كثيرة ، فالمسلمون فى قبرص وظانا ونيجيريا والسنغال وأوغندا وتشاد ، هم الغالبية الكبرى للسكان ، ولابد لهم مع ذلك من أن يحكموا بحاكم مسيحى ووزراء مسيحيين ، وسياسة اضطهاد المسلمين فى كل مكان يقف من ورائها الاستعمار ، سواء فى زنجبار أم الهند أم الفيليبين أم الحبشة ، بل سياسة ابادتهم فى روسيا والصين وتوابعهما ، هى من صنع يديه وفكره وتدبيره ، ولم تأمن تركيا مكر الاستعمار الغربى الا بعد أن سارت على السياسة التى فرضها عليها ، وهى قطع صلتها بالاسلام والمسلمين جملة ، من حيث قوانين الدولة والتزاماتها ..

وكانت الخلافة العثمانية آخر معقل اسلامى يستند على القاعدة الفكرية للاسلام كأساس للتقنين ، ومصدر للتشريع ، وأيديولوجيه اسلامية كاملة مستقلة الطابع . كما كانت مظهرا للوجود الدولى للاسلام كرسالة ، وللمسلمين كأمة . واصبح تاريخ المسلمين منذ سقوط الخلافة معروفا بالتبعية والضياع والتخلف ، فقد أقصى الاسلام القاعدة للتربية وللتقنين عن مناهج التعليم ، وعن دنيا الانسان المسلم فى مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكان آخر خطوة فى ذلك الغاء نظام الاسرة الاسلامى ، واستبداله بقانون للأحوال الشخصية فى كثير من بلدان العالم الاسلامى . وهكذا حجر المسلمون على دينهم ورسالة ربهم حتى لا يكون للاسلام شيء من التطبيق فى مختلف مجالات حياتهم .

<u>ورابعة هذه العقبات :</u>

هى نشاط مراكز التخريب فى بلادنا ، وفى مقدمتها الصهيونية ، والماركسية ، وحركة الاستشراق والتبشير ، وقيام مذاهب جديدة بيننا باسم الاسلام :

١ـ فالصهيونية أمرها وخطرها وعداؤها للعرب وللاسلام ، الأمس واليوم وغدا ، مما لا يحتاج الى مزيد من البيان وأمامنا مأساة فلسطين العربية الشهيدة أو الجريحة وغايتها اقامة امبراطورية يهودية تكون قلب العالم ولو على حساب العرب والاسلام وبلاد المسلمين ويكون مركزها القدس ، وتتحكم فى أقدار العالم الاقتصادية

والسياسية ، بعد أن تسيطر على الشرق الاوسط وعلى موارده الاقتصادية الهائلة ، وكان هذا حلمهم من قديم . وعملوا له بجد منذ موتمر بال اليهودى عام ١٨٩٦م ، وهذا مناحيم بيجن اليهودى المتطرف يقول : مهمتنا هى محق الحضارة الاسلامية واحلال الحضارة العبرية مكانها .

٢ـ والماركسية ومحاولتها التسلل الى عقول المسلمين ، من أشد الاخطار التى تجابه الاسلام اليوم ، وبخاصة أن الغرب المسيحى يفسح لها المجال فى بلاد الاسلام لتعيث فيها اليوم فسادا ، بعد أن واجهه صمود الاسلام حيال طغيان الاستعمار والصهيونية وحركات الاستشراق والتبشير .

وعمل الماركسية فى اعلان الحرب على الاسلام ، وفى تدمير حصونه فى بلادها وخارج بلادها ، وفى تحطيم معنويات المسلمين .. معروف مشهور .

عداوها للدين جملة ينطق به أقوال زعمائها وقادتها ، فالدين عند لينين أفيون الشعوب، وهو خطر على الحضارة ، وشعار ماركس أن فكرة الاله من بقايا القرون الوسطى المظلمة ، ويردد ستالين أن فكرة الله خرافة ،وتكرر برافدا فى عددها الصادر فى ٢٦ ابريل من عام ١٩٤٩ قولها : نحن نوءمن بثلاثة : ماركس ولينين وستالين ، ونكفر بثلاثة : الله والدين والملكية الخاصة هذا كله مع أن أعظم رجال البحث العلمى فى أوربا كانت نفوسهم مشربة بالشعور الدينى العميق .

أما عداء الشيوعية للاسلام خاصة فهو مشهور، فالاسلام عند كليموفتش فى كتابه "الاسلام" المطبوع فى موسكو عام ١٩٥٦ هو فى جوهره ما زال ولا يزال عدوا للعلم، والفتح الاسلامى فى رأى كاتبها ليس أكثر من غزوات بدوية لاقتناء كنوز المتمدنين من الشعوب، والقرآن صورة لهذا التراث البدوى فى الفكر والحياة، وقد ركزت وسائل الاعلام هجومها على الاسلام لانه أكثر الاديان صمودا فى وجه الطغيان ، وافترت الماركسية الاكاذيب تلصقها به ، واضطهدت اتباعه اضطهادا شديدا ، وفى البيان الذى أصدره أحد موتمراتهم عام ١٩٢٣ ، قالوا : ان بداخل روسيا ثلاثين مليونا من المسلمين ، يحافظون على عقائد باطلة ، وخرافات من العصور الوسطى لها صلة بالدين ، وعلينا القيام بالخطط والتدابير الواجب عملها لازالة هذه العقائد الباطلة .

وأقول لكم : ان الماركسية هذا المصطلح الغربي الذى ينتسب الى ماركس ، نجد لهما اشتقاقا لغويا عربيا يفسر معناها أوضح تفسيره وكأنها من قولنا " اركسوا فى الضلالة " أى سقطوا فيها ، وتردوا فى هوتها السحيقة ، التى لا نجاة منها ابدا ، والله عز وجل يقول : " فما لكم من المنافقين فئتين؟ والله أركسهم بما كسبوا ، أتريدون أن تهدوا من أضل الله ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (١) " .

هذا هو منهج الماركسية ، التى تقوم اليوم بغزو جديد مذهبى للعالم الاسلامى ، ومآل هذا الغزو كغيره الفشل والهزيمة لانها لا سبيل لها فى مجتمع الاسلام ، الحريص على القيم والدين والحضارة ، حرصة على أعز ما تملكه الانسانية من مقتنيات ، فكل المشاعر الانسانية السامية لا يمكن أن توجد فى ظلال الالحاد ، وكل القيم والفضائل ورفاهية الانسان وسلامه لا يمكن الحصول عليها الا من طريق الدين ، انه ليس فى العالم كله دولة تخشى التحركات الاسلامية بمثل ما تخشاها روسيا ، لانها بدون المناطق الاسلامية فيها لا تستطيع اقتصاديا أن تظل دولة كبرى (٢) .

ولكن الاسلام اقوى مما تظن روسيا وانهياره قريب قريب باذن الله .

٣ـ وأما الاستشراق فحركة أوربية جديدة قامت للعمل ضد الاسلام ، وجميع المستشرقين يعملون فى دوائر المخابرات الخارجية فى كل بلاد الغرب هم وتلاميذهم ، وحركتهم تهدف الى نقل كنوزنا العلمية والثقافية والحضارية الى الغرب أولا ، والى اعطاء تفسيرات جديدة للاسلام وحركته التاريخية وفق أهواء الصهيونية والصليبية .

ثانيا : والى مراقبة العالم الغربى مراقبة شديدة ، وملاحظة تطور الفكر الاسلامى وكتابه التقارير عنه بأولا بأول الدوائر الاستعمار والمخابرات .

ثالثا ، والى تربية جيل من المثقفين العرب وفق أذواقهم ومناهجهم وأفكارهم اخيرا .

ومن ثم فالافتراء على الاسلام وتاريخه وحضارته وائمته وعلومه وثقافاته ليس بالشئ الجديد

---

(١) ٨٨ النساء .

(٢) ٣ الحياة البيروتية عدد ١٥/١١/١٩٧٠ .

على الحركة الاستشراقيــة .

ومناهج المستشرقين فى البحث صارت هى أساس مناهج جامعاتنا ومشاهير كتابنـــــا والمثقفين فينا ، وكأنها ضربة لا زب ، لابد من أن تقع على رؤوسنا .

وقد قام كثير من علمائنا بترجمة كتب المستشرقين بما فيها من أباطيل تتسم بشعار العلم ، ومن افتراءات على الاســلام والمسلمين .

وقد صارت أقسام الدراسات الاسلامية والعربية التى يشرف عليها المستشرقون فـــى جامعات أوربا وكندا وأمريكا ذات طابع هجومى على الاسلام ، ومراكز للتجسس عليه ، وأساتذتهـا أكثرهم من الصهيونيين ، وللاسف أن يندب اليها بعض الباحثين من المسلمين فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، وفى مقدمة الموضوعات التى يتطلب اليهم المحاضرة والكتابة حولها الحركـات الاسلامية المعاصرة فى مختلف بلدان الاســلام " ، وذلك بقصد الكشف عنها ، ليسهل علـــى الغرب فهمها ومتابعتها وخنقها فى مهدهـــا .

وعن طريق مراكز المستشرقين اقتبس الغرب كل عظيم ومفيد من الحضارة والثقافة الاسلامية ، وهذا هو السير وليم جونز من مشاهير القرن الثامن عشر ، والمؤسس لعلم الاستشراق ، والـذى ترجم المعلقات الى اللغة الانكليزيــة ، كان يقول كما ذكر فى مقدمة كتابة " قصائد من اللغـات الآسيويــة " يخيل لى أن الشعر الأوربى قد عاش طويلا على تكرار نفس الصور والتشبيهـــــات ، والاشارة الى نفس القصص والأساطير ، وقد حاولت أن ألفت النظر الى هذه الحقيقة " المهمة ، فلو أننـا عنينا بطبع عيون الآداب الشرقية ، مما تحفل مكتباتنا منه بمخطوطات كثيرة ، ودرست لغات المشرق فى معاهد العلم عندنا لنتج عن كل هذا تجديد شامل فى صور الشعــــر وتشبيهاته ، ولفتحنا الباب لمعرفة آداب عظيمة يجد فيها شعراؤنا أمثلة للمحاكاة " .

وهذا هو ما حدث فى الغرب ، كان الادب العربى مصدر نهضة أدبية عامة شاملة فى جميـع بلدان أوربــا ، وحين ترجم جونز المعلقات أثارت الاهتمام والعجب بين كثير من مشاهير أدبـــاء القرن الثامن عشر وشعرائه ، وأخذ الشاعر الانكليزى تنيسون يقلد امرأ القيس فى بكاء الاطـــلال ، فبكاها بأسلوب شاعرنا الجاهلى القديم ، ولا ينسى أن يوجه الخطاب الى صديق له وهما يسيـران بأطلال قصر محبوبته ، وكان جونز يحب العربية ويقول عنها أنها لغة جميلة الجرس ، بديعـــة النغم .

ولا يغيب عنا أن اللغة العربية ـ كما يقول سارتون فى كتابه " مقدمة تاريخ العلوم " (١٦) ـ كانت من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى لغـة التطور العلمى للجنس البشرى عامة ، وكان ينبغى لكل من أراد أن يلم بثقافة عصره على أرقـى صورها أن يتعلم اللغة العربية .

ولما ترجمت " الف ليلة وليلة " الى اللغات الأوربية نهضت بالآداب القصصيـة والمسرحية وأدب الملاحم نهضة شاملة ، وصار الكتاب فى أوربا حريصين على قراءتها واستيعابها ودع عنك تأثير القرآن الكريم ، وتأثير العلوم الاسلامية فى كل جوانب الفكر فى بلاد الغرب .

٤ـ وننتقل الى التبشير ، وهو من الاسلحة الهجومية الموجهة الى الاسلام ايضا ، ويقـف من وراء حركته العالم المسيحى بتوجيه ومساندة من الهيئات الدينية العليا فى أوربا . وهذه الحركة تمد لحركة الاستشراق فى الأهداف ، وفى خدمة الاستعمار القديـم والجديد ، وفى التجسس على الاسلام والحركات الاسلامية المعاصرة .. انها حملـة صليبية جديدة على العالم الاسلامى ، ومحالفة اكيدة مع الاستعمار لخنق الفكر الاسلامـى وصرف المؤمنين به عنه بكل وسيلـة .

والاسلام هو أقوى ما صادف المبشرين من عقبات ، وقد فشلوا فى مواجهته وفى تحديـه ، وهو الخطر كل الخطر عليهم يقول المبشر لورانس براون : الخطر الحقيقى يكمن فى نظام الاسلام وفى قدرته على التوسع ، وفى حيويته ، انه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الاوربى .

والهدف من التبشير كما يقول زويمر المبشر المعروف (١٩٥٢) : ليس هو ادخـال المسلمين فى المسيحية ، لأن ذلك فى رأيه الكاذب هداية " وتكريم " لهم ، انما هو عنده فى اخراج المسلم عن الاسلام ليسهل تحطيمه وافتراسه، حينما يصبح مخلوقا لا صلة له بالله .

ومن مخططات التبشير غزو الاسلام فى عقر داره ، وتشويه تاريخه وأبطاله وقادتـه ، والطعن على العقيدة الاسلامية .

ويقول المبشر جون تاكلي : يجب أن نستخدم القرآن ، وهو أقوى سلاح فى الاسـلام ، ضد الاسلام نفسه ، بأن نعلم المسلمين أن الصحيح فى القرآن غير جديد . وأن الجديـد فيه غير صحيـح .

وهكذا أصبح المبشرون نقادا بالزور والبهتان للقرآن وشارحين له ، ووضعت الامكانيات

الهائلة تحت أيديهم ، ولهم أكثر من خمسمائة جامعة وكلية ومعهد فى العالم ، فضلا عن المستشفيات والمستوصفات الطبية ، وعندما وضع النظام الاساسى للجامعة الامريكية فى بيروت منذ اكثر من مائة عام أصر واضعوه على تأكيد الطابع التبشيرى لها ،وعلى ان يكون كل أستاذ فيها مبشرا مسيحيا (١) .

وأعمال المبشرين ومحاولاتهم ، من أجل هدم الاسلام وتدمير العالم الاسلامى وزعزعة الشعور الدينى فى نفوس الاسلام ، مما لا يخفى على أحد ..

وبعد فاننا نسائل أنفسنا أخيرا : هل يمكن أن تقف هذه العقبات وغيرها ، مما يبتكره الغرب كل حين من أساليب جديدة فى حربه المستمرة للاسلام ومما دأب على صنعه من اقامة حركات تتسم بطابع الاسلام وهى فى جوهرها من صنع الصليبية والصهيونية والاستعمار أقول : هل يمكن أن يقف كل ذلك فى طريق الاسلام ، أو أن يحول دون قيام بعث اسلامى جديد ؟

والجواب عن ذلك : لا بكل تأكيد

نعم ، لا ، لن تستطيع شياطين الارض كلها مجتمعة ان تصدنا عن الاسلام ، ولا أن تصد الاسلام عن بلوغ أهدافه فى يوم من الأيام ، ولا يمكنها أن تقف أبدا فى وجه تياره القوى الكاسح ، الذى تدفق ولا يزال يتدفق على مرور الأجيال والاعوام ..

لا ، لن ينطفىء نور الاسلام أبدا ، وذلك وعد الله الصادق لعبادة المؤمنين :

" يريدون (٢) ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

ويقول الله تعالى فى كتابه الحكيم على سبيل الجزم والتأكيد والتعميم ، " كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الارض فسادا ، والله لا يحب المفسدين " .

سيبقى الاسلام دينا خالدا ، ونورا هاديا ، وكوكبا وضاءا ، وقمة سامقة ، معجزة السماء الى الارض صانعا للتاريخ والزمن والحضارة والحياة عاملا فعالا فى مستقبل العرب والمسلمين

---

(١) ١٩ واجب المسلمين فى نشر الاسلام — زيد بن فياض :

(٢) ٨و ٩ الصف . وفى معناهما آيتا التوبه ٣٢ و ٣٣ .

والانسانية قاطبة .

يقول مؤلف كتاب " الشرق الاوسط المعاصر " : " أول ركائز الاجتماع والثقافة في الشرق الأوسط هو الدين .

ويقول بعض الباحثين العرب المعاصرين " الدين جزء من تكوين الأمة العربية ، بحكم أنها تكونت في ظلال الحضارة الاسلامية ، والاسلام بالنسبة لها أكثر من مجرد دين، اذ هو جزء من نسيج قوميتها " ..

ويقول ولز : الدين الحق الذى يساير المدنية هو الاسلام ،وحسبك القرآن وما فيه من نظريات علمية ، وقوانين وأنظمة لربط المجتمع .

ويقول غوستاف لوبون : " سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين ، ويقول الافغانى: الدين هو قوام الأمم ، وفيه سعادتها وفلاحها .

وصدق الخليفة : " عمر بن الخطاب حين قال لاصحابه : لقد أعزكم الله بالاسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله " .

وقال الهرمزان الفارسى لعمر وقواده انما غلبتمونا بالاسلام .

وهذا هو ما كان يؤكده رسولنا العظيم صلوات الله عليه لزعماء قريش فى مكة بعد نزول الرسالة حيث قال لهم:

" ماجئت بما جئتكم به اطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا ، وأنزل علىّ كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ، ونصحت لكم ، فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه على أصبر حتى يحكم الله بينى وبينكم (1) " .

وفى الحديث الشريف : عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا " .

---

(1) ١ : ٣١٦ سيرة ابن هشام تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

وأقول : لابد أن ينتهى الطريق : بنا ــ نحن المسلمين ــ الى يقظة اسلامية جديــدة باذ ن الله ، ولكى تنطلق هذه اليقظة من مكمنهــا لابد لنا من عمل جديد ، يمكـــن أن الخصه فيما يلى :

أولا : قيام ثقافة اسلامية قوية ، وحركة تربوية دينية مثمرة تسير عليها مناهج جامعاتنــا ومدارسنا ، فان للتربية والثقافة دورهما الجليل فى التوجيه ، وجميع المذاهب القديمــة والحديثــة والمعاصرة اليمينيــة منها واليسارية ترتكز على دعامة قويــة من التربية والتثقيــف وحدهما .

ثانيا : قيام المذاهب والحركات والمجامع والهيئات السياسية والاجتماعية والاقتصاديــة والثقافية فى بلادنا على أسس اسلامية خالصــة .

ثالثا : صياغة علومنا الاسلامية واللغوية صياغة جديدة تقربها الى أذهان العصـــر والشبــاب .

رابعا : قيام حركات الشباب فى العالم العربى على أسس اسلاميــة .

خامسا : صبغ وسائل الاعلام كافة فى أنحاء الوطن الاسلامى بصبغة اسلامية .

سادسا : نشر نفائس تراثنا الاسلامى المخطوط محققة تحقيقــا علميا ودقيقا ، بالتعــاون مع الجامعــات والمجامع العربيــة .

سابعا : صبغ حياتنا فى شتى نواحيها بالصبغة الاسلامية ، وتطبيق التشريع الاسلامى ، تطبيقا كاملا ، فى جميع بلاد الاسلام .

ثامنا : انشاء صندوق للدعاية للاسلام بأسلوب العصر ، وعلى ضوء أفكاره وتطلعاته .

تاسعا : انشاء مجمع اسلامى عالمى يمثل الفكر الاسلامى ، ويخطط له .

عاشرا : انشاء هيئة امم اسلامية تتولى التخطيط الكامل لحاضر ومستقبل المسلمــين ، وتعد منظمة الدول الاسلامية القائمة اليوم نواة لهــا .

ان فى ذلك وغيره من مقومات العمل الاسلامى ما يسير بنا الى الغد المنتظـــر ، الى الفجر الجديد الى المستقبل المنشود وصدق الله : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغـــيروا ما بانفسهم .

وهنا أقول ، بل أردد : ان الاسلام وحده هو عقيدة الغد ، والغد وحده هـــــو لعقيدة الاســـلام .

الاسلام نظام الكون ، والكون كله صائر اليه فى يوم من الأيام ، وليس هذا حلما مـــــن الأحلام ، بل انه الحقيقة الثابتة المشرقة كاشراق الشمس فى ريعان النهار .

ولسوف يتألف من الغد والاسلام طاقة جديدة ، تعيد الحياة الحرة المبدعة الى الانسانية والانسان وتبنى السعادة والرفاهية للمجتمع البشرى المفزع ، وفلاح الانسانية وصلاحها فـــى الغد انماهما فى أن تؤمن بالاسلام ، وتكفر بكل ما اخترعت من نظريات باطلــة ، فليكـــن شعارنا الجديد " الى الاسلام " الى الاسلام " .

ان ذلك ضرورة ملحة للبشرية ، لتعيد بناء نفسها من جديد ، ولترتفع بالاسلام الذى ارتفع على المحن ، وسما على الزمن ، ورفع الى مستواه الاعلى المؤمنين به فى كل دار ووطـــن ، وكان فيه دائمـــا الحياة للروح والقوة للعقل والنفس والبـــدن .

ذلك ليس حنينـــا الى الماضى ، ولا أملا فى انبعاث مجد قديم تليد " لا ، بل هـــو مسيرة التاريخ وحتميتــه وحركة تطوره ، وهو الانتخاب الطبيعى الذى تقوم به الحياة العاقلــة الانتخاب والتخير لأسمى القيم والمثل التى تثق فى قدرتها على الوصول بنــا الى شاطـــــئ الامان ومرفأ السلام لا ، بل هو وعد الله الصادق بانتصار رسالتــه ، وغلبــة وحيــه ، وعــــزة كتابــه ، وسيادة دينه فى الأرض .

انه الاستجابــه الفطرية لنداء العقيدة الصالحة لكل عصر ، الصانعة لكل فجر ، الهادية لكل خير ، والقائدة الى كل نصر .

العقيدة التى تشرق كما يشرق الفجر ، وتتدفق كما يتدفق الماء على صفحة النهـــر ، وتمنحنا ــ بحقها وصدقها ــ الأمل والهدى والنور والحياة .

العقيدة التى سمت أبدا على كل الالام ، وعلى أحداث التاريخ والأيام ، وعلى شـــتى المحن والخطوب الجســام .

لسوف يظل الاسلام كما كان على كل الدهور منارة الشعوب والحضارات طـــول الاجيـــال والعصـــور .

ولسوف يبنى للبشرية من جديد فى ظلال انبعاث أكبر صروحا من التقدم والابداع والتجديد

ومن الحق والعدل والحرية والسلام والمساواة ومن طمأنينة الانسان وسعادته ورفاهيته في الحياة .

وحقا ما يقول شاعر معاصر :

اورنا بني الاوطان عزما مجسما
اورونا بني الاوطان عزا مشيدا
اورنا نهوضا واتركوا اللهو واكتبوا
على صفحات العصر ذكرا مخلدا
وما هو الا الجد ان حاك خيطه
تناول عن بعد سماكا وفرقدا

اقول لشاعرنا : ولا والله ، لقد كان الأولى ان تقول :

اورنا بني الاسلام عزما مجسما
اورنا بني الاوطان عزا مشيدا
وما هو الا الدين ان حاك خطيطه
تناول عن بعد سماكا وفرقدا

خلود الإسلام

سقطت ألمانيا الهتلرية مهزومة مضرجة بدمائها ، أمام جيوش الحلفاء الظافرة في الحرب العالمية الثانية ، وتجمع قواد الحلفاء في موكب حربي لم يشهد التاريخ له مثيلا ، الجيوش المدججة بالسلاح ، والطائرات المحملة بالقنابل ، والدبابات تهز الأرض هزا ، وعلى جماجم القتلى ، وأشلاء الجرحى ، سار المنتصرون ليملوا على قواد ألمانيا شروط الاستسلام ، وحول مائدة مستديرة وقف ممثلو الجيش الألماني ، يحيون في ذلة وخشوع موكب النصر ، والقواد الذين صنعوه ، وسلم المهزومون كل شيء ، دون أن يكون لهم شيء ، ودون أن يسمعوا كلمة ، ولو كانت رثاء أو عزاء ، وانتهى الأمر ، الحرية كل الحرية للظافرين ، والعبودية كل العبودية للمهزومين .

لقد فعلوا ما يفعله ضمير القائد المسيحي المنتصر ، حيال قواد مسيحيين ، أورثتهم الهزيمة الذل .

فأين هذا من الاسلام وجلاله وعظمته وسماحته ، وخلفاؤه وقواده يسيرون في مواكب المنتصرين ؟

أمامنا المثل من الاسلام

عمر بن الخطاب

عمر الفاروق

عمر العظيم

عمر محطم ملك الساسانيين

عمر الذى هزم هرقل امبراطور الروم في سهول الشام ، والذى بلغت جيوشه المظفرة أبواب بيت المقدس ، حيث فرضت الحصار على المدينة المنهوكة ، وفر القائد الروماني منها ، وأعلن رئيس أساقفة بيت المقدس التسليم ، على أن يتولى عمر أمير المؤمنين نفسه مفاوضات الاستسلام .

وسار عمر الى المدينة المحاصرة ، الى بيت المقدس .

سار بلا مواكب ومهرجانات ، بلا جيش يحميه .

سار في موكب نبيل .

عمر على جمل غليظ ، فى ملابس خشنة وتكاد تكون ممزقة .

ويقال له : لو لبست شيئا غير هذا ، وركبت برذونا ، لكان هذا اعظم فى عين الروم .

ويسير عمر

واذا هو أمام مستنقع ماء يقف وينزل من على ظهر الجمل ويخلع خفيه ، ويمسكهما بيده ، وزمام البعير باليد الأخرى ، ويخوض الماء ويبهر أبو عبيدة بما صنع عمر فيقول له : لقد صنعت اليوم صنيعا عظيما ، عند أهل الأرض ، فيضرب عمر بيده فى صدره ، ويقول له : أو لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ؟ انكم كنتم أذل الناس ، فأعزكم الله بالاسلام ، فمهما تطلبوا العزة بغير الله يذلكم الله .

ويدخل عمر بيت المقدس ، ويعطى لأهلها العهود والمواثيق ، ويؤمنهم على أموالهم ودمائهم ، وأعراضهم وحرياتهم الدينية كاملة غير منقوصة .

ويجد المسيحيون المهزومون من الخليفة المسلم عمر بن الخطاب مالم يكونوا يجدونه من حكامهم المسيحيين فى ابان السلام ، من العدل والحرية والكرامة الانسانية ومن الأمان والتسامح وحسن المعاملة والرفق .

وهذا هو الاسلام فى وجدان المسلمين .

وهذا هو الايمان فى ضمير المؤمنين .

وهذه هى الانسانية .

انسانية الدين ، انسانية أمير المؤمنين ، أنسانية المبادئ والمثل والفضائل والأخلاق والآداب .

الصغير يوقر الكبير

القوى يحترم الضعيف

الحاكم يحنو على المحكوم

الغنى فى مساعدة الفقير

الصحيح يعود المريض

الرجل يرعى المرأة والطفل والخادم بالحنان حتى على الهرة والكلب والجمل الهرم .

انسانية يغذيها الايمان بالله والدين ، وبالحب والاخاء ، وبالرحمة والشفقة ، الايمان بوجود الله فى كل مكان ، ومع كل أنسان .

انسانية تملأ قلب المسلم بالعطف على اليتامى والمساكين والأرامل والغريب والأجير والأسير .

وهذه الانسانية هي أحد مقومات خلود الاسلام ، وبقائه وأستمراره فى الأرض الى يوم الدين ، يوم يبعث الخلق أجمعون .

انسانية تتمثل فى كل عمل ، ويستشعرها المسلم وهو يسعى الى كل أمل ..

يبدأ بالسلام كل من يلقاه ، الصغير يسلم على الكبير و والراكب على الماشى ، والكثير على القليل ، والسليم على المريض .

يبدأ كل عمل ببسم الله ، اسم الله الحاضر الموجود ، والخالق القادر المعبود ، وكأن البدء ببسم الله اعلان بأن الانسانية فى الانسان المسلم تضع نفسها فى موضعها الصحيح ، ونعرف أنها مهما أوتيت من أسباب القوة عاجزة الا بالله ، وحيدة تستمد العون من الله ، فقيرة تطلب كل غنى من لدن الله .

هذا الجانب الانسانى فى الاسلام لا يحتاج الى بيان ، نهى رسول الله صلوات الله عليه خالدا فى غزوة حنين عن قتل الاطفال والنساء والأجراء [1] ، وقال لأصحابه : " دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش [2] الأرض ، وقال لعائشة وقد قست على بعير ركبته :

من يحرم الرفق يحرم الخير كله ، ونهى أبو بكر قواده عن تتبع المنهزمين ، والاجهاز على الجرحى والتمثيل بالقتلى .

ومن أجل ذلك دخلت الملايين فى الاسلام ، لتجد فى ظله السلام والرفاهية والعدل وكل مثل الحياة الكريمة .

فأين مثل الاسلام فى انسانيته ، وكما يقول مهيار : اين فى الناس أب مثل أبى .

وأصبح الاسلام أمل الدنيا حلمها الاكبر ، ملاذها الأمين لأنه الدين الذى يؤمن بالانسانية ويدعو اليها ، قانونا وتشريعا عملا وتطبيقا ، ضميرا وسلوكا ، قولا وعقيدة .

---

(١) ٤ : ٩٠ سيرة أبن هشام .

(٢) بكسر الخاء وفتحها : حشرات الأرض

وسوف يظل الاسلام حلم الانسانية ، سوف يبقى خالدا أبدا ، له كل فعالية في الحياة ، في كل مكان ، وكل زمان ، وكل بيئة ، وكل عصر .

قد يقول أعداء الرسالة : وأين انسانية الدين في تشريعه للرق ، وأين انسانية محمد في زواجه من زينب امرأة زيد بن حارثة .

ونقول لهم :

(أ) أما الرقيق فمظاهر الاسلام في تحريره واضحة وضوح الشمس في السماء ، فبينما أقرت الديانات والشرائع والنظم السياسية قبل الاسلام الرق ، وفتحت منافذه ، ووسعت أسبابه ، جاء الاسلام فشرع العتق وأمر به ولم يشرع الرق[1] أبدا بحال من الاحوال ، وضروب تشريعه للعتق كثيرة معروفة في الفقه الاسلامي ، والباب الذي بقي في الاسلام من أبوابه هو اسرى الحروب الاسلامية ، وقد أوصى الاسلام بمعاملة الرقيق معاملة طيبة ، وحسبك أن عليا خليفة المسلمين ينزع ثوبه الجديد من على جسده ، ويعطيه لخادمه الرقيق ويقول له : " أنت احق به في العيد مني " ، ولقد تعلمت دول الغرب من الاسلام نظام تبادل الأسرى وتحرير الأرقاء ، والقوانين الدولية اليوم لا تلزم أمة منتصرة بمعاملة الاسرى معاملة خاصة ، ولقد ذهب أغلب أسرى الحرب العالمية الثانية ما بين قتيل ومفقود ومسخر في أشق الأعمال في سهول سيبيريا وغيرها ولم تدع أوربا من قبل الى تحرير الارقاء الا استجابة لمصالحها الاقتصادية حينما وجدت صناعاتها مرتفعة الثمن لغلاء الأجور ، ووجدت صناعات الشرق رخيصة الأسعار ، لرخص الأيدي العاملة التي تديرها من الأرقاء .

(ب) وأما زينب فان قصتها تدل على الانسانية الرفيعة في الرسول ، وليست كما يصورها المبشرون اعداء الاسلام .

كان زيد بن حارثة (سيد وس) اسيرا عتيقا في بيت رسول الله ، رباه النبي وأسلم واخلص الدين لله ، وآثر المقام في بيت النبوة على الرجوع الى أهله ، وتبناه الرسول ،

---

(١) ١٤٥ ما يقال عن الاسلام – العقاد – كتاب الهلال – ١٨٩ نوفمبر ١٩٦٦ .

وزوجه من بنت عمته زينب بنت السيدة أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ، وأطاعت الزوجة أمر رسول الله ، وعاشت مع زوجها راضية ، وان كانت تشعر في أعماق نفسها بالمهانة ، لأن العرب كانوا يأنفون ان يزوجوا بناتهم لمواليهم ، وكان زيد يشعر بجراحها النفسية العميقة ، وتساؤلاتها لنفسها : اتكون بنت عمة رسول الله أقل منزلة من لداتها وصديقاتها من عامة الناس؟ ، وهم زيد بطلاقها ، والرسول يقول له : امسك عليك زوجك ، انتظار التبدل الحال ، ولكن الامر ظل كما كان ، فطلقها ، ورأى الرسول أن أحدا لن يتقدم اليها فعوضها خيرا بزواجه اياها ، لتعلم ويعلم الناس انها كفؤ لصاحب الرسالة ، وان زواجها من زيد لم يكن مهانة لها بحال من الأحوال ، بل كان من أجل التشريع ، وصار تشريعا ساميا أن يتزوج السيد من زوجه مولاه ومتبناه ، ويصنيع الرسول شعر زيد بالكرامة الانسانية من نفسه ، وشعر بالعزة تملأ جوانح قلبه الذى ملأه الدين نورا وهدى وخشوعا لله رب العالمين .

وسبب ثان من أسباب خلود الاسلام ، سبب ثان له كبير معناه ، وجليل مغزاه ، وهو امر تفرد به الاسلام ، ديننا الخالد العظيم ، وهو عقيدة الاسلام نفسها .

عقيدة الاسلام التى رفعت منزلة الانسان فى الحياة ، فتحت امامه منافذ الفكر ، دعته الى تدبر كل شيء وتفهمه ، ولم تحجر على عقله ولم تحبسه في محابس التقليد او الأوهام أو الأساطير .

عقيدة الاسلام التى كرمت العقل الانساني ، وجعلته مسئولا مطالبا بالابداع والتجديد والابتكار ، وارتفع الاسلام بضمير الانسان ، وبفكره ، حتى صار فى مستوى الادراك العميق لفكرة الالوهية ولفكرة النبوة .

هذه العقيدة عقيدة الاسلام أعظم العقائد الدينية اتفاقا مع المنطق ، وأشدها صرامة في التوحيد ، وأكثرها تقريرا لمبدأ الوحدانية والألوهية ، وما أعظم رسالة الاسلام وضوحا في ادراك الاستشراف الالهي ، وتسامي الذات الالهية ، تكمن روح العقيدة الاسلامية في الخضوع لارادة الله ، وحجر الزاوية فيها هو العبودية لله ، ودينينا من بين الأديان كلها أبسطها وأقدرها على السمو بالبشرية كما يقول بعض الذين دخلوا في الاسلام من مفكري الغرب[1] .

ان الاسلام ينفرد وحده بالدعوة الى التوحيد المطلق ، من بين جميع أديان العالم السماوية وغير السماوية على الاطلاق .

فالعقيدة الالهية يرتفع بها الاسلام فيجعلها توحيدا خالصا ، كما ارتفع بعقيدة النبوة ، التي كان الناس من قبله يحسبونها ضربا من التنجيم والشعوذة ، فقرر القرآن ان النبي بشر يبلغ عن الله الى العباد رسالة الهية . كما ارتقى ديننا الكريم بالمسئولية الانسانية التي جعلوها لونا من المحسوبية والأهواء والمحاباة والايثار للقربى ، أو العصبية الدم واللون والجنس .

وما من دين استطاع أن يغرس في نفوس المؤمنين به الحب ، أو أن يوحي الى معتنقيه شعورا بالعزة والكرامة ، مثل الاسلام ، الذي حمل الانسان مسئولية الحياة نفسها ، وجعله خليفة لله في الأرض .

الله في ديننا أعظم وأجل من أن ندركه بعقولنا ، وهو جل جلاله رب العالمين ، وخالق السموات والأرضين ، بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وهو العزيز الغفور .

والرسول في الاسلام هو المبشر النذير ، والداعي الى الله باذنه ، والمبلغ عنه جلت حكمته ، ليس هو بالذي يكشف الطوالع والاسرار ، ولا بصاحب الخوارق والمعجزات والطلاسم والاعاجيب ، التي تشل العقول ، وتهول الخاطر ، وليس النبي بالذي يخاطب الناس من حيث يخافون ويفزعون ، ولكنه الذي يخاطبهم من حيث يعقلون ويتفكرون .

---

(١) محمد اسكندر راسل الامريكي — الندوة عدد ١٣٨٩/١١/١٣ هـ

والانسان في الاسلام حيوان مفكر لانه مؤمن ، وهو يحمل المسئولية وعبء الأمانة الامانة التي شرحها الله عز وجل في قوله تعالى : " انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملها الانسان " ، فاباء السموات والأرض حمل الأمانة لأنها لم تخلق لحملها ، ولم تعط الأسباب التي تؤهلها لهذا الشرف الكبير ، وحمل الانسان لها لأن معه العقل الذى منحه الله اياه ، ولأن معه الدين الذى أضاء الله له به كل مغالق الكون وأسرار الوجود .

وعظمة محمد النبي عظمة انسانية ، عميقة الجذور في الأرض ، رفيعة الذرى في السماء ، تملك اعجاب كل مفكر ، وكل انسان ، مهما كانت منزلته في الحياة ، ولو كان في عزة الصديق وجلال عمر ، وتقوى عثمان ، وبطولة على .. عظمة جاوزت حد المألوف المعروف من شئون الناس .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن كما روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حين سألها سعيد بن هشام عن خلق رسول الله (ص) فقالت : كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن : قد أفلح المؤمنون _ أخرجه مسلم من رواية زرارة بن ابى أوفى عن سعيد بن هشام وأخرجه الحاكم .

ولقد ربى النبي أصحابه على العزة والشمم والنبل ، وعلى العفة والطهر والبطولة ، فكانوا حملة الرسالة ، ودعاة الحضارة ، والمستمسكين بعروة الله الوثقى التي لا انفصام لها .

ونحن نرى الرؤساء والقادة اليوم ، كثيرا ما يحاولون اطفاء الأنوار من حولهم ، فلا يظهرون تبوغ أحد بجوار مازعموه لأنفسهم من نبوغ .. ولكن الرسول الأعظم هو وحده الذى برئت نفسه من كل أثرة ، ونزهت من كل أنانية انسانية ، ولقد أوقد الأنوار كلها من حوله ، فظهرت مواهب أصحابه جميعا ظهور الشمس في رائعة النهار ، فكان منهم كل من صلح لتأسيس دولة ، وسياسة أمة ، وقيادة جيوش ، وتدبير أمور ، وابداع حضارة ، وتحويل مجرى التاريخ ، رضى الله عنهم أجمعين ، ولقد بقيت سيرتهم عطرة خالدة في فم الزمن ، وفي صحف الأجيال ، من حيث لم يبق لصحابة موسى كليم الله ، ولا لحواريي عيسى نبي الله ، سيرة تدل على عظمة خارقة . لقد كانت الذات المحمدية بجلالها وكمالها وعظمتها أروع فكرة مضيئة في الحياة مباقية في ضمير الأيام ، مذكرة بالله وبعظمة الدين ، وبخلود الاسلام .

يقرر المؤرخ كريستوفر دارسون في كتابه " قواعد الحركة في تاريخ العالم (ص ٢٥٧)

أن الأوضاع العالمية تغيرت تغيرا مفاجئا بفضل فرد واحد ظهر فى التاريخ وهو محمد

ويقرر المؤرخ توينبى فى كتابه مدخل تاريخى للدين" أن سيرة الرسول السياسية كانت عاملا من أهم العوامل وأبرزها فى تاريخ الحضارات ، وفى بناء الامبراطورية الاسلامية ، والذين يريدون أن يدرسوا هذه السيرة العطرة الملهمة يستطيعون أن يجدوا أمامهم شتات الأسفار التى كتبت عن السيرة المحمدية ، وسجلت كل ما خفى وعلن من شئون حياته فى جميع أطوارها وملابساتها ، مما لا يتوافر مثله للباحثين فى حياة نبى من أنبياء الله ولا رسول من رسله الكرام .

ويتصل بعقيدة الاسلام ما شرعه الله من عبادات ، جعلها ركنا من أركان الدين ، وفرضها على كل مسلم ومسلمة ، وفى مقدمتها الصلاة . الصلاة التى يرتفع فيها وبها الانسان فى معارج الانطلاقة الى حيث يتصل بالخالق الأعظم اتصالا روحيا ، يغرس فيه عز المؤمن ، وكرامة المسلم ، وشرف العابد ، وجلال الزاهد ، وعبودية الراكع الساجد . فالصلاة جزء من عقيدة الوحدانية وشريعة التوحيد ، انها أساس العقيدة وحجر الزاوية فيها ، وانظروا الى ضلال العقل الانسانى البعيد عن الله وعن اشتراق الدين فى نفوس المتدينين ، نيتشه المفكر الألمانى يتبجح فيقول :انه لشئ مخجل أن يبتهل الانسان بالصلاة .

والانسانية كلها تكذبه ويكفى أن نرد عليه بأن الصلاة انما هى نتيجة لترقى الانسان فى فهم وحدة الكون ، ووحدة القدرة الالهية التى تقوم بتدبيره ، والصلاة فى الأديان العليا علامة من علامات التقدم الانسانى فى فهم حقائق الكون ، وفهم الصفات الالهية ، وهى مظهر لوجود الله الماثل فى ضمائرنا ، ولا يمكن أن تغنى النواميس الطبيعية وحدها الانسان عن الاتصال الروحى بخالقه وخالقها .

والصيام – وهو موجود فى جميع الشرائع القديمة – قد ارتفع به الاسلام ، فجعله علامة من دلائل الصحة والقوة ، والتضحية والايثار ، والانسانية فى الانسان المسلم ، ومظهرا لقوة الارادة ، ووسيلة الى منعة الشخصية ، وكمال الذاتية ، والى القدرة على الصمود فى وجه الشدائد والمحن ، التى تنزل بساحة المؤمن ، وكأنها على قلبه برد وسلام ..

هذه العقيدة الاسلامية الجليلة هى العقيدة الصالحة ، عقيدة الفطرة الصادقة ، عقيدة النفس الانسانية الواعية ، عقيدة تمتاز ببساطتها وحيويتها وجلالها ، عقيدة صالحة لكل زمان ومكان ، لا تجافى العقل ، ولا تتنكر لطبيعة الحياة ، ولا تثير الرعب والفزع من النار ،

عقيدة تري العمل ما كان خالصا لوجهه الكريم ، وتأمر المسلم أن يولي وجهه دائما شطر الله ، يذكره في كل لحظة ، عند كل خاطرة ، يسبح بحمده وقدرته ، يخشع لجبروته وعظمته ، يعنو لقوته وارادته وحكمته ، انها عقيدة الايمان والتوحيد ، عقيدة الدين الكامل ، عقيدة تكرم الانسان فتهبه الحرية وتمنحه شرف العبودية ، وتقرر المساواة والاخاء بين الناس اجمعين وتهب المستضعفين في الأرض كل حقوقهم ، حرية وعدل ، عمل وقول ، تضحية وبذل .

وستظل هذه العقيدة دائما منار الحرية للمستعبدين ، ونبراس العزة للخائفين ، ومشعل النور والمعرفة للحائرين .. ستبقى حية في الأرض ، خالدة على الأيام ، كريمة مضيئة في ضمير الحياة ، ووجدان الاجيال والعصور والأحقاب . وبها كان للاسلام الخلود والبقاء والدوام الى أبد الآباد ، وحتى تقوم الساعة .

وأمر ثالث هو مصدر خلود الاسلام وبقائه ما بقيت الارض والسماء ، الا وهو قوة مبادئ الاسلام السياسية والاقتصادية والعالمية ، هذه المبادئ التي بقيت صلبة منبعثة في الأرض على امتداد أربعة عشر قرنا من الزمان ، لم تلن لها قناة ، ولم يهن لها عود ، ولم تذل لها شوكة ، ولم تسكن لها حركة ، ولم تبطل لها ألفة .

شموخ الاسلام ومنعته وكبرياؤه ، قوته وعزته وعظمته واباؤه ، طموحه ووثوبه واقتداره وتجدده .. هي كلها مضرب الأمثال في صفحات الخلود ، وفي تاريخ الأديان ، والعالم والشعوب .

لقد بقي الاسلام ، وبقيت مبادئه ، كالطود الشامخ ، وكالنجم الثاقب ، وكالموج الهادر ، وكالأمل الباهر ، كالربيع المتجدد الزهر والعطر والسحر والجمال والنضارة ، قرونا واحقابا ، عصورا واجيالا مديدة ، لم تؤثر فيه الاحداث ، لم تنل منه الأيام ، لم تخدش صفحته المتألقة عاديات العواصف والخطوب .

تهاوت أمام عظمته أمم وحضارات وعقائد وثقافات ، وبادت من حوله مدنيات ومجتمعات . وبقيت دعوته وحدها مرفوعة اللواء ، شامخة البناء ، قوية الأركان ، منيعة البنيان يأوي اليها المحرومون ، ويلوذ بها المعذبون في الأرض ، وتهتدي بهداها الجماعات والامم والناس أجمعون .

وسبحان الله ارتضى الاسلام دينا ، وأنزله شريعة ، وأوحى به كتابا حكيما ، جمع خير الدنيا والاخرة .

(أ) اما قوة الاسلام ومبادئه ونظرياته السياسية :

فلقد خضع لها المفكرون والمشترعون والسياسيون ، ووقفوا حيالها حائرين مشدوهين مذهولين ، لما انطوت عليه هذه المبادئ من عظمة نادرة وحكمة باهرة .

أقام الاسلام على رأس الجماعة الاسلامية اماما يحكم بالعدل والشورى وهو صاحب السلطان وولي الأمر في الامة . ومن حوله أولوا الذكر من الحكماء والخبراء والمصلحين والمخلصين .

وجعل الفرد حرا مسئولا .

وجعل أحكام الشريعة نافذة مهيمنة ، في كل جيل وكل بيئة ، وهي أساس مصلحة الامة سعادتها ورفاهيتها وتقدمها وازدهارها وأساس الأمن والشرف والعزة لها .

وجعل الأمة الاسلامية موصولة الرحم والأخوة ، مشمولة بالرعاية والتعهد والعدالة الاجتماعية ، تقوم أمورها على الحب بين الناس، وعلى النصيحة لله ورسوله ، ولأولي الأمر ، ولعامة المسلمين ، وعلى احترام الحدود والقصاص العادل لمن تسول له نفسه ارتكاب ما حرم الله ، قصاصا لا تأخذ الحاكم فيه ولا في الله من أجله لومة لائم ..

مبادئ تؤمن بحرية الانسان وخلافته لله في الأرض ، ومنها تنبعث الرفاهية والحضارة في العالم ، وبها يلتحم الدين والسياسة في مجتمع الاسلام التحاما وثيقا ، فلا ينفصل الدين عن الملك ، ولا الملك عن الدين . فالجانب الديني والسياسي يلتئمان في الأمة الاسلامية في وحدة قوية باهرة ، والتحام الدين بالدولة هو أعظم ظاهرة في الاسلام وبه صارت القيم الأخلاقية في التشريع والنظام السياسي وتكوين الأمة الاجتماعي ، منهجا أصيلا ملتزما . وكان الاسلام بهذا المنهج على مر العصور المثل الأعلى للعالم ، ولهايا وات المسيحية الغربية ، الذين حاولوا تطبيق مناهجه في مجتمعاتهم ففشلوا ، لان طبيعة الاسلام تخالف طبيعة المسيحية التي لا تتصل شرائعها بالمجتمع والدولة اتصالا ما ، من حيث ظل الاسلام قوة دينية وسياسية معا ، فالعبادات والمعاملات والقوانين المدنية والدستورية والجنائية ونظم الحكم والسياسة ، كل ذلك هو في صلب مواده ، وقد احتواها كلها كتاب الله الحكيم ، ودستوره الخالد ، القرآن الكريم .

ولقد اثبتت قوة الاسلام السياسية فعاليته الكاملة وسمو نظامه السياسي على كل نظام سياسي عالمي طبق حتى اليوم في الأرض .

وحسبنا أن فكرة الأمة الاسلامية كما جاء بها الاسلام ، هي أروع فكرة شهدتها الانسانية الى الآن . ولم يسبق الاسلام اليها دين من الأديان ، ولا نظام من النظم السياسية في العالم ، ولم تزل ينبوعا لكل فيض من فيوض الايمان ودافعا يدفع المسلمين الى الاخوة الكاملة في الله ، أخوة اختفت فيها كل عوامل الفرقة بين الناس من الجنس واللغة وعصبية النسب والسلالة وانفرد الاسلام وحده بهذه الظاهرة الفذة العجيبة ، ظاهرة الوحدة الاسلامية بين المؤمنين به ، واشتملت أمة الاسلام على العرب والفرس وأقوام من البيض والسود والهنود والصينيين والروم جميعا ، على تباعد الديار ، وتنائي الأقطار ، وتفاوت المصالح . ولم يخرج عن هذه الامة ولا عن دائرة الضوء فيها أحد بمحض ارادته ، لينشق عليها او يقطع للصلة بينه وبينها ، اجيالا طوالا .

وقد نجح الاسلام في تكوين المجتمع الدولي المتحد ، أو ما نسميه " الولايات الاسلامية العالمية المتحدة " ، نجاحا لم يشاهده العالم حتى اليوم مثله ولا نظيرا له ، ولا تزال أوربا تحاول الوصول الى ما وصل اليه الاسلام في ذلك المجال ، دون أية بارقة من أمل في تحقيق أمنيتها المنشودة .

يقول مونتجمري وات رئيس قسم الدراسات العربية بجامعة ادنبرة بأيرلندا في كتابه "الاسلام والجماعة المتحدة " : ان هذه الفكر منحت المسلم مقياسا للحياة أرفع وأسلم من مقياس العصبية والوطنية ، وهو مقياس الضمير المستقل عن أصحاب السيادة ، وربقة الوراثة والمصالح الشخصية .

(ب) <u>وأما قوة مبادئ ونظريات الاسلام الاقتصادية</u> :

فلقد اثبت الزمن صلابتها وصلاحيتها للتطبيق في كل زمان ومكان ، وهي عامل من عوامل خلوده في الأرض .

لقد عرف القرن التاسع عشر نظام رأس المال ، وجعل الربا قاعدته الأولى ، وعاب كذبا وزورا على الاسلام أنه يقف حجر عثرة في سبيل التقدم الاقتصادي بتحريمه للربا ، ولم يلبث هذا النظام أن شهد نظاما آخر يرميه بالسفه والاستغلال ، ويحاول أن يصرعه ، وهو نظام المادية الاقتصادية الذي ينكر الربا وينكر معه رأس المال .

ويقف النظامان اليوم يتصارعان على سيادة العالم ، والاستحواذ على اقتصاديات الأمم .

وهذا دليل ما بعده من دليل على أن نظرية الاسلام فى الاقتصاد التى مر على تطبيقها بنجاح كبير عظيم أربعة عشر قرنا هى من المنعة والقوة والعظمة والخلود والدوام بمكان لا تحلم به نظرية اقتصادية أخرى .

ومن أهم مقومات هذه النظرية ما يلى :

أولا : الحرية الاقتصادية بأقوى مدلولاتها ، وأوسع مفهوماتها ، حرية فى المبدأ وفى التطبيق ، فى الأصول وفى الفروع .

ثانيا : رأس المال ليس مجردا من الوازع الدينى ولا من النوازع الخلقية ، فهو يسير ومعه الشرف والخلق والأمانة والضمير الدينى . وهو يهدف أكثر ما يهدف الى أداء الواجب لا الى تحقيق الربح وحده ، وظيفته المنشودة خدمة المجتمع الاسلامى ورفاهيته ، والقضاء على العوز .

ثالثا : رأس المال فى الاسلام يبنى ولا يهدم ينفع ولا يضر ، يسعد ولا يشقى لانه لم يمكن له ليوقع ضررا بالجماعة المسلمة ، ومن ثم حرم الاسلام الربا والاستغلال والاحتكار ، كما حرم كنز المال وكذلك حرم انفاقه سفها فى غير فائدة . ومن هنا شرع الاسلام الحجر على الانسان للسفه والجنون وغيرهما .

رابعا : للمال فى الاسلام وظيفة "اجتماعية" ، ومن هنا شرعت الصدقة والاحسان والزكاة والهبة والوصية والقرض والوديعة والوقف والميراث والعارية وغيرها . وكذلك له وظيفة اقتصادية ولهذا شرع البيع والاجارة و رعة والمساقاة والشركة والمضاربة والمزارعة ...... ليتداول المجتمع المسلم الثروة لخيره ورفاهيته كى لا تكون دولة بين الاغنياء ، نظاما آليها عادلا ، يكفل لكل انسان الأمن من العوز ، والحق فى العمل ، وفى الحصول على الآجر وعلى تكافل اجتماعى سليم وعلى الاجر العادل المناسب ، ويضمن له كذلك المنافسة الشريفة الهادفة الى أزدهار الاقتصاد الاسلامى الحر .

(جـ) وأما قوة الاسلام العالمية فهى مضرب المثل فى التاريخ والحياة ، وعند المفكرين المعاصرين كما أنها موضع العجب العجاب عند جميع المؤرخين العالميين المنصفين .

وحسبك أن الاسلام أمد أتباعه بقوة عالية خطمت دولة ما الأكاسرة والقياصرة ، وقضت على دول الحروب الصليبية والمغول ، ووقفت أمام دول الاستعمار والتبشير والدعاية المذهبية

منذ القرن الثامن عشر ، فى صمود وشموخ وعزة وإباء وأنفة لا مثيل لها .

ويؤكد المؤرخ الانجليزى توينبى معجزة الاسلام الكبرى فى انبعاثه ، وفى استيلائه على الأمبراطورية الساسانية ، ثم على الامبراطورية الرومانية الشرقية وفى فوزه بولاء مئات الملايين من أبناء الشعوب ، لتسامحه وعد

ويقرر المؤرخ كشرهير ، فى كتابه " طبيعة الثقافة (ص ٣٨٨) أن الاسلام لما يخضع لم غيره من الظواهر الروحيه والاجتماعية ، اذ لم تكن له طفولة او شباب ، بل انبعث ظاهرة متكاملة غاية التكامل . وحقا لقد انتشر الاسلام فى العالم كله فى زمن يسير ، كما ينتشر شعاع الشمس فى لحظات ، وكان انتشاره دون مساندة قوته له فى هذا المضمار معجزة من معجزاته ، ودليلا على سمو مبادئه وغاياته ، وعقائده وتشريعاته ، هذه المبادئ التى لا تزال - كما كانت - مصدر اشعاع ونور وهداية وعلم ومعرفة .

وهكذا أصبح للاسلام كيان دولى عالمى منذ ظهوره ، فلقد أحدث آثاره العظيمة المدوية منذ حياة الرسول نفسه ، وأثرت مبادئه فى السياسة العالمية ، ولا تزال تؤثر فيها حتى اليوم هذا بينما لم يصبح للمسيحية تأثير سياسى ودينى فى العالم الا بعد وفاة المسيح بثلاثمائة عام ، وبفضل اعتناق الامبراطور قسطنطين لها .

واذا كان الاستعمار قد حاول طويلا أن يبعد الاسلام عن مراكز القوة والتأثير فى العالم ، وجاء التبشير ليحارب الاسلام وتأثيره فى افريقيا وآسيا تارة باسم الدين ، وأخرى باسم العلم ، أو المدنيه ، أو الوطنيه فان ديننا الخالد بقى صامدا عزيزا ، وهو اليوم يقف مبتسما واثقا من قدرته وقوته فى معركة الدعاية المذهبية ، وفى جميع معاركه مع الصهيونيه العالمية فى أرض فلسطين العربية المسلمة .

الاسلام قوة أجل وأعظم ، وأسمى وأكرم ، وأبقى على الزمن ، مما يظن كل أولئك ، وهو شعلة تزداد وهجا وحيوية وضياء بمرور الأيام ، وتقدم العلم ، ووقوف المفكرين فى صفه ، وصلابة المسلمين الحقيقيين فى الدفاع عنه .

وأولى من يجعلون رسالتهم محاربة الاسلام ، أن ينصرفوا الى حرب الوثنية فى جميع صورها ، والى حل مشكلات الانسان المعاصر ، والى غير ذلك من أعمال تعين على تقدم البشر ورفاهيتهم ، ولو قد فعلوا ذلك لأصبحت الحياة غير الحياة ، ولصار الحاضر أكثر اشراقا وبهجة ، ولغدا الانسان المعاصر أكثر ثقة بالمستقبل ، واطمئنانا اليه وأملا فيه .

ويجيء سبب رابع من أسباب خلود الاسلام ، وأكبر مقوماته ،وهو القرآن الكريم هـذه المعجزة الالهية الكبرى ، هذا الناموس السماوي الأعظم ، هذا القانون الانساني الحكيم .

فالقرآن بما تضمنـه من القيم والمثل ، وما احتوت عليه سوره وآياته من الحق والصـدق وما اشتملت عليـه من العلم والحكمة وأخبار الاولين ، وبدء الحياة على الأرض ، وتطـور الانسانية ونهايتها ، هـو هو معجزة الدهـور وآيـة الاحقاب والعصور .

اعجازه البيـاني واعجازه العلمي والكوني ، وأعجازه الاجتماعي والروحي والتشريعـي ، هو آية الآيات ، والدليل الناصع على خلوده في الأرض وبقائه فيها ما بقيت الارض والسماوات .

لقد كشف القرآن في عصر الجهل كل طلاسم العلم ، وحل في عهد البداوة كل الغـاز الحياة ، وأتى بحقائق مذهلة لم تتأت للانسانية وسائل العلم بها أو فهـم بعضها حتى زمننـا الراهـن .

فقد فسر القرآن نشأة الحياة والكون والانسان تفسيرا علميا جليلا عظيمـا .

والعلماء يختلفون في نشأة المجموعة الشمسية : أنشأت من أنفجار الشمس ، أم مـن اصطدامها بشمس أخرى ، أو بمذنب عابر في الفضـاء .

وفي قوله تعالى : أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهمـا ، وجعلنـا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنـون[1] ، شرح صادق دقيق وواضح للقدرة الالهيـة الباهرة في هذا المضمار .

والروح لا تزال سرا محجبا على العلم ، وقد أجمل القرآن نظريتها وسرها في أبلغ كلمات فقـال تعالى :

ويسألون عن الـروح
قل الروح من أمر ربـي
وما أوتيـتم من العلم الا قليـلا[2] .

وما برح العلم الى اليوم عاجزا عن فهم كثير من حقائق الحياة التي جاء القرآن باحـدث تفسير لها ، وفي نظريـة هيز نبرج أن العلـم لا يزال عاجزا عن معرفـة كيف يتصرف كهـرب

---

(١) ٣٠ الانبيـاء .
(٢) ٨٥ الاسـراء .

واحد من كهارب الأجسام المادية ، وانما الذى يعرفه من ذلك هو حكم الجملة ، مما يستحيل تطبيقه على الاجزاء المتفرقة .

وهذا ليس بالشئ الوحيد الذى يعجز أمامه العلم ، بل ان النواميس الكونية غير معروفة حتى اليوم عند العلماء ، يقول بيرس : ان المصادقات قد تكون اليوم قوانين فى دور التكهن ، والقوانين قد تكون مصادفات تكرر على وتيرة واحدة ، ولكنها لا يرتبط بعضها ببعض ارتباط الأسباب بالمسببات ، وفى سورة يس وصف لحركات الليل والنهار والشمس والقمر فى الكون الكبير يدل على اله حق قادر موجود ، وفيه ما فيه من معجزات علمية باهرة هى دليل وحدانية الله وقدرته ، وتسخيره لهذا الكون العجيب .

وقصص النبوات الأولى فى القرآن الكريم أمدت الانسان بما كان يجهله تمام الجهل من أحداث وتاريخ العصور الانسانية الاولى ، التى لم تذكر فى كتب العهد القديم ، ومن بينها قصص عاد وثمود وذى الكفل وغيرهم .

فهل هناك سبب أقوى من هذا السبب فى فهم اعجاز القرآن القرآن الحكيم ، وعظمة المعجزة الالهية فيه .

وهاكم مثلا بسيطا لعظمة كتاب الله ، ولاعجازه الذى هو سر من اسرار الخلود فيه .

النحل هذا الطائر الصغير الذى يقطف الازهار ، ويلقح الاشجار ، ويخرج الشهد المصفى . من عجب ان تسمى سورة من سورة القرآن الكريم باسمه ، دليلا على صنع القدرة الالهية فيه ، ومصدقا لقوله تعالى :

" وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ، ومن الشجر ، ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات ، فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون " (١) .

وانظر كيف قدم الله عز وجل ذكر الجبال فى الآية وذلك دليل على القيمة الطبية الكبيرة للشهد المستخرج من الجبال .

وقد رأيت " رأس الهلال " فى ليبيا ، وهو جبل شاهق فيها على البحر الأبيض المتوسط ، بين سوسة ودرنة ، ويبلغ ارتفاعه نحو الفى متر ، وعسل النحل الذى يستخرج منه من أجود

---

(١) ٦٨و ٦٩ النحل

أصناف الشهد التي يعرفها العالم .

وفي تفسير " شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس " يقول الامام الطبري [1] :

" شراب : هو العسل

مختلف ألوانه : لأن فيه أبيض وأحمر وأسمر . أي ذا لون مكون من عدة ألوان .

فيه : أي في القرآن في رأي . أو في الشهد في رأي آخرين .

شفاء للناس : اى من الادواء ولم يأت الامام الطبري بجديد في تفسير الاية الكريمة .

ما فائدة النص على أن العسل مختلف ألوانه ؟

ولماذا كان فيه شفاء للناس ؟

اللـه . ما أشد جهل الانسان بعظمه كتاب اللـه .

لقد كتب مبشر مغرور يقول متهكما بالقرآن ان عسل النحل هو العلاج الوحيـــــد الذى وصفه القرآن . وصدق القرآن الكريم فيما وصف به الشهد من أن فيه شفاء للناس . وكذب هذا الكذاب المأفون . فليس الشهد هو العلاج الوحيد الذى وصفه القرآن . ولفظه "الوحيد" جاء في كلام هذا المبشر مبنيـه على المغالطـة . والكذب والافتراء . وهذا المبشر هـــو زويمـر مؤلف كتاب " بلاد العرب مهد الاسـلام " .

وجاء عالم " انجليزي " فألف كتابا بعنوان " الطب الطبيعي " تحدث فيه عن أهميـــة الشهد الطبيـة العجيبـة . اذ قرر ان البكتريا لا تعيش في الشهد . لاحتوائه على مادة البوتاس التي تقضي على الرطوبـة اللازمة لحياة البكتريا التي يتولد منها جراثيم الأمـراض . وللتأكد من هذه الحقيقـة أجرى أحد أساتذة البكتريا في أوربا تجارب على أنواع مختلفـــة من الجراثيم لمعرفة مدى تحملها للحياة في الشهد . بأن وضع أنواعا من الجراثيم في قواريـــر مملوءة بعسل النحل الصرف . فكانت النتيجـة كما يلي :

ماتت جراثيم بعض الامراض بعد خمس ساعات .

وماتت جراثيم الدوسنتاريا بعد عشر ساعات

وماتت جراثيم التيفويد بعد يومين

وماتت جراثيم النزلات الصدرية في اليوم الرابع .

---

(١) ١٤/٩٤ تفسير الامام الطبري

وشهد الكيمائيون للمادة السكرية فى الشهد بفوائد طبية جليلة ، مما يضاعف من قيمته الطبية ، فهى مهدئة وملطفة ، وسريعة التمثيل فى البنية الحية ، وتتحول سريعا الى طاقة بدنية ، وهى مساعدة طبيعية لعملية الهضم ، وأوفق للكليتين دون سائر المواد السكرية ، وهى كذلك مناسبة "للمشتغلين بالألعاب الرياضية لتعويض الطاقة المفقودة ".

وأكد عالم فى انكلترا كذلك توفر الاغذية المعدنية فى الشهد ، وتبلغ أكثر من عشرة معادن ، فالنحاس والحديد والمنجنيز أوفر فى الشهد الضارب الى السواد . وهذا يفسر لنا تفسيرا علميا جديدا سر قوله تعالى :"شراب مختلف ألوانه"

ونحن نتعجب للمضمون العلمى الذى سجلته هاتان الآيتان منذ عهد بعيد . قبل تقدم وسائل العلم بزمن طويل ، ونقف فى خشوع ، واجلال مبهورين بما احتواه الكتاب العظيم من اسرار العلم ودقائقه .

وسبب آخر أو اخير أو خفى لخلود الاسلام ، هو وعد الله الصادق الكريم فى قوله تعالى: " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون[1] " .

ويؤكد ما قرره القرآن هنا أن الاسلام وقد مضى عليه أربعة عشر قرنا ، جابهه فيها آلاف الدعوات والمذاهب والطغاة والاحداث ، ومع ذلك لم يستطع شئ منها أن يخدع المسلمين عن حقهم بالباطل الذى يفتريه الكاذبون . وظل وسيظل الاسلام وكتابه الحكيم خالدا محفوظا الى يوم الدين باذن الله .

ومع ما تشهده اليوم من غربة الاسلام الروحية فى عقول بعض المسلمين ، من أبواق المبشرين والماديين والجاحدين ، فان الله عزوجل ناصر دينه ، ومظهر نوره ومتم كلمته ، ولو كره الكافرون .

وفى الحديث الشريف ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بدأ الاسلام غريبا ،

---

(١) ٩ سورة الحجر

وسيعود غريبا ، كما بدأ ، فطوبى للغرباء (١) .

وغربة للاسلام فى آخر الزمان المشبهة بغربته فى أول ظهوره يمكننا أن نجمل الآراء فيها فيما يلى :

أولا : قلة المسلمين فى آخر الزمان ، أو ضعفهم وهوانهم ، مما أشبهوا فيه حالة المسلمين فى بدء ظهور الاسلام التى عبر عنها الرسول صلوات الله عليه فى قوله المأثور : "اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس" يقول ابن الاثير : كان الاسلام فى بدء أمره كالغريب الوحيد الذى لا أهل له لقلة المسلمين يومئذ" .

ثانيا : ضعف الدين فى نفوس المسلمين فى آخر الزمان ، حتى لا يكاد يوجد بين القائمين به الا الافراد القلائل : كما يذهب اليه المناوى فى " فيض القدير" (٢) .

ثالثا : قلة ما فرضه القرآن على المسلمين من أحكام الدين فى بدء ظهور الاسلام ، وقلة ما يعملون به من أحكام الدين فى آخر الزمان كما ذكر المناوى أيضا .

---

(١) وهذه رواية البخارى فى كتاب الحجج ، ومسلم ، وابن ماجه - وهى رواية ابى هريرة ويروى الحديث بروايات مختلفة :

١- عن سعد بن أبى وقاص قال ، سمعت رسول الله (ص) وهو يقول ؟ " ان الايمان بدأ غريبا ، وسيعود كما بدأ ، فطوبى يومئذ للغرباء اذا فسد الناس " (الجزء الثالث - مسند الامام احمد - دار المعارف بمصر) .

٢- وعن ابن عمر : ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، أى فيقل المسلمون فى آخر الزمان فيصيرون كالغرباء .

ويروى عن ثوبان عن رسول الله (ص) : ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء ، أى بدأ غريبا فى قلة من الناس ثم انتشر ، وسيعود غريبا لايكاد يوجد من القائمين به الا الافراد (فيض القدير للمناوى (٢/٣٢١) .

(٢) ٢/٣٢١ فيض القدير للمناوى ، وقد جمع الطرطوشى بين التعليل الاول والثانى فقال فى تفسير الحديث " كان الرجل اذا اسلم غريبا مستخفيا باسلامه ، قد جفاه الاهل والعشير ، فهو بينهم ذليل خائف ثم يعود غريبا لكثرة الاهواء المضلة حتى يبقى أهل الحق غرباء (٢٩ كتاب الحوادث والبدع للطرطوشى - ط دار الاصفهانى بجدة) .

رابعا : ذهب الشيخ المراغى فى مقدمته لكتاب " حياة محمد " الى أن غربة الاسلام فى بدئه هى حياته وظهوره وقوته فى المدينة التى لم تكن دار الاسلام الاولى بل هى دار غربة له بالنسبة الى مكة وغربته فى آخر الزمان ، معناها أنه يعتريه ضعف بعد ظهور أمره ، ثم يعود الى الظهور بين أقوام غرباء عنه من غير أهله فيقيض الله له أمة قوية جديدة تهيمن به وتحييه ويعود بها الى الظهور .

خامسا : ويرى الشيخ عبد الحليم قادوم رحمه الله أن المعنى على غرابة مبادئ الاسلام على النفوس أولا وأخيرا .

سادسا : ومهما كان الرأى فى معنى الحديث ، فأنا لا أخرج به عن معنى غربة الاسلام الروحية والفكرية فى نفوس بعض المسلمين فى آخر الزمان ، مما نشاهد بعضنا منه اليوم ، كتنكر البعض لمبادئ الاسلام ونظمه وأحكامه ، كما كان الامر كذلك فى أول الزمان ، ولكن الحديث لا يدل على شئ مما حمل عليه بالباطل من ذهاب شوكة الاسلام وأهله ، لأنه سيظل عزيزا أبدا ، قويا أبدا ، خالدا أبدا ، فى نفوس مئات الملايين من المسلمين الذين آمنوا به ، وفى نفوس الآلاف التى تدخل فيه كل يوم فى شتى انحاء العالم ، مؤمنة بأنه خاتم الشرائع ودين الله الخالد ، وصدق الله العظيم وانه لكتاب "عزيز" لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد (١) .

وما نقوله مبنى على المشبه لا يعطى حكم المشبه به من كل وجه بل يعطى حكمه العام المتميز به ، أما لوازم هذا الحكم العام فليس من الضرورى أن يثبت للمشبه على أية حال من الاحوال .

وليس أدل على خلود الاسلام من قوله تعالى :

" يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٢) .

وبعد :

فاننا - باذن الله ومشيئته - لسوف نشهد ازدهار الاسلام وقوته وعظمته ، رضى أم كره الجاحدون .

---

(١) ٤٢ فصلت .   (٢) ٣٢ و ٣٣ التوبة

والعمل من أجل الاسلام ونصره وتقدم المسلمين ورفاهيتهم ،فرض محتوم على كل مسلم في الأرض .

وهنا نقول :

ان على شباب الجامعات العربية بعامة ، وشباب الجامعات الاسلامية بخاصة ، أن يعملوا من أجل الاسلام ، وتقدم المسلمين .

عليهم أن يحاربوا الغربة الروحية لمبادئ الاسلام في نفوس بعض المسلمين .

عليهم أن يدرسوا الحضارة الاسلامية وأثرها في العالم .

أن يدرسوا الفكر الاسلامي وأعلامه .

أن يدرسوا الثقافة الاسلامية في تراثها العظيم الخالد .

أن يدرسوا السيرة النبوية والفتوحات الاسلامية ومعارك الاسلام الكبرى .

ان يدرسوا حركة الاسلام ومجتمعاته في الماضي ، والحركات الاسلامية اليوم في الشرق والغرب .

ان يدرسوا مبادئ الاسلام وأصوله الخالدة في كل جوانب الحياة ، وما أجلها وأعظمها . على أن ينشروها في دراسات حديثة بلغة العصر الذي نعيشه عليهم أن يبنوا الكيان الاسلامي بالاصالة والحقائق .

ان يبنوا المراكز الاسلامية في كل مكان منارات علم وهداية الى الاسلام .

ان ينشئوا المجلات الاسلامية المتخصصة الرفيعة .

انه ليجب أن نعلم أن التخطيط في الشرق والغرب قائم على قدم وساق لمحاربة الاسلام وان وسائل هذه الحرب ما خفي منها وما علن كثيرة ، تدعمها القوة والمال والعلم والخبرة .

ومن هنا كانت التبعة كبيرة والمسئولية فادحة ، والامانة ثقيلة .

وهذا ما يحفزنا على العمل ، فلنعمل دائما ، ولنعمل أبدا ، من أجل الاسلام وكتابه العظيم .

لتكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين " كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

فان الله وعد المؤمنين، المؤمنين حقا وصدقا، بالنصر، وأكد أن دين الاسلام خالد الى يوم يبعثون .

......

وبعد فما أجل مفاخر الاسلام ومآثره وعظائمه التى لا ينتهى الحديث فيها، ولا يمل الكلام عنها، وتقف كل بلاغة خاشعة امام جلالها وعظمتها .

وهنا اعترف بالعجز مهما قلت، وبالقصور مهما أطلت وحدثت .

وحسبى أن اتمثل بقول هوميروس شاعر اليونان القديم فى ملحمته المشهورة "الالياذة"

نشيد الزمان

وقصيدة الماضى

وغناء السلف

وحداء القافلة لا تفتأ

تخب فى بيداء الأزل، الى الواحة المفقودة فى متاهة الابد

انشد ايها الشاعر

وأملا الاحقاب موسيقى

واللا نهاية جمالا وسحرا

فالارواح ظامئة

والقلوب متعبة

والانسانية واجفة

والآذان مكدودة من دوى العصر

فهى أبدا تحن الى سكون الماضى وجلاله

لن تصمت ايها الشاعر

فالقيثارة الخالدة لا تزال فى يديك

والقلوب هى القلوب

فدع أوتارها تملأ الدنيا رنينا

فرنينك العذب أعذب لأنين

الشاكين، ولوعة الباكين .

رمضان فى الحياة الاسلامية

رمضان شهر التاريخ والذكريات فى حياة الاسلام والمسلمين .

ففى شهر رمضان نزل القرآن دستور الرسالة المحمدية الخالدة ، حيث نزل به جبريل عليه السلام الى السماء الدنيا ثم كان ينزل به على رسول الله صلوات الله عليه منجما حسب الوقائع والاحداث .

وفضل رمضان والعبادة فيه انما كان بسبب هذه الذكرى المجيدة فى تاريخ الانسانية ، ذكرى نزول القرآن الكريم .. " شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان " من الآية ١٨٥ من سورة البقرة .

ولذلك فرض فيه الصوم يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية للهجرة وسن فيه العبادة والذكر والتلاوة والقيام والاعتكاف .

وفى رمضان ليلة خير من الف شهر ، وهى ليلة القدر التى نزل فيها القرآن على محمد (ص) " انا انزلناه فى ليلة القدر " الاية ١ من سورة القدر .

وقد سمى رمضان بهذا الاسم لانه يحرق الذنوب ، وشريعة الصيام فيه هى الركن الثانى للاسلام ، وفى الحديث النبوى :

" بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت ، وصوم رمضان " .

وفى الحديث الشريف :

" من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه "

وفى الحديث ايضا :

ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر والامام العادل و ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها ابواب السماء " .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم شهر رمضان ، ويقول لهم " جاء شهر رمضان بالبركات فمرحبا به من زائر .. "

ويقول كذلك صلوات الله عليه : " لقد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، كتب عليكم صيامه فيه ليلة خير من ألف شهر "

ويقول ايضا صلى الله عليه وسلم :
" لو علمت امتى ما فى رمضان من الخير لتمنت أن يكون رمضان السنة كلها ".

وقد وقعت احداث كثيرة فى العالم الاسلامى فى رمضان
ففى العاشر من رمضان للعام العاشر من البعثة النبوية توفيت خديجة — زوج رسول الله وتوفى عمه أبو طالب وفى رمضان فى السابع عشر منه من السنة الثانية للبعثة كانت بدر الكبرى التى انتصر فيها الرسول والمسلمون انتصارا مؤزرا .

وفى الحادى والعشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة انعم الله على رسوله بفتح مكة .

وفى رمضان من العام الحادى عشر للهجرة توفيت فاطمة الزهراء بنت رسول الله وزوج على وام الحسن والحسين .

وفى رمضان من السنة الثالثة والخمسين توفيت عائشة أم المؤمنين .

وفى رمضان من العام الثالث والخمسين فتحت جزيرة رودس احدى جزر شرق البحر الابيض على الشاطئ الجنوبى للاندلس لفتح هذه البلاد .

وفى رمضان من العام الحادى والستين والثلاثمائة تم بناء الجامع الازهر .

وفى رمضان من العام ٦٥٨ كان نصر الاسلام على التتار — فى معركة " عين جالوت " بقيادة قطز .

وفى العاشر من رمضان ١٣٩٣ كان النصر على اليهود وتحطيم خط بارليف .

الى غير ذلك من الانتصارات الباهرة التى تمت فى رمضان على امتداد السنين والاجيال ونال بها الاسلام عزا وتمكينا .

ولقد كان الصوم معروفا فى الجاهلية فقد كانت قريش تصوم يوم عاشوراء .

وشريعة الصيام شريعة عرفتها جميع الامم القديمة والحديثة — على السواء فى شريعة الاسلام للصوم شروط واداب يجب أو يستحسن مراعاتها .

والمسلمون على طول عصور التاريخ يحتفلون برمضان احتفالات رائعة .
ويبدأ الاحتفال برمضان بموكب الرؤية أى موكب رؤية هلال شهر رمضان .

وفى مصر كان القاضى ابو عبد الرحمن بن لهيعة الذى ولى القضاء فى مصر عام ١٥٥ هـ / ٧٧١ م أول قاض خرج لرؤية هلال شهر رمضان فكان ذلك سنة لمن جاء بعده من القضاة . حيث كانوا يخرجون الى مسجد محمود بسفح جبل المقطم لرؤية الهلال فى شهر رمضان وشهر شعبان استعدادا لرؤية هلال رمضان .

وفى مكان مرتفع من المسجد كانت توجد (دكة) تسمى (دكة القضاة) حيث كانوا يجلسون عليها لرؤية الهلال . وقد اهمل بناء هذا المسجد فى العصر الفاطمى . فصاروا يرصدون الهلال من فوق مناراته .

وكان موكب الرؤية فى العصر الفاطمى يتصدره الخليفة والعلماء والامراء والوزراء والقواد والشعب من جميع المهن والحرف ويسير الموكب من بين القصرين الى باب الفتوح ثم يعود من باب النصر الى باب الذهب . حيث قصر الخليفة .. وكان الخليفة ينتظر حضور شهود الرؤية فاذا ثبت رؤية الهلال كتب الخليفة بذلك الى الولاة والنواب على البلاد وامر بانارة مآذن الازهر بالقناديل وبعث بالجنود الى الاحياء المختلفة واستبشر الناس بذلك استبشارا كثيرا .

وفى عهد المماليك كان يخرج قاضى القضاة ومعه القضاة الاربعة للمذاهب الاسلامية والشهود لرؤية الهلال ويشترك معهم محتسب القاهرة وتجارها ورؤساء الطوائف والمهن فيها وجموع الشعب . وكان شهود الرؤية يرصدون الهلال من فوق منارة مدرسة السلطان قلاوون بالنحاسين . فاذا تحققت لهم الرؤية اضيئت القناديل على واجهة الدكاكين وخرج قاضى القضاة فى موكبه تحف به الفوانيس والمشاعل حتى يصل الى داره . وعندئذ تتفرق جموع الشعب معلنة بأن غدا هو أول ايام الصيام . وقد اتخذ ساحة القاضى مكانا لانتظار مواكب الرؤية حتى يجىء الشهود بالنبأ الحاسم .

وقد عنيت الدولة الفاطمية باحياء ليالى رمضان والاحتفاء بأيامه لذكرى نزول القرآن فيه . وبخاصة أن شهر رمضان اقترن عندهم بذكر فتح مصر على يد جوهر الصقلى عام ٣٥٨ هـ

وبذكرى دخول المعز للقاهرة فى رمضان من عام ٣٦١ هـ

وقد بالغ الفاطميون فى صنع الطعام حتى كانت القدور التى تعد للفقراء كل ليلة من ليالى رمضان فى قصر الخلافة اكثر من الف ومائتى قدر .

وكان هدفهم من كل ذلك غير بعيد عن الدعاية لدولتهم ولعقيدتهم .

ولا ننسى أن الفاطميين كانوا يجلسون فى قصورهم الشامخة لتلقى التهنئة برمضان وللاستماع الى مدائح الشعراء كلما حل رمضان كما كانوا يجلسون كذلك هذا المجلس اذا ودع رمضان احتفاءا بالعيد .

وهذا الامير الشاعر تميم بن المعز الفاطمى يمدح العزيز بالله ويهنئه باقبال رمضان فيقول

لِيهنك أن الصوم فرض مؤكـــــد
من الله مفروض على كل مسلــــم
وانك مفروض المحبة مثلـــــه
علينا بحق قلت لا يا لتوهــــم

وفى العصر الفاطمى كان الخليفة يجلس فى شرفة كبيرة من شرفات قصره لسماع القــراء والوعاظ والمنشدين ثم يأمر الخليفة بتوزيع الهدايا والحلوى من القطائف والكنافة عليهـم ويقال ان هذه الانواع من الحلوى كانت قد صنعت خصيصا لسليمان بن عبد الملك أو لمعاوية بن ابى سفيان وفى نهايتها للياقتمد للخليفة مائدة السحور ومعه جلساؤه وخواصه والمقربون من اقاربه واصهاره واصدقائه ورجال دولته ويوزع عليهم الخليفة كذلك نصيبا من الحلــوى لاولادهم ، ثم يأذن لهم فى الانصراف

وكان من تقاليد الاتراك فى القاهرة فى رمضان الصلاة فى مسجد الحسين واضاءة المــآذن بالليـل .

ولا زالت اثار الحفاوة برمضان واحياء لياليه ظاهرة واضحة فى القاهرة الحديثـة حتـى اليوم .

وفوانيس رمضان ظاهرة رمضانية معروفة وقد عرف الناس فانوس رمضان فى عهد الدولـة

الفاطمية حيث استقبل المعز فى دخوله القاهرة فى الخامس من رمضان عام ٣٦١ هـ من صحراء الجيزة حتى قصره الكبير فى القاهرة المعزية بالفوانيس المزدانة ٠

ويقال : ان النساء كن لا يخرجن من منازلهم الا فى رمضان حيث يتقدم السيدة أو الفتاة صبى صغير يحمل فى يده فانوسا احمر يضاء ليعلم المارة ان احدى السيدات تسير فيفسحون لها الطريق ٠

وفى عصر المماليك اكثر الشعراء من وصف فانوس رمضان ٠ كما ارتبط رمضان فى العصرين المملوكى والتركى بانواع من الحلوى كالكنافة والقطائف وقد اكثر شعراء العصرين من الحديث عن حلوى رمضان ٠ وهذا شاعر العصر المملوكى ابن نباته يقول :

ياسيدى جاءتك فى صدرها
كأنها روحى فى صدرى
كنافة بالحلو موعودة
كما تقول العسل المصرى

الى أن يقول :

لازلت فى الدهر كما تبتغى
وفوق ما تبغى من الدهر

وقد عرف المسحراتى منذ صدر الاسلام حيث كان هناك مؤذن للاعلام بالفطور وآخر للاعلام بالامساك عن الطعام والشراب ٠

وفى عام ٢٣٨ هـ كان ولاة مصر يذهبون الى جامع عمرو بن العاص سيرا على الاقدام من مدينة العسكر وهم ينادون للسحور وقد سن لهم هذه السنة عنبسة بن اسحاق والى مصر فى ذلك العصر ٠

وكان المؤذنون فى العصر الفاطمى يؤذنون على المآذن للسحور ٠
وهذا شاعر يقول :

أيها النوام قوموا للفلاح
واذكروا الله الذى اجرى الرياح
ان جيش الليل قد ولى و راح
اشربوا عجلا فقد جاء الصباح

وكان ابن نقطة (ـ ٥٩٧ هـ) يسحر الناس واخترع القوما لذلك ، وهو فن شعري له تقاليده الفنية الخاصة .

وفي القرن الثامن الهجري كانت القناديل التي تعلق فوق المآذن هي التي تحدد للناس مواعيد السحور والامساك فاذا كانت مضاءة فان موعد السحور باق ، واذا اطفئت كان ذلك رمزا لان الفجر قد اقترب .

وقد استمر المؤذنون يوقظون الناس للسحور .

كل هذه المظاهر من الحفاوة برمضان كانت ظاهرة شائعة في مصر بل في كل انحاء العالم العربي والاسلامي .

وفي الحرم المكي والحرم المدني يتجمع الناس في الحرمين قبيل المغرب يقرأون القرآن ويطوفون ثم اذا ما اذن للمغرب تناولوا التمر وبعض انواع الحلوى والفاكهة ثم يصلون المغرب وبعد ذلك يجلسون حتى يصلوا العشاء وصلاة التراويح ، ثم ينصرفون الى منازلهم فيتناولون طعام العشاء .

ولا ننسى أن عمر بن الخطاب هو الذي جمع الناس لصلاة التراويح واضاء محاريب المساجد في رمضان رحمه الله ورضي عنه .

هذا قليل من كثير مما قل نظيره عن رمضان في هذه المناسبة العاجلة والله ولي التوفيق .

الامام محمد بن علي السنوسي

شهد القرن الثالث عشر الهجرى حركات اسلامية اصلاحية كبرى ، كان لها اثرها في تاريخ المسلمين في العصر الحديث وكان لهما فلسفاتهما في الفكر الاسلامي المعاصر

وكان الاضمحلال السياسى ، والتدهور الاقتصادى قد مزق العالم العربى شر ممزق ، واصبحت رقعة العالم الاسلامى خاضعة للنفوذ والسيطرة الغربية .

وبعد قليل سقطت الجزائر فى قبضة الاستعمار الفرنسى وظل المسلمون يتلقون الضربة بعد الضربة من خصوم الاسلام واعدائه ، وهم فى ألم ممض ، وحزن عميق .

وكان ملاذ المسلمين فى هذه الفترة العصيبة رجال الدين وعلماؤه .

فى الازهر الشريف كان الشيخ الدردير رحمه الله يقف ضد اهواء المماليك مدافعا عن الشعب حقه التام فى العدالة ، وكان عمر مكرم يقاوم الاحتلال الفرنسى فى مصر وسعى العلماء حتى نصبوا محمد على حاكما عليهم .

وفى ليبيا كان الشعب يلوذ بعلمائه ليحميه من جور الولاة العثمانيين .

وفى تونس والجزائر ومراكش كان العلماء هم قادة البلاد والمدافعين عن حقوق الوطن والامة ، والمجاهدين من اجل الدفاع عن الحرية والشرف ..

وشاءت المقادير الالهية الحكيمة ، التى قدرت الخير للعالم الاسلامى أن يولد طفل بالمغرب الاوسط فى مدينة " مستغانم " بالجزائر فى عيد المولد النبوى الشريف من عام ١٢٠٢ هـ (٢٢ ديسمبر ١٧٨٧ م) فى بيت علم ودين وفضل ، رجاله ونساؤه فى ذلك سواء وكان هذا الطفل هو محمد بن على السنوسى الخطابى الادريسى الحسنى رضوان الله عليه .

وفى بيت شريف ومجد باذخ وجود دينى وعلمى رفيع نشأ هذا الطفل .. ولم يلبث أن توفى والده وهو فى الثانية من عمره فنشأ يتيما وحفظ القرآن الكريم وطلب العلم على شيوخ مدينته ثم رحل الى " مازونة " ثم " فاس " وكانت محط رجال العلماء ، وفيها مكث سنين ، ونال منها اجازته العلمية ، وحصل على المشيخة الكبرى وعين مدرسا بالجامع الكبير بفاس وظهر

علمه وفضله ،وكثر محبوه ومريدوه .

ثم خرج من فاس سائحا فى العالم الاسلامى وطاف بارض ليبيا ثم ذهب الى مصر وكانت تحت حكم محمد على ،والقى رحاله فى الازهر الشريف واستمع الى علمائه وجلس فى حلقات العلم ثم خرج منها متوجها الى مكة ينشد لقاء الاستاذ الكامل الذى كان يتمنى أن يتخذه رائدا روحيا له..

وفى مكة ــ لقى محمد بن على السنوسى امنيته فى شخص السيد الامام احمد بن عبد الله بن ادريس الفاسى وكان شيخا للطريقة الخضيرية الصوفية فلزمه الامام السنوسى ،واقام معه ، حتى توفى السيد احمد عام ١٨٣٥ فاتخذ اتباعه الشيخ الصوفى الورع محمد بن على السنوسى شيخا لهم ، ورجع شيخنا الى مكة ،واخذ يتعبد فى جبل أبى قبيس واقام فيه زاوية لاتباعه فكانت أولى زواياه بالحجاز واسس كذلك زاوية بالمدينة وعدة زوايا اخرى فى جده والطائف وبدر .

ورجع السيد محمد بن على الى برقة عام ١٨٤٠ ، ومنها توجه الى تونس ثم عاد الى طرابلس عام ١٨٤١ ،وفى ديسمبر ١٨٤٢ نزل بموضع البيضاء ،وبنى فيها زو زاويته الاولى فى تاريخ الزوايا السنوسية فى برقه وكان بناء هذه الزاوية بدء جهاد السنوسى الكبير الروحى والفكرى فى سبيل اداء رسالته الكبرى من اجل الاسلام والمسلمين عامة وليبيا والليبيين خاصة .

وفى عام ١٨٥٦ انشأ زاوية الجغبوب وامر مريديه أن ينشئوا الزوايا فى كل مكان من ارض ليبيا الطاهرة الحرة .

وانتشرت الزوايا السنوسية فى حياة الامام المصلح الاسلامى الاكبر محمد بن على السنوسى فى ليبيا ومصر والحجاز والسودان وتشاد والنيجر ونيجيريا والجزائر وغيرها ومن البيضاء والجغبوب انتشر الدعاة فى كل مكان ،يحملون رسالة الاسلام الى كل جهة .

وكانت الجغبوب قد اصبحت مقرا للدعوة السنوسية لقربها من مراكز الاستعمار فى افريقيا ولمواجهتها لمراكز المبشرين فى كل جهة من الوسط الافريقى .

وكانت دعوة الامام الاكبر بسيطة فى مبناها ،كبيرة فى معناها .وكانت على الجملة هى رسالة الاسلام العظيم نفسه ، بكل عظمته الروحية والفكرية والسياسية والاجتماعية .

كان الامام يؤرقه ماوصل اليه العالم الاسلامي من تأخر وبعد عن جوهر الدين، وكان منذ صغره يفكر في حاضر المسلمين ومستقبل الاسلام وحدث ذات مرة أن وجده بعض الشيوخ جالسا فوق كثيب من الرمال تبدو عليه دلائل التفكير العميق فلما استوضحوه السبب في ذلك كان جوابه على سؤالهم انه انما يفكر في حال العالم الاسلامي وانه لايزال مفتقرا اشد الافتقار الى مرشد حقيقي يكون هدفه سوق العالم الاسلامي اجمع الى غاية واحدة ونحو غرض واحد.

وكان الامام يعمل على تربية جيل جديد من المسلمين جيل مستعد لحمل رسالة الاسلام الى كل جهة والتبشير به في كل مكان وكان يدعو اتباعه ومريديه الى أن يتخذوا من حياة الرسول الاعظم صلوات الله عليه قدوة ومثلا اعلى يحتذونه.

كما كان يدعو الى تنقية الاسلام مما علق به من بدع ومنكرات واوهام.

ويدعو الى وحدة المسلمين وارتباطهم الوثيق في ظلال دينهم العظيم وتعاليمه الكريمة السمحة.

وقامت الدعوة السنوسية على الارشاد والتهذيب وعلى المعرفة والعلم وعلى اخوة المسلمين وتعاطفهم.

وكانت الزوايا بمثابة مصنع يصنع الرجال ويخرج الابطال المستعدين لحمل رسالة الاسلام والدفاع عنها بالنفس والنفيس.

والزاوية كما قال عنها الامام الاكبر في خطاب بعث به الى حاكم فزان العثماني : هي بيت من بيوت الله ومسجد من مساجد ماذ اجعلت بمحل نزلت فيه الرحمة وتعمر بها البلاد ويحصل بها النفع لاهل الحاضرة والبادية لانها ما بنيت الا لقراءة القرآن ولنشر شريعة افضل ولد عدنان وكتب لحاكم طرابلس التركي يحدثه عن الزاوية نريد بذلك ان تكون العمارة مستمرة ونفوس سكانها مستقرة ليحصل منها المقصود ويدوم منها تعلم العلم واقراء القرآن وتفهيمه واقامة شعائر الدين للوافدين عليها والمقيمين بها.

وكان في رسائله الى مريديه يوصيهم بطاعة الله ورسوله وبالتزام شرائع الدين واداء فرائض الاسلام ويسأل عن احوالهم وعن مرضاهم ويوصيهم بمراقبة الحق سبحانه وتعالى في جميع الحركات والسكنات ماظهر منها وما بطن وبأن يلتزموا بالمناصحة والمذاكرة والارشاد ومدارسة العلم والتعاون والتعاطف.

ولم يقف الامام جهوده على تعبئة القوة الروحية للمسلمين فى بلاده وفى العالم الاسلامى فحسب بل عمل على تعبئة القوة المادية كذلك . فعلم اتباعه الفروسية وحمل السلاح ودربهم على القتال ليعود هم الخشونة والصبر على المكاره وملاقاة الاهوال وربى جيلا يدافع عن وطنه ضد الغزاة فى القرن العشرين حتى نال النصر وطرد المحتلين واعلن استقلال ليبيا الحرة .

وفى ميدان الاصلاح استطاع الامام ان يوجد الامن والسكينة والسلام فى ربوع ليبيا وان يجعل الناس يقبلون فى نهم على حفظ القرآن ومدارسته ويبتعد عن المفاسد والشرور وتمكن من المؤاخاة بين القبائل والتدابره حتى اصبح الاخوان السنوسيون كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا وقد اهتمت الزوايا السنوسية بالصناعة والزراعة وشتى مقومات الاقتصاد الليبى .

وفى يوم الاربعاء التاسع من صفر ١٢٧٧ هـ ــ ٧ سبتمبر ١٨٥٩ لبى الامام الاكبر نداء مولاه وفاضت روحه الطاهرة ودفن فى الجغبوب حيث شيعه الاخوان السنوسيون باحر العبرات ورثوه بالمراثى البليغة واصبح يوم وفاته عيد قوميا ودينيا لليبيا المسلمة .

وخلفه ابنه الامام السيد محمد المهدى السنوسى من عام ١٨٥٩ حتى لقى مولاه عام ١٩٠٢ .

وفى ايامه استقرت اركان الدعوة السنوسية وامتد نفوذ السنوسيه فى برقة وطرابلس وفزان وفى افريقية الغربية وفى تونس والجزائر وفى مصر وجنوب السودان وتشاد والنيجر والكونغو وفى الحجاز .

وعلى ايدى الدعاة السنوسيين وصل الاسلام الى دار فور واواسط افريقيا وبلغت الزوايا السنوسية فى أول القرن العشرين مائة وستا وأربعين زاوية وقد نقل مركز الدعوة من الجغبوب الى الكفرة وكان عهده عهد ازدهار على دينى واستقرار سياسى واجتماعى فى جميع الانحاء التى يشرف عليها ويديرها السنوسيون .

وخلفه السيد احمد الشريف السنوسى فضرب المثل عاليا وفى عزة النفس وصلابة الموقف وعظمة الكفاح وفى التقوى والاخلاص والشرف .

وتلاه الامام السيد محمد الادريس السنوسى حفظه الله الذى قاد النضال الوطنى فى ليبيا الى الحرية والنصر والاستقلال واليه يرجع الفضل فى بناء الدولة وفى ايجاد مجتمع الرخاء والرفاهية وفى اتاحة الفرص الكريمة امام المواطنين الليبيين فى كل مجالات الحياة

وهذه الجامعة الاسلامية التي تحمل اسم الامام الاكبر محمد بن علي السنوسي وتقوم على نشر مبادئه ودعوته وعلى حمل رسالة الاسلام الى كل مكان هي من غرس الادريس.

هذه هي الدعوة السنوسية وقادتها الذين حملوا في ارض الوطن الليبي عبء النضال والدفاع عن حرية الامة وقاوموا المحتلين ثلث قرن من الزمان بمقاومة الابطال حتى انتصروا في معركة الحرية والشرف ثم انتصروا في معركة السلام والبناء والتقدم .

وكان للدعوة السنوسية وانتصاراتها الروحية والدينية ثم العسكرية ثم السياسية ثم العمرانية . اثرها الكبير في العالم الاسلامي .

وحسبنا انها قلبت خطط الاستعمار في افريقيا والبلاد العربية عامة وفي ليبيا خاصة رأسا على عقب .

وقد سجلت الدعوة السنوسية في كل عهودها صلابة وقوة وصمودا لامثيل لها في تاريخ العالم العربي الاسلامي فحاربت الاستعمار الانجليزي والفرنسي والايطالي بقوة وصلابة لم تعهد في اية امة من الامم .

ولقد هزمت الحركة المهدية في السودان وهزمت الحركة العرابية في مصر وهزمت الجزائر ثم تونس ومراكش امام فرنسا ولكن الدعوة السنوسية انتصرت في ليبيا لانها قامت على الدين ومن اجل الدين . وفي سبيل الله ورسالة الاسلام وكان انتصارها مضرب الامثال وقدوة احتذتها الشعوب الاسلامية والعربية المناضلة عن حقها في الشرف والعزة والحرية .

ايها السادة :

عندما قام جمال الدين الافغاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بدعوته الاصلاحية الكبرى كان يدعو الى تحرير المسلمين من السيطرة الغربية . ويعمل على توحيد الشعوب الاسلامية وينادي بالرجوع الى الاسلام ومبادئه وثقافاته والى روحه وجوهره فالاسلام المشتمل فيما يشتمل عليه على اصول المبادئ التي تتكون منها الديمقراطية ويضمن فيما يضمن الحقوق السياسية للانسان ويدعو الى الحياة الاجتماعية الرفيعة .

وكان جمال الدين متأثرا بالامام الغزالي اشد التأثر يعد نفسه احد تلاميذه في نزعته الصوفية .

وكان يقول : اذا لم يبين تقدمنا وتمدننا على قواعد قرآننا ودينا فلا خير فى هذا التقدم ولا يمكن أن نتخلص من ربقة الانحطاط والتأخر .

ودعوة جمال الدين الافغانى فى جوهرها تتصل بأوثق الاسباب والصلات بدعوة الامام الاكبر محمد بن على السنوسى .

واذا كان السيد جمال الدين الافغانى قد كرر الدعوة الى احياء روح الامة الاسلامية فقد دعا اكبر مريديه وهو الامام محمد عبده الى احياء فكر الامة الاسلامية والى ايقاظ عقلها اذ كان لابد للنهضة الاسلامية من وجود الروح والعقل جميعا .

وكان محمد عبده رائد الفكر الدينى فى العصر الحديث ولطالما دعا الى تحرير العقل من اساره وعمل على التوفيق بين الدين والعقل . كما دعا الى البناء الثقافى للمسلمين كى يستطيعوا ان يبنوا نهضتهم على اسس دينية وثقافية واسعة .

ودعوة الامام محمد عبده كذلك تتلاقى فى بعض جوانبها فى الاصلاح الدينى مع دعوة الامام محمد بن على السنوسى وقد وصف مستشرق أمريكى كبير محمد عبده فقال كان محمد عبده فلاحا صحيحا وليد تربة مصر العريقة ، قبل أن يغدو مفتيا واماما للمسلمين وفى دعوته الى الوطنية مزاج عجيب من الوفاء للماضى المجيد والاستمساك بيقين الدين والولاء لوطنية الفلاح .

وروح الامام محمد عبده هى الروح الاسلامية المتيدة الثائرة الناهضة النازعة الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفى ذلك يقول من كلمة مأثورة جامعة " انما بقاء الباطل فى غفلة الحق عنه " وطالما كان يردد ضارعا الى الله قوله " اللهم اكشف عن بصائرنا ستار الاوهام حتى نرى الحقائق كما هى كيلا نضل ونشقى " .

وكما كان الامام محمد بن على يفكر فى حال العالم الاسلامى كان الامام محمد عبده دائم التفكير فى عيوب الشرق الاسلامى يعمل على ان يبث فى نفوس المسلمين شعورا دينيا قويا وفكرا اخلاقيا نفسيا .

وتوالت حركات الاصلاح الدينى فى العالم الاسلامى على أيدى ائمة الاسلام وقادته من مثل : الشيخ الاحمدى الظواهرى والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ مصطفى عبد الرازق فى مصر والسيد احمد خان والسيد امير على ومولانا محمد على فى الهند وخير الدين باشا

فى تونس ومدحت باشا فى تركيا وعبد الرحمن الكواكبى وسواهم من الدعاة والمصلحين والمرشدين.

ولكننا نذكر ان الامام محمد بن على استطاع ان يبنى للاسلام والمسلمين صرحا عاليا لا يمكن ان تنال منه الايام.

حقيقة سافرة

نهاية اسرائيل وتوسعها الباطل .. نهاية حتمية قررها القرآن الكريم واكدها بما لا يحتريه الشك وحقيقة لا يقرب الريب الى ما بين يديها ولا خلفها ..

فهذه الدولة القائمة على الغصب والجور والتدمير لا التعمير والتوسع الى ما لا نهاية دولة يهوذا الاخيرة لابد ان تلقى مصيرها الحتمي ونهايتها التى لا مفر منها نطق بذلك الكتاب الحكيم وهو اصدق الناطقين واحكم العادلين واعدل الحاكمين ..

يقول الله عز وجل فى كتابه الحكيم من سورة الاسراء :

لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها ..

فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا .. عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا .. "
(٤ــ١٨ الاسراء) .

القضاء : الحكم الفاصل القاطع الذى لا رجوع فيه .. وعدى الفعل " قضى " هنا بالى وكان الاصل تعديته بعلى وذلك لانه ضمن معنى "انهى" اى انهينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب والكتاب قد يفسر هنا بمعنى امر الله والقضاء الازلى والقرآن ولكن تعدية " الفعل " قضى " هنا بالى " تدل على أن المراد بها التوراه والمعنى على هذا ان هذا الحكم الالهى والقضاء السماوى قد ورد فى التوراه وبلغها الله الى بنى اسرائيل على لسان نبيهم موسى عليه السلام والقضاء الالهى لابد ان يكون لجرائم كثيرة وقعت من اليهود وقد كانت هذه الجرائم دامية وكثيرة كاثرة وقد قص القرآن الكريم بعضها فقص الله عز وجل عليهم هذه الجرائم وبين لهم مصيرهم وما ينتظرهم من عذاب الله وعقابه الاليم فى الدنيا وانزل بذلك آيات فى التوراة كانوا يقرأونها ثم اخفوها ومحوها من كتابهم ولقد اخفى رهبانهم كثيرا من آيات التوراه وغيروا وبدلوا فيها الكثير من الاحكام كما يقول الله عز وجل فى سورة — البقرة (آية ٧٥) :

" افتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون "

وهذا الفريق هم احبار اليهود وعلماؤهم "لتفسدن في الارض مرتين" .

الافساد ضد الاصلاح وهو يشمل الهدم والتدمير والجور والنهب واغتصاب حقوق الناس وأموالهم وأعراضهم وحرياتهم الى غير ذلك من الوان الافساد .. واسناده الى جماعة اليهود دليل على انهم جميعا مشتركون في الافساد وان الافساد ليس بالامر الذي يقع من جماعة منهم دون جماعة ومن فرد دون فرد بل هم كلهم سواء في الافساد ومفطورون عليه وهو أمر يقع منهم جميعا موقع العادة والشيء المألوف .

والارض: المراد بها فلسطين فهي مسرح جرائمهم وارض جرائرهم مثلوا فيها في القديم افظع فصولهم ومثلوا فيها كذلك في الحديث اسوأ فظائعهم .

مرتين : أي مرة ثم مرة في عصرين مختلفين .

ولتعلن : الفعل "علا" يراد به شدة الطغيان حينا كما في قوله تعالى : "ان فرعون علا في الارض"

ويراد به حينا آخر شدة التمكن .. والمراد به هنا المعنى الاول بدليل السياق وعطفه على الفعل "لتفسدن" .. ولو كان المراد به التمكن لقال الله عز وجل : "ولتعلن علوا شديدا" مثلا أي لكان قد وصف العلو بالقوة أو الشدة ولم يوصف بالكبر "فاذا جاء وعد أولاهما"

أي فاذا جاء قضاء الله الموعود بمصير دولتكم في المرة الاولى "بعثنا عليكم عبادا لنا"

"بعثنا عليكم عبادا لنا" وهم نابوخذ نصر (بختنصر) وجيشه على ارجح الاراء .. وكلمة "لنا" هنا لا تفيد انهم مسلمون ولو قال عز وجل عبادا من عبادنا "لافاد هذا التركيب ذلك المعنى .. "اولى بأس" أي قوة "شديد" أي قوى .."

"فجاسوا خلال الديار" مشوا فيها وتخللوا خلالها غازين متسيطرين متسلطين يهدمون ما بنى بنو اسرائيل وكان وعدا قد وعد تم بحدوثه "مفعولا" واقعا لا مفر منه وهو على الحقيقة وعيد لا وعد لان الوعد في الخير والوعيد في الشر واطلق هنا الوعد على الوعيد على سبيل التهكم وهذا هو الغزو البابلي الكبير لدولة بني اسرائيل في عهد الملك البابلي بختنصر وقد دمر دولتهم وقتل منهم مئات الالوف واسر منها كذلك ما لا يحصى من الرجال والنساء والاطفال .

" ثم رددنا لكم الكرة عليهم " :
أي مضى زمن طويل عليكم تحت الحكم البابلي ثم انتهى زمن هذا التسلط وفك اسركم وعدتم الى بلادكم وعادت الكرة لكم عليهم .

" وامددناكم بأموال وبنين "
أي امدكم الله بالاموال وهذا دليل على عودة الازدهار الى حياتهم الاقتصادية كما امدكم بالبنين وهذا دليل على تكاثرهم وكثرة عددهم :

" وجعلناكم اكثر نفيرا " أي نفرا وعددا " ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها " هذا تأكيد من الله عز وجل بان اعمال اسرائيل هي سبب حياتهم أو دمارهم فان احسنوا فلانفسهم وان اساءوا فعليها .. ولكنهم قوم مطبوعون على الاساءة والافساد ومصيرهم دائما هو الدمار والهلاك وهذا كالوعيد من الله لهم وهو وعيد بعد وعيد ولا يترك شكا في مصيرهم ونهايتهم المحتومة ..

والتعبير بان في مقام الاحسان دليل على حصول الاحسان قليلا منهم والتعبير بها في مقام الاساءة تدليل على وقوعها منهم كثيرا واستعمال " ان " انما هو للمشاكلة .

" فاذا جاء وعد الاخرة " : أي اذا جاء وعد الاخرة أي الثانية التي أوعدكم الله فيها بحدوث التدمير لكم ووقوع الهلاك عليكم .

" ليسوءوا وجوهكم " أي سلطنا عليكم عبادا لنا فسلكوكم وقهروكم واذلوكم واساءة الوجوه دليل الذلة والخزي والهوان .

" وليدخلوا المسجد " أي الاقصى الذي تملكتموه فيأخذونه من ايديكم ويرفعون يدكم عنه " كما دخلوه أول مرة " .

أي كما دخله عباد لنا من قبل أول مرة .. " وليتبروا " أي ليدمروا والتتبير اشد انواع التدمير والاهلاك " ماعلوا " أي ما رفعوا من بنيان " تتبيرا " اي تدميرا وهدما .

" عسى ربكم أن يرحمكم " أي يخفف من العذاب الذي يوقع بكم فلا يستأصلكم عبادنا استئصالا شديدا .

" وان عدتم عدنا " أي ان عدتم الى الطغيان والافساد عدنا الى هلاككم وتدميركم واذلالكم .

" وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا " أى فراشا ينامون عليه ويمشون به ويعذبون من فوقه .

ان طغيان بنى اسرائيل فى المرة الثانية هو الطغيان الماثل بيننا اليوم ونتيجته أن يدمروا تدميرا وان يهلكوا اهلاكا وان يذلوا ذلا لاذل مثله ، وان تباد دولتهم ويهدم مابنوا ويحيق بهم عذاب الله وغضبه وانتقامه .

الطغيان ماثل ، والنتيجة حتمية والنهاية واقعة وكل مايصنعون فالى تبار وهلاك ودمار .

ليس لبنى اسرائيل من دون الله وانتقامه وغضبه من واق وليس لهم من ولى ولا شفيع .

وهم الذين يقول الله فيهم :

" ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا "

أى وجدوا – الا بحبل – أى عهد وموثق وحماية – من الله وحبل من الناس – أى من بعض الدول الكبرى كما هو حادث اليوم – " وباءوا – أى رجعوا – بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (١١٢ من سورة آل عمران ")

وبعد فقد انعم الله على بنى اسرائيل فى الزمن القديم فاقام لهم دولة .. ولكنهم لم يشكروا الله ولم يسيروا بالعدل ولم يحافظوا على العهد ولا على السلام فدمرهم الله .

ثم اقام الله لهم دولة فى الزمن الحاضر ولكنهم رجعوا الى طغيانهم وبغيهم وجورهم وسيدمر الله دولتهم كما دمرها اول مرة وسيدخل عباد الله المسجد الاقصى كما دخله عباد من قبل أول مرة جزاء طغيانهم وبغيهم وجورهم وانتهاكهم للاعراض والحرمات والاموال والدماء وليس ذلك على الله بعزيز " .

ان القرآن الكريم الصادق الوعد والوعيد شاهد على مصارع بنى اسرائيل وعلى نهاية

عدوانهم . وخاتمة دولتهم المحتومة المصير.
والله خير الحاكمين . واصدق الواعدين واحكم العادلين.

ان نبوءة القرآن الكريم فى هذا المجال تغنى عن آراء كثير من فلاسفة الاجتماع والتاريخ المعاصرين الذين يتنبأون بنهاية اسرائيل دولة وتجمعا قائما على الجور والعدوان وقد كرر توينبى المؤرخ الانجليزى تحذيره لاسرائيل وتوقعاته السيئة لها .

وليس من المعقول أن يستمر وجود دولة تكونت من اخلاط من الشعوب والاجناس ولا يضمها روح واحدة ولا مشاعر واحدة ولا فلسفة فكرية واحدة .

وقيامها على مبادئ من الصهيونية الباغية المتعصبة يجعلها قريبة من مصيرها المحتوم . واكثر دنوا من خاتمتها المؤكدة ولله عاقبة الامور .

نحو غد أفضل

العالم العربي اليوم يجتاز ازمة روحية من اخطر الازمات واكبرها اثرا على مستقبله بل على حاضره كذلك .

فالشعارات التي اطلقتها أوربا في بلادنا منذ عصر الاستعمار حتى الامس باسم الحرية حينا وباسم المدنية والتطور والتجديد حينا آخر وبأسماء اخرى كثيرة ما انزل الله بها من سلطان واراد ت بها أوربا أن تخدعنا عن ماضينا وتراثنا وجوهرنا الاصيل وعن ماضينا الكبير الخالد وان تصرفنا عن اسلامنا وديننا العظيم وقد ادت بنا هذه الشعارات كلها وما نجم عنها : من ايماننا بها وانصرافنا اليها واحتفالنا بها الى كل ما نراه اليوم في عالمنا العربي كما نسميه أو قل في منطقة .. " الشرق الاوسط كما تسميها اوربا — من خواء روحي شديد وفراغ فكري عجيب غريب .

لقد اراد ساسة عصر الاستعمار الاوربي أن نبتعد طويلا عن مسيرتنا الاولى وخطنا الاسلامي الاول وعن كل خصائصنا ومقوماتنا التي عرفتناها بالاسلام والفناها في رحابه وانطوت عليها حياتنا وجوانحنا وافئدتنا في ظلاله ومع كل انصرافة عن الطريق نفقد اصالتنا وقوتنا الذاتية ونفقد مع ذلك منعتنا وقدرتنا على المقاومة ونقع فريسة سهلة للاستعمار واذنابه ولمخلبه الصهيونية واسرائيل ربيبة الشيوعية والاستعمار .

ولقد هزني حقا حديث الامين العام للموتمر الاسلامي تنكو عبد الرحمن الذي نشرته جريدة الرياض في عددها الصادر في ٢٢ ـ٥ـ١٣٩٢ هـ حين حذر من خطورة الصعاب والمحن التي يعاني منها المسلمون في هذه الايام كما تقول جريدة الرياض وقال في الخطاب الذي بعث به الى الاجتماع السنوي الثاني الموتمر اتحاد المسلمين في بريطانيا لقد هزمنا في الشرق الاوسط على يد اقل الشعوب شأنا وهم اليهود المشردون ولكن بسبب ضعف الاسلام في الشرق الاوسط ولم ينجحوا في اقامة وطن فهم فحسب بل وامتلكوا طرقا الى داخل الاراضي العربية كما يعاني المسلمون من هزيمة اخرى على يد الهندوس وكانت هذه الهزيمة حجة مرتصعب ابتلاعها وادت الى انقسام اكبر الاقطار الاسلامية الى قسمين ويتعرض المسلمون في الفلبين الى الاضطهاد والمذابح الوحشية وبلغ عدد القتلى هناك نحو الثلاثة آلاف قتيل وهكذا بسط معالي تنكو عبد الرحمن

حالة المسلمين اليوم في العالم وما نكبوا به من هزائم وذلة وهوان ورجعها الى ضعف الاسلام .

وأود أن أقول لمعالي تنكو عبد الرحمن حقيقة مسلمة وهي أن الاسلام لم يضعف ولن يضعف أبدا انما المسلمون هم الذين ضعفوا في عصرنا بسبب واحد هو بعدهم عن الاسلام أو ضعف الاسلام في نفوسهم فذهب من قلوبهم روح الفدائية والتضحية وحب الشهادة والجهاد في سبيل الله واحتجنا آخر الامر الى الاستعانة بفدائيين يابانيين لضرب العدو الاسرائيلي في داخل معاقله وهنا تكمن العبرة الماثلة وهي أن كل حرب خفية أو معلنة على الاسلام في شتى بلاد العالم الاسلامي والعربي بأيدي المستعمرين وحدهم أو أذنابا المستعمرين أو المسلمين الذين اعتنقوا مبادئ اجنبية وافدة دخيلة علينا انما قصد بها المخططون الى أن نصير الى ما صرنا اليه اليوم من هزيمة وخزي وذلة وهوان.

ومع كل عمل يبعد نا عن دينا وماضينا وتراثنا يجيء الخطر ومع كل التفاتة منا الى الشعارات الجديدة التي تهتفها الصهيونية ومن هم وراءها وأمامها يفدح الضرر وتتجرع الام الغصص ومرارتها . ولا علاج لحالتنا هذه الا بالرجوع بكل ما في أعماق نفوسنا من حب وولاء ووفاء وايمان الى اسلامنا ودينا وكتابنا العظيم .

ان انطلاق دعوة التضامن الاسلامي وقيام المؤتمر الاسلامي وما تبعه من قيام الامانة العامة للمؤتمر الاسلامي ووكالة الانباء الاسلامية ثم ما سوف يتبعه من قيام بنك اسلامي دولي وغير ذلك .. لا شك أنه يعد نورا على الطريق وضوءا ينبثق في الظلام .

عندما سقطت فرنسا صريعة امام الغزو الهتلري حذر المارشال بيتان شعب فرنسا من الانهيار الروحي والخلقي الذي كان هو السبب الاول في الهزيمة .

واليوم يجدر بنا ان نحذر المسلمين في كل مكان الى أن سبب الهزيمة الاول لا يرجع الى نقص في السلاح ولا الى ضعف في الاستعداد ولا الى قصور في الحساب فحسب بل يرجع قبل كل شيء الى ضعف روح الاسلام في نفوس المسلمين بعد ان منوا بالغزو السياسي والثقافي والعقائدي لبلادهم وساروا وفق ما اراده المخططون الصليبيون لهم ..

لن يجدي عمل من الاعمال اليوم كائنا في درء الخطر عنا الا اذا صحبه ايمان عميق بأن الاسلام والعمل على قوته في نفوسنا هو أمضى سلاح لنا في مجابهة العدو .

ولقد اسفت آسفا كبيرا وانا اقرأ بيانا صادرا عن مدير الامتحانات بوزارة معارف بعض الدول العربية خلاصته ان مادة الدين لن تضاف درجاتها الى قائمة النجاح أو الرسوب فى شهادات الطلاب ولماذا لايكون الدين مادة اساسية ورسمية فى جميع سنوات الدراسة فى العالم العربى والاسلامى اليوم ؟ اليس دراسة الطالب للدين والاعتداد بمادة الدين فى النجاح والرسوب مما يعزز فهم الطالب الشاب لدينه ولمبادئه فى نفسه ومما يجعله على صلة دائمة بدينه فى مختلف أطوار حياته ؟

ان المعركة اليوم بيننا وبين الصهيونية لاينقصها الا شئ واحد هى قوة الدين فى نفوسنا هى قوة الاسلام فى قلوبنا هى عملنا الكامل الجاد فى الالتزام بالدين ومبادئه وروحه التزاما تاما فعالا له اثره وخطره فى حياتنا .

أما مواقف الضعف والتردد حيال الاسلام مما يتراءى امامنا اليوم فى العالم العربى فهى مواقف لا تقودنا الا الى شئ واحد هو الهزيمة والذلة والهوان مهما بلغت اسلحتنا من القوة والاكتمال .

ان السلاح الوحيد الذى لا ننتصر الا به هو سلاح الايمان سلاح العقيدة سلاح الاسلام الذى جربناه فى الماضى فى حروبنا مع الامبراطوريتين الفارسية والرومانية وفى حروبنا مع الصليبيين والتتار وفى حروبنا مع الاستعمار وفى كل موقف وانتصرنا به .

واذا ما عدنا للحرب وارد ناها فلنكن على ثقة تامة من أننا اذا فقدنا سلاح الايمان فقد فقدنا كل شئ وضاع من ايدينا النصر الذى نتمناه وسقطنا فى هوة الخزى والعار والذلة والهزيمة واذا ما سرنا الى المعركة ونحن قد صبغنا حياتنا وبلادنا ونفوسنا بصبغة الاسلام الكاملة فقد ملكنا كل اسباب النصر .

ان كل حرب للاسلام فى عالمنا الاسلامى وكل انصراف عنه هو مقدمة لهزيمة جديدة ...
وكل حركة وحياة مع الاسلام وبالاسلام هى مقدمة لنصر جديد وفتح جديد .

واذا كنا مع الله كان الله معنا وعلينا ان نثق ابدا ودائما بقول الله عز وجل وهو مصدر الحكمة الخالدة والحقيقة الازلية :

" ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز "

لقد كان منظر الرجل القادم الى زيارتى فى عام ١٩٤٨ اثناء حرب فلسطين — من قرية قاصية من قرى مصر ، منظرا عجيبا لازلت اذكره ، رجل حطمته السنون سعى الى وهو يحمل على ظهره أوزارها وقال لى وهو يبكى : ان ابنى الوحيد الذى يعولنى ويحول ويحول امه قد تطوع مع المتطوعين للحرب ؟

فطمأنته وقلت له : وماذا وراء ذلك الا النصر أو الشهادة فى سبيل الله ؟ فرد على يقول : اننا لا نملك قوت يومنا وهو الذى يسعى على معاشنا وقلت له : وماذا تريد ؟
قال : أريد ابنى لتستمر حياتنا ومعاشنا وقلت له واين هو ؟
قال لى : فى مخيم للمتطوعين سوف يسافر فجر الغد الى ارض فلسطين
فقلت له : هيا بنا وسرنا فى الطريق انا وهو وفى الطريق قلت للرجل الكهل ألم تذهب الى ابنك وتخبره بحالكم لعله يقدر الامر تقديرا على اساس واقع حياتكم ؟
قال : قد فعلت ولكنه ابى الاستماع الى ووقفنا امام المسئول الاول حيث شرحت له حالة الرجل .

فقال : انى لااملك من الامر شيئا القرار الاخير كله بيد المتطوع ابن هذا الكهل . وان شئتم فقابلوه واقنعوه فاما ان يسافر مع المتطوعين واما ان يخرج مع والده الى قريته .

وذهبنا الى الابن المجاهد البطل وشرحنا له حالة الاب وطلبنا منه العدول عن السفر فاشرق وجهه بنور الامل والايمان وقال فى نشوة عجيبة .
ابى معه الله
ولماذا أحرم من لذة الشهادة فى سبيل الله
وهذا الطراز من المجاهدين المؤمنين هو الذى نريده لمعركتنا اليوم مع الصهيونية الماكرة الخبيثة التى تحاربنا بكل سلاح وتقف ضدنا فى كل معترك .

لقد تعجب السير توماس ارنولد فى كتابه " انتشار الاسلام " لرعاية المسلمين للكنيسة المسيحية التى قويت وتقدمت فى ظلال ملوك المسلمين وحكمهم . حيث تمتعت جميع المذاهب الاسلامية بالرعاية والتسامح من الحكام المسلمين على حد سواء بل كان هؤلاء الحكام يحولون دون اضطهاد بعض المسيحيين لبعض ويكفلون الحرية الدينية للجميع ، حتى ان المعتصم بن الرشيد فى خلافته ولى اخوين مسيحيين منصب الوزارة ومنها بيت مال المسلمين وهما ابراهيم وسلماوه ولما مرض ابراهيم عاده الخليفة فى بيته فلما مات حزن عليه

وأمر بجثته فجيء بها الى القصر ، و جرت المراسم المعتادة : والصلوات عليها في قصر الخلافة الذى شهدت منه الجنازة .

ويقول : لقد كان الشعب وافدا دائما لبلاد الشرق من اوربا ولم يكن الامر بالعكس فى يوم من الايام لان الاسلام علم المسلم الرحمة والتسامح والحب والانسانية .

ويذكر توماس : فرح النصارى فى الشرق بالتحرر من حكم الصليبيين كما فرحوا بالامس بالتحرر على يد المسلمين من حكم الرومان .

وقد بلغتنا رسالة للبطريق يوساب الثالث اليعقوبى بعث بها من خراسان فى العصر الاموى الى زميل له وجاء فيها اما العرب الذين آتاهم الله ملك الدنيا فلم يطعنوا فى ديننا ، ولا احدا على بيعتنا بل بالعكس وقفوا ضالبون مع ديننا يفضلونه على غيره ، واكرموا رهباننا وقساوستنا واحترموا اولياءنا واحسنوا الهبات الى معابدنا . ولم يؤثر فى ايام الفتح العربى ان قام العرب الفاتحون بأية محاولة لاكراه غيرهم فى الدخول فى الاسلام أو لاضطهادهم وظلمهم حتى يغيروا عقيدتهم .

ويروى بعض المستشرقين الاوربيين أن الكثير من المسيحيين بعد سقوط غرناطة حزنوا حزنا شديدا وهاجروا فى جموع الفارين المسلمين من السيف والنار ودخلوا فى الاسلام .

وهذا أكاديمية العلوم الجنائية فى روما تنوه بالحكم الفقهى الاسلامى الذى ينص على أنه اذا قتل قتيل ولم يعرف قاتله حكم بديته على بيت المال أو على اهل المحلة أو المنطقة التى وجدت فيها جثته بعد أن يستحلف خمسون من اهل الحى الذى وجد فيه القتيل بأنه ما قتله ولا يعرف له قاتلا .

تراث الإسلام

تحرك الصيونية العالمية ومن خلفها اتباعها من الشيوعيين والصليبيين والملحدين والوجوديين وكل اعداء الاسلام واعداء العرب ، نفرا معدودا ومحدودا من كتابها للقيام بدعوة واسعة وبما يملكون من وسائل الاعلام الموضوعة تحت ايديهم من اجل الانفصال عن التراث وخلعه نهائيا ورميه فى النار ، وعدم الاعتداد به ..

ولا يظن ظان من حسنى النية ومن الذين يحملون الامور على خير وجوهها ، ان الانفصال عن التراث معناه الاتصال بثقافة اوربا العلمية فحسب والاقبال على التكنولوجيا الحديثة قبل كل شئ وانما الانفصال عن التراث فى عرف هؤلاء الدعاة المأجورين أمر خطير يتناول ترك جميع ما ابدعه العقل العربى فى جميع العصور من حضارة فكرية ثمينة فى كل فروع الثقافة مع اثرها الجليل فى اضاءة دياجى الحياة فى انحاء العالم خلال الف عام ويكشف بعض هؤلاء الدعاة المأجورين اللثام والاقنعة عن وجوهم فيدعون كذلك الى الانفصال عن اللغة وعن الدين وعن القرآن ..وكبرت كلمة تخرج من افواههم أن يقولون الا كذبا .

لقد رأينا العديد من الاقلام المشبوهة تكتب لتشهر العداوة بين الشباب وتراثهم بل وبينهم ..

وفى ابريل ١٩٧٤ انعقدت ندوة فى الكويت من ٧-١٢ من هذا الشهر بدعوة من جامعة الكويت وجمعية الخريجين الكويتيين لتدارس ما سموه (ازمة التطور الحضارى فى الوطن العربى) .. وحشد لهذه الندوة كل اعداء الامة العربية واعداء شريعة الاسلام وكتابها الحكيم ..

فهذا هو محمد النويهى يقول فى بحثه الذى عنون له بما يأتى : (الدين وازمة التطور الحضارى) ما نصه :

(الاعتقاد التقليدى السائد بأن " الشريعة الاسلامية تحتوى على نظام كامل للحياة وقانون ثابت غير قابل للتغير " هو عقبتنا العظمى امام التطوير الحضارى اللازم لمجتمعنا)

هل هناك بعد هذا الكلام شئ هل هناك دعوة صريحة مكشوفة للانفصال عن الدين من اجل " التطوير الحضارى " اكثر من هذه الدعوة ؟.. وكأن الشريعة الاسلامية

هى عدوة للتطوير الحضارى فى نظره وكأنه لم يقرأ شيئا عن تاريخ الحضارة العالمية وتطورها على الاطلاق ٠٠ بل لم يقرأ ماكتبه فلاسفة اوربا عن الاسلام وحضارته ٠٠ ويقول النويهى :

(ان كل التشريعات التى تخص امور المعاش الدنيوى والعلاقات الاجتماعية بين الناس والتى يحتويها القرآن والسنة بل سائر مراجع التشريع الاسلامى لم يقصد بها التمام والاستيفاء ولم يقصد لها الدوام وعدم التغيير ولم تكن الا حلولا موقتة فليست بالضرورة ملزمة لنا)

فلا داعى اذا للاسلام فى رأى هذا الكاتب لانه كان دينا مفروضا فى عهد الرسول فحسب اما فى عصرنا فليس الاسلام دينا لنا ولم يفرض علينا ولم نعد ملزمين به ٠٠ اليس هذا هو معنى ما قاله النويهى ٠

وان شئت فاستمع الى ما هو اعجب من ذلك يدعو النويهى الى قيام ثورة شجاعة يقوم بها من سماهم بالمفكرين للتغيير الجذرى فى الدين وفى فهم الناس لجوهر الدين فيقول :

(لابد ان يقوم مفكرونا بحملة منظمة متصلة شجاعة على الفكر التقليدى حتى ندخل تغييرا جذريا فى فهم الناس لجوهر الدين)

(وهدف هذه الحملة هى أن تقنع الناس بوجوب الاخذ بالنظرة العلمانية الخالصة فى كلما يختص بامور معاشهم ودنياهم وان الاسلام وهو مسائل العقيدة والعبادة — لا يتنافى مع النظرة العلمانية)

ومن اجل ذلك بدأ النويهى بحثه المسموم بالحقد على الاسلام بالافاضة فى شرح وجهة نظر الداعين الى رفض الدين أو قل هى وجهته نفسه أولا وقبل كل شىء لان الدين فى زعمه الباطل لا يصلح للعصر الحديث ولا يستطيع ان يواكب التطور الحضارى فيذكر أن الدين تطور للاسطورة وانه طاقة تجهيلية شريرة ويحمل على رجال الدين من العلماء حملة شريرة كذلك ثم يدعو الى التفسير المجازى والرمزى للقرآن ونصوصه بل يرى أن لنا أن نناقش تلك النصوص نفسها دون أن نكون قد نبذنا الايمان بالوجود الالهى

أهناك شىء أوضح من ذلك فى الكشف عن طبيعة الدعوة الى التطوير الحضارى وهدف الداعين اليه ؟ ٠٠ اليست هذه الدعوة قصدها الاول والاخير هو الانفصال عن الاسلام ، وبالتالى عن تراثه جملة وتفصيلا ؟ ٠

ولنترك النويهى الى باحث آخر من باحثى هذه الندوة الغربية التى اريد لها تحقيق اهداف غربية وهو هذا الدكتور فؤاد زكريا الذى كان بحثه فى الندوة عن (التخلف الفكرى وابعاده الحضارية) ..

فماذا قال ؟

قال : (ان تراثنا تراث منقطع لانه لاصلة له بالحاضر العربى وانه من الممكن قيام نهضة علمية وفكرية رفيعة المستوى على اساس الرفض الحاسم للتراث)

أرأيت أوضح من ذلك ؟

تراثنا الاسلامى — فى كل مجالات تعبالطبع — أى تراثنا الدينى والفكرى والعلمى والادبى واللغوى تراث منقطع ..

وما سبب دعوى انقطاعه ؟

سبب الدعوى عنده انه لا صلة له بالحاضر

اذا فيجب علينا الرفض الحاسم لهذا التراث .. نرفض اللغة العربية .. نرفض كتبها نرفض الدين نرفض القرآن نرفض كل ذلك لا نه تراث منقطع بحجة انه لاصلة له بالحاضر العربى .

وقد يرمينى رام بأننى مغال فى التأويل ولكنى احيله على مقالة زكريا ليقرأها ويتأملها ... الذى يدعو الى اصلاح حاضرنا من خلال منطق العصر مسترشدين بأوروبا وكيف اقامت نهضتها منفصلة عن الدين والتراث ..

وغاية مافى الامر أن زكريا هذا يحتاط فى كلامه ويلقيه بحذر شديد .. بعكس النويهى الذى كشف عن احقاده واحقاد سادته من دعاة الصهيونية العالمية ضد الاسلام والقرآن باعتبارهما فى نظره ونظرهم تراثا متخلفا لا يصلح لنا فى عصرنا وهو منقطع عن عصرنا ..

يعنى أن عدم صيام مسلم يجعل المجتمع بعيدا عن الصيام ويجعل شريعة الصيام منقطعة عن العصر .. وعدم العمل باحكام الاسلام وقوانينه فى مجتمعنا يجعل الاسلام منقطعا عن العصر وينسى (ف . ز) هذا ينسى صنيع الصليبية والاستعمار والصهيونية العالمية فى اجبار العالم الاسلامى أو اكثره على ترك القانون الاسلامى فى التطبيق ففى عهد الامتيازات الاجنبية والاحتلال الاجنبى كانت الخمارات ودور البغاء تفتح فى كل مكان دون أن يستطيع الشعب المسلم أو الانسان المسلم القدرة على الاعتراض وكانت القوانين الاسلامية تغير

بقوانين مدنية تبيح الربا و الخمر والبغاء دون قدرة احد على الاعتراض أو التغيير وكانت العلمانية تفرض على بعض الشعوب الاسلامية فرضا والا عرضت للتدمير والابادة ٠

وبعد فلقد امتلأت هذه الندوة وتبدد عوتها العرب الى الحقد على رجال العلم الديني وتصويرهم بانهم كانت وظيفتهم " افراز القيم والافكار التى تحذر الطبقات المستغلة ـ بفتح الغين وتعطى التغطية الكافية للطبقات الحاكمة افكار القناعة والتسليم والرضا بالمقسوم واطيعوا اولى الامر منكم ورفع بعضكم فوق بعض درجات هى وحدها ونظيرها القيم والشعارات التى اختيرت من اوامر الدين ونواهيه واقرأ الكثير من ذلك الكلام فى مقالة الدكتور شاكر مصطفى أو فى بحثه الذى القاه فى الندوة وبعنوان : (الابعاد التاريخية لازمة التطور الحضارى العربى) ٠٠

ومن العجب أن تبادر مجلة الاداب البيروتية الى نشر بحوث هذه الندوة ثم تتلقفها مجلة المعرفة السورية التى خصصت معقبين على بعض هذه الكلمات وكان الكثير من هذا التعقيب ضعيفا هزيلا أو شرا من الاصل المعقب عليه ٠

والعجب أن تجىء هذه الندوة فى ذلك الوقت الحاسم من كفاح الامة العربية المجيدة ضد الصهيونية العالمية لاسترداد أرضنا المغتصبة وكأن الصهيونية العالمية وما يدور فى فلكها من صليبية وشيوعية وغيرهما تتآمر اليوم على الامة العربية لتلقى بها فى الهاوية والى حيث لاتقوم لها قائمة بعد اليوم وبعد انتصار العاشر من رمضان الذى كان السبب الاول والاخير فى صلابته وعظمته هو الدين وحده ٠٠

ايها المفكرون العرب وياقادة الامة العربية فى هذه الفترة الحاسمة فى من تاريخها

تدبروا جيدا ما يراد بأمتنا وبلادنا وما يدبر لها فى الخفاء وما يراد لها من الانفصال عن التراث وعن الاسلام وعن كل عوامل نهضتنا وحضارتنا وعن كل اسباب مفاخرنا وانتصاراتنا وحياتنا ووجودنا القومى والحضارى والذاتى وهو الدين وتراثه ٠٠

دعاة للفكر الغربي

أبدأ بتهنئة الدكتور زكي نجيب محمود بهذا اللقب العلمي الذي منحه محرر الاهرام في الحديث الذي نشره له في ١٩ من مارس الماضي ١٩٧٦ .

وقد ضمن الدكتور حديثه ما شاء أن يضمنه من آراء يمكن أن نلخصها فيما يلي :

١ ـ من مصادر الخطأ عندنا اليوم الظن بأن التشريع الالهي قد غطى كل تفصيلات الحياة .

٢ ـ كون التشريع الالهي هو التشريع الوحيد للبشر ما يحتاج تعليق .

٣ ـ لماذا لا نعطى لانفسنا الحق في أن نفسر القرآن التفسير الذي يحقق مصلحة المجتمع ويفسر الدكتور الامر في قوله تعالى : ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها " بالعقل .

٤ ـ العودة الى حديث الارهاب الفكري المزعوم ما دامت رسائل الاعلام مفتوحة لرجال الدين .

أما عن الفكرة الاولى فاني اقول : ان التشريع الالهي قد احاط بكل قوانين الحياة واصولها في كل جوانبها والفروع التي لم تذكر تعد في حكم المذكورة لانها تندرج تحت اصولها لانه لا اختلاف من عاقل في ادماجها في اصولها وفي ردها اليها ودساتير الدول التي بين ايدينا لا تحتوى على غير القوانين العامة وعلى ضوئها يكتب المشرعون تفصيلات القوانين في كل جانب من جوانب المجتمع . والمذاهب والمجتهدون في الاسلام انما يبدأ علمهم برد كل شيء في الحياة الى الاصول الالهية المقررة .

وبهذه القوانين الكلية والاصول العامة احاط التشريع الالهي بكل جوانب الحياة ووجد المسلمون في كتابهم الحكيم اجابة عن كل سؤال وتفصيلا لكل مجمل وتوضيحا لكل مبهم . والله عز وجل يقول : ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ـ ٨٩ النحل ويقول عن القرآن الكريم " ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء ـ ١١١ يوسف .

واما عن الفكرة الثانية : فان كل مسلم يجب أن يعتقد ان الاسلام هو التشريع الوحيد للبشر عامة أى أن نجاة الانسانية وسعادتها ورفاهيتها وموقوفة على العمل والايمان به والحضارة القائمة على كل ما وصلت اليه لا يمكن ان تعد هى النهاية والخاتمة للحضارات والا لعطلنا حكم العقل الانسانى واجتهاده فى السير بالحياة الى الحضارة المثلى الذى تحقق الرفاهية والسلام للبشر عامة وفى رأى كل مسلم أن هذه الحضارة التى تسير الانسانية اليها لا يمكن أن تكون غير الاسلام حتى وحد المؤمنون به ايمان فهم وعمل وتطبيق وسلوك كامل والله عز وجل يقول سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ٢ — ٥٣ فصلت — واذا تبين لهم ان للقرآن والاسلام حق فقد آمنوا به وعملوا بشريعته .

واما عن الفكرة الثالثة فانى اقول :

أ — للدكتور الحق فى ان يفسر القرآن اذا اعطى المؤهلات الثقافية الواجب توفرها فيمن ينهض بعبء هذا العمل الجليل وقد فسر المسلمون الاولون كتاب الله على اختلاف نزعاتهم لانهم كانوا يملكون كل المؤهلات التى بدونها يصير المتصدى للتفسير كمثل من يدعى الطب أو الصيدلة أو الطيران أو علوم الفضاء وهو ليس من أهل هذه الثقافات والله تعالى يقول وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم ٧ آل عمران .

ب — على أن تفسير القرآن اذا اريد به ابطال مدلولاته وتغيير مضامينه وافكاره ومعانيه لتتفق مع فكر اجنبى دخيل أو مع نظم ومبادئ وتشريعات حضارات أخرى فذلك مما يرفضه العقل ويرفضه المؤمنون بداهة لانه يعطل حكم النص القرآنى ذاته ويسير بالانسان الذى يدعى الايمان به بعيدا عنه وخارج دائرته مما ينتهى به الى الوقوع فريسة للاوهام والتيارات المذهبية والعقائدية البعيدة عن الاسلام والقرآن .

ج — ومصلحة المجتمع لا تعنى ابدا الخضوع لمقاييس مستمدة من خارج ايديولوجيتنا الروحية والفكرية لتجعلها هى الاصل وتجعل نصوصنا المقدسة فرعا لها وانما العكس هو الصحيح فى هذه القضية .

د — والاية الكريمة : ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون — ١٨ الجاثية — لا يمكن تفسير الامر فيها بغير الوحى أى امر السماء بدليل خاتمة الاية وبدليل اقوال كل المفسرين ايضا ويؤيد ذلك المعنى قوله تعالى فى آية اخرى : فادع واستقم

كما امرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب — ١٥ الشورى •

وروى على الفكرة الرابعة : ان الارهاب الفكرى المزعوم حديث خرافة بدليل أن الدكتور يملك كل حرية التعبير وان يقول مايشاء وان كان فحوى مايقوله محاولة للهدم وخضوعا لفكر اجنبى وتقليدا لما يردده بعض المستشرقين اعداء الاسلام •• على أن رجال الدين هم طبقة من الامة لهاما للدكتور من حرية التعبير عن فكرها الذى هو فكر الامة ودينها الرسمى وقد كفل الدستور حرية التعبير لكل انسان وتحمى القوانين هذه الحرية حماية تامة •• فماذا يريد الدكتور ؟ ايريد الحجر على هذه الطبقة من طبقات المجتمع حتى لاتتكلم كما يفعل الشيوعيون مثلا فلا يتكلم غيره وحده ويكون ذلك الصنيع محمدة فى رأيه وليس من الارهاب فى شىء ••

واخيرا فانى اقول للدكتور ولغيره : يجب أن تعلم أن الاسلام صديق الحياة والحضارة والتقدم والرفاهية والسلام وهو صديق العلم صديق العقل دائما صديق العقل أبدا مادام هذا العقل غير متحيز وبعيدا عن الهوى وطالبا للحقيقة وحدها ان الاسلام طالب المسلمين أن يأخذوا العلم العملى من كل مكان وكل مصدر والزمهم بالعقيدة الالهية المنزلة حيث لامجال للعقل ولا لاحد فى ان يذهب بعيدا عنها •• والاسلام كذلك قد اتى بكل مافيه الخير للمجتمعات والشعوب فى يومها وفى غدها ومصلحة المجتمع هى فى العمل بالشريعة الالهية لافى تركها أو تأويلها بسوء قصد للانصراف عن روحها ومضمونها ••وكل عيوب المجتمع التى نشكو منها اليوم انما هى نتيجة للانصراف عن روح الاسلام ولتركنا تعليم الدين للجميع وخاصة للشباب فى كل مراحل الدراسة •• والسلام على من اتبع الهدى •

الكلمة الاخـــــيرة

" بسم الله الرحمن الرحـــيم "

" الاسلام وارث الحضارات " ، حقا وصدقا ، وتأييدا من الله ، وخلافة لله فـــــى الارض ، ومعجزة آلهية للاسلام ولنبى الاسلام ، ولأمة الاسلام .

وها هو ذا بفصوله وبحوثه ودراساته ، نضعه فى أيدى الشباب المسلم زادا للمعرفة والعلم والثقافة الاسلامية الصحيحة البعيدة عن الهوى والزيغ والضلال .

وأسأل الله لى وللمسلمين جميعا الهداية والتوفيق ؟

المـؤلف ؟

أول ذى الحجة ١٣٩٧ هـ